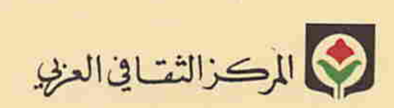
عبد الله الوشمي

فتنة القول بتعليم البنات في المملكة العربية السعودية

مقاربة دينية وسياسية واجتماعية



فتنة القول بتعليم البنات



فتنة القول بتعليم البنات

في المملكة العربية السعودية

مقاربة دينية وسياسية واجتماعية

عبدالله بن صالح الوشمي

1430هـ ـ 2009م

المركز الثقافي العربي

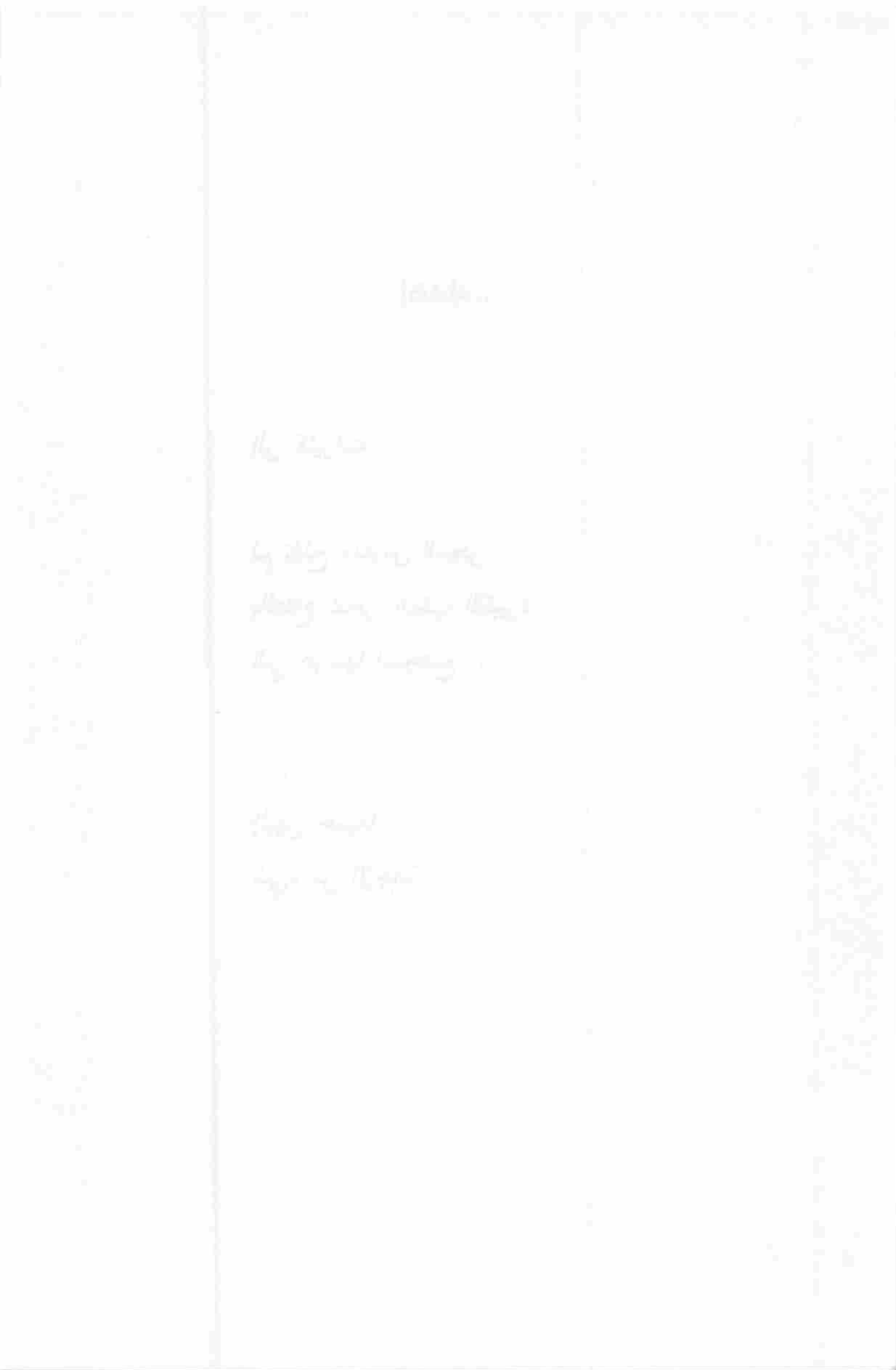
الكتاب
فتنة القول بتعليم البنات
المؤلف
عبد الله الوشمي
الطبعة
الأولى، 2009
عدد الصفحات: 304
القياس: 17 × 24
الترقيم الدولي:
ISBN 978-9953-68-379-4

الناشر
المركز الثقافي العربي
الدار البيضاء ــ المغرب
ص.ب.: 4006 (سيدنا)
42 الشارع الملكي (الأحباس)
هاتف: 2303339 ـ 2307651
فاكس: 2305726 ـ 2 212+
Email: markaz@wanadoo.net.ma
بيروت ــ لبنان
ص.ب.: 5158 ـ 113 الحمراء
شارع جاندارك ـ بناية المقدسي
هاتف: 01750507 ـ 01352826
فاكس: 01343701 ـ 961+
www.ccaedition.com
Email: cca@ccaedition.com

إهداء..

إلى كثيرات ..

لم تفلح مدارس المحو
باقتلاع شجرة الذنب الكبيرة
التي غرسها المجتمع ..
. . .
. . .
إليهن جميعاً
شيء من الإجابة



مدخل ..

يعد موضوع تعليم المرأة اختباراً حقيقياً تعرض له المجتمع السعودي في بداياته الأولى، وذلك لأن طائفة من أفراده لم يتقبلوا هذا الاتجاه، ورأوا فيه مساساً بمبادئهم الأصيلة، وكانت المرأة خلال هذه الخصومة حولها هي الغائب الوحيد أو تكاد تكون كذلك، وبمقاربة ثقافية نستطيع أن نقول: إن نصف المجتمع الذي تنتجه المرأة، هو النصف الذي أعطى لنفسه الحق في رسم تفاصيل الخارطة الثقافية للمرأة التي تلده، وجعل من أولوياته أن يعيد أبجدياتها الثقافية.

وفي يقيني أن بنوة التاريخ والفكر لاتختلف كثيراً عن بنوة الدم والنسب، وذلك من حيث شدة الولاء وضبابية الحياد وإشكالية التحليل والنقد لأصولها، فالصعوبة متحققة بمستويات تتقارب مهما تعددت عتباتها، واستعادة الذاكرة من منشئها وسبب وجودها، واستعمالها لاحقاً في تفكيك خطاب هذا المنشئ والمنتج، هو متماثل في الصعوبة سواء إذا اتجه إلى آباء الرحم أو آباء الفكر، ويكاد أن يكون مثاله التطبيقي والواقعي هو الاجتهاد في رؤية العين بالعين ووصف مخارج الحروف بالحروف وتقييم الحوار بالحوار.

* * *

كان موقف الممانعة لافتتاح مدارس تعليم البنات خطاباً يمتلئ بالبعد الديني والاجتماعي والثقافي والسياسي لفترة مضت من تاريخ بلادنا، وكان مؤيدوه وممانعوه يُمثّلون نسيجاً امتلأت بهم ذاكرتنا على مستوى الفكر أو النسب، وهو ما يخوِّل أبناء الفكر والنسب بإعادة قراءة هذا التاريخ وهذه المرحلة الإشكالية، وهو ـ أيضاً ـ ما يزيدها صعوبة وإشكالية، إذ إنها قراءة الأبناء للآباء والأجداد، وهي إلى ذلك قراءة لاتستطيع القطع بامتلاك الحقيقة، أو النطق بأطرافها كاملة، فالمصادر متعددة ومتفاوتة، وقد ظل جزء رئيس منها محفوظاً في الصدور، ولا

تكاد تجد من آثاره إلا ارتباك المتحدثين وصمت الشهود، وهذا القُرب التاريخي إنْ دلَّ على قرب الحدث وإمكانية استعادته؛ فإنه دال على أنَّ القدرة التامة على توصيف الحدث بعد الانفصال الكلي عنه ليست متحققة بالقدْر الذي يُلغي الأبعاد العاطفية والملابسات التي تشوب اكتمال الصورة وتكشف حقائق الصور والأبعاد الواقعية للشخصيات ونموها الفكري، وستكون القراءات مهما ادعت المنهجية والحياد قراءات منحازة إلى ما توفر لديها من معلومات اعتقدت فيها الحقيقة.

* * *

هي مرحلة ثرية من تاريخنا المحلي الثقافي والاجتماعي، وقد اشترك في صناعتها وإحيائها عدد من الاتجاهات والقُوى الثقافية والإعلامية والاجتماعية، وكانت العين السياسية ترصد هذا الحراك وتُحفز بعض أطرافه، وتحترم أطرافاً أخرى، وتلتزم الدخول في لعبة الحوار والإقناع لأطراف أخيرة، وكانت جميع الأطراف تمتاز بقدر كبير من التأثير في المجتمع من خلال الوسائل المختلفة التي حظيت بامتلاكها، أو التي أُتيحت لها، ولايستطيع الراصد إلا أن يحترم هذه الجهود مهما كان موقفه منها، فهي جهود مثابرة للوصول إلى غاياتها، ولذلك ارتفعت هذه الجهود لتكون مجالاً يحقُّ للدارسين أن يقاربوا آفاقه، وأن يتأملوا في منعطفاته، وليحاولوا (قراءة) الخطاب الثقافي لكل التيارات ما وسعهم الجهد في ذلك، وستكون الأسماء التي ترد في هذه القراءة دالة على تياراتها وسياقاتها الشخصية والمرحلية دون أن يكون الباحث مطالباً بقراءة الخطاب الثقافي لها كاملاً، ولا نستطيع أبداً أن نُعطي لأحكامنا هنا صفة الإطلاق والعموم مهما ضعفت اللغة هنا أو هناك، وذلك لأن سياق البحث ينصرف إلى ملابسات هذه القضية/الفتنة من خلال منهج محدد، وهو منهج يستقرئ مسيرة الحدث لينتقي منه ما يُلبي الإجابة على أسئلة قضيته، وليقوم بعد هذا بالتحليل والقراءة والاستنباط.

* * *

ولاشك أنَّ هذه الفتنة التي نشبت في ذلك الوقت حول تعليم البنات تعكس لنا أموراً عدة، فهي تشير إلى سقف مرتفع من الحوار والحرية، وتدلُّ على مواكبة فاعلة من الأطراف جميعاً للأحداث التي تخترق مجتمعهم، فلم تكن استجاباتهم سلبية لاتتفاعل ولاتتناغم مع أسئلة المجتمع ونبضاته، وهي إلى ذلك سبيل لاعتبارها أنموذجاً لمعارك ومسائل عدة تخوضها المجتمعات بتياراتها المختلفة

في كل حين، ومن هنا جاءت أهمية هذا الكتاب الذي يُعنى بهذا المنحى من الفكر والثقافة.

وسيجد الراصد في قضية الممانعة لتعليم البنات قضية تعكس حركة الفكر وتحول الثقافة في المملكة العربية السعودية، وهي بمثابة الاختبار المبكر الذي عاشه المجتمع بعد أن تفتح وعيه الثقافي والسياسي على بعض الاشتراطات المدنية والاجتماعية التي لم يستطع أن يتناغم معها وفق الدرجة السريعة التي يمرُّ بها المجتمع.

ولم تكن قضية تعليم البنات إلا أنموذجاً واحداً لوترٍ تم الضرب عليه عدداً من المرات، ولكنَّ محورية الموضوع واتصاله بالتعليم وبالمرأة ونشوئه في المكان الذي ما زل بكراً في كثير من تجلياته الثقافية، بالإضافة إلى التقدم الزمني الذي تحركت القضية في مجاله كلها أمور ساهمت برفع وتيرة الجدل ودخول الأطراف جميعاً في معالجة مسائله.

* * *

ومهم هنا أن نحفظ لكثيرين ممن استشهدنا بآرائهم في هذه الدراسة حقهم في النمو الفكري والتحول المعرفي، فغرض هذه الدراسة أن تلتقط شريحة من الزمان والمكان لتتأمل فيها، وذلك بتحليل إحدى أكبر القضايا التي رصدها الحراك الفكري في بلادنا، وهي قضية تعليم البنات، والتي لم ينفصل مجتمع من مجتمعات الكون عن مناقشتها، إلا أن مجتمعنا السعودي كان الأكثر حرجا في تناولها، وهو ما يُعنى هذا الكتاب بتفصيله.

ومعلوم أن موضوع تعليم البنات يتمدد حتى لانستطيع استيعاب أبعاده، ولذا اجتهدت في محاصرة الموضوع في حيّز يقبل المقاربة، وذلك من حيث الموضوع والوعاء والمكان، فأما الموضوع فهو بدايات تعليم البنات، وأما الوعاء فهو صحيفة القصيم بوصفها الحاضن الإقليمي لهذا الموضوع[1]، بالإضافة إلى بعض

---

(1) التزمت العزو المباشر إليها دون ذكر اسمها، وحين أستعين بغيرها أشير إلى ذلك بالاسم، وهنا تنبيه أؤكد فيه أن الإشارة إلى صحيفة القصيم بوصفها الحاضن للدعوة إلى تعليم البنات هو فيما يتصل بالفتنة التي خاضها هذا الإقليم خاصة، أما الدعوة فهي سابقة لذلك، وقد تضافرت جهود كثيرين على ذلك، وامتدت من حقول الثقافة والإعلام إلى الشعر، وانظر من ذلك =

المقالات المنشورة في غيرها، وأما المكان فهو مدينة بريدة، الواقعة في قلب القصيم إلى الشمال من مدينة الرياض على بعد 350 كلم تقريباً، وذلك بكل زخمها الإيديولوجي المعروف حتى الآن، وستكون أنموذجاً على الحالة الثقافية والدينية والاجتماعية في المملكة، وسنمرّ إبَّان ذلك على نماذج أخرى كالحجاز والرياض والزلفي ووادي الدواسر وغيرها.

وأما مسوغ هذا التخصيص، فهي الفتنة التي واكبت تعليم البنات في المملكة العربية السعودية وخاصة في مدينة بريدة، وبطبيعة الحال ستكون صحيفة القصيم أفضل المصادر لذلك، أو هكذا يجب، فقد حضرت قضية تعليم المرأة منذ العدد الخامس من أعداد الصحيفة[1]، وهو حضور مبكر ومغامر، في ظل الظروف الاجتماعية المعروفة، وقد جاء هذا الحضور من خلال قلم رئيس التحرير نفسه بخلاف بعض رؤساء التحرير من قبله[2]، وهو ما يُشعر بأنه رأي الصحيفة الذي تتبنَّاه وتتحيز إليه.

ويجيء اهتمام صحيفة القصيم بتعليم البنات تبعاً لاهتمامها الواضح بقضايا المرأة عامة، حتى وجدناها تورد آراء تعالج قضايا حسَّاسة بمقياس اليوم، فضلاً عن توجسات الأمس وحساباته، وذلك كمقال (ق جبرت الغامدية) وهو بعنوان: (المرأة السعودية والمؤتمرات النسائية) الذي كان يُلحّ فيه كاتبه على ضرورة تمثيل المرأة السعودية فيها، وجاء فيه: «إن المرأة السعودية صانها الله لم تصل بعد إلى ما وصلت إليه أختها في الدين والدم واللغة ... رغم أن المرأة السعودية لم تمثّل

= ما رصد بشأن الدعوة إلى تعليم الفتيات في الشعر (الشعر والمجتمع في المملكة العربية السعودية: 232، د.مسعد العطوي).

(1) العدد 5، الموافق 29/ 6/ 1379هـ، (حديث الثلاثاء)، علي المسلم، ص 1.

(2) يشير الأستاذ محمد القشعمي إلى أنّ أحمد السباعي كتب في العدد (126) لعام 1353هـ من صوت الحجاز رداً على افتتاحية العدد الماضي من الصحيفة التي كتبها الأستاذ محمد علي رضا رئيس التحرير - وقتها- الذي لا يحبذ فيه فتح مدارس لتعليم البنات، ويعود مرة أخرى - محمد علي رضا- في افتتاحية العدد (128) تحت عنوان: (كلمتنا الأخيرة حول تعليم البنات - بعض مساوئ النهضة النسائية في العالم) يرد فيه على منتقديه ويستشهد بكثير من آراء الغربيين والعرب المحدثين على خطورة تعليم المرأة (مجلة حقول، رمضان 1428هـ، رواد تعليم المرأة السعودية قراءة في صحافة الأفراد، محمد القشعمي، ص63) (بالإضافة إلى أصل البحث الذي لم ينشر كاملاً).

في هذا المؤتمر الآسيوي الأفريقي؛ إلا أن فتاتين سعوديتين دخلتا هذا المؤتمر، وهما س حمزة و م عاشور، اللتين تدرسان في القاهرة، أحدهما في التدبير المنزلي، والأخرى في علم الاجتماع، وقد أعطتا عن أختهما السعودية أجمل صورة تركّب في نفوس المؤتمِرات أجمل الذكريات، ... ولقد صاحت مندوبة الجزائر قائلة: هل عندكم مدارس بنات حقا؟ قالت لها م عاشور: نعم، ولكن العتب على جهاز الدعاية عندنا[1]»، ولاشك أن هذا الانحياز التحريري الواضح من الصحيفة هو الذي فتح أفقاً لهذا النفير الصحفي الكبير من الكتابات والردود والتعقيبات حول المرأة بشكل عام، وحول تعليم البنات في بريدة بشكل خاص.

وتجيء هذه الدراسة لتُساءل هذا الحضور عن أطرافه، ومسوغاته، وإذا كانت نتيجته معروفة؛ فإنَّ أبطاله وشخصياته . أوبعضهم . ما زالوا مجهولين، وأمَّا مسلَّماته ووسائله وطرائق النقاش والحوار فلعلها الأغمض والأقل حضوراً عندنا الآن، ولذا سيكون السؤال مكثّفاً حول الحركة الإعلامية التي لعبتها الصحافة آنذاك، وكيف تحركت قضية تعليم البنات من الدين إلى المجتمع إلى الصحافة إلى السياسة وغيرها، وها هو ذا الرئيس العام لرئاسة البنات يقول: «حيث إنه لايزال يرِد إلى ديوان هذه الرئاسة كثير من رسائل الأهلين؛ ما بين مؤيد ومعارض، فقد كتبنا إلى للمقام السامي نستطلع رأيه في الموضوع، ولازلنا بانتظار ذلك[2]»، وهذا دالٌ على وجود نمط كبير من الحراك حول هذه القضية، وأنها أصبحت قضية شعبية لم ينفصل عنها أحد من شرائح المجتمع، وهو أمر غير مستغرب بالنسبة لقضايا التعليم، وذلك لأنها مرتبطة بالشرائح كافة، أما حين تكون القضية هي تعليم البنات، فإن أسباب الاهتمام بها أعلى، وذلك لموقف المجتمعات عامة من المرأة، وحساسيتها خاصة في مثل هذه القضية، ولذا كان الرئيس العام لمدارس البنات . وفق تسمية ذلك العهد . صريحاً حين كشف عن الواقع وألمح إلى الارتباك الكبير في تحديد الموقف إلى الحد الذي دفعه إلى الاعتراف بعدم امتلاك الحل، وأنه ينتظر حسم ولي الأمر.

* * *

هي، إذن، ليست قضية عابرة في قضايا المجتمعات، أوتنحني بعض

---

(1) العدد 66، الموافق 20/ 9/ 1380هـ، ص 6.

(2) اليمامة العدد 308، الموافق 8/ 8/ 1381هـ.

الأطراف تجاه رهانات الأطراف الأخرى، وإنما هي سؤال حضاري ضخم، يتصل بأساس النهضة، وهو العلم، ومجال تطبيقه هنا هو المرأة، ولذا اكتسبت هذه القضية توهجها من اتصالها بهذين المحورين الخطيرين، بالإضافة إلى أنَّ ميلادها كان قريباً من قيام الدولة على سوقها، وسعيها إلى استتباب الأمن السياسي والجغرافي والاقتصادي لهذا البلد.

ومن هنا فهذه دراسة تتصل بقضية ليست تاريخية تنحصر في معالجة لحظة من لحظات الزمان العابر فقط، وإنما هي تعالج قضية تترك ذيولها على واقعنا، وتكشف امتداداتها المعاصرة، ونستطيع لغياب نفر من شهود هذه المرحلة التي بدأت بالابتعاد التاريخي عنَّا، أن نستدعي الوثيقة التي نُقارب الزمان والأفكار من خلالها، وهي المقالات التي نُشرت في تلك الفترة، وكان محورها الرئيس هو قضية تعليم البنات، بالإضافة إلى بعض الفتاوى والشهادات المتعددة.

وهذه المقالات تضيء لنا تاريخ تلك القضية ومكانها وناسها وأفكارها، ولئن مزجت هذه المقالات بين الموضوعية والذاتية في بناء أفكارها؛ فإنها تظلُّ قادرة على رصد ملامح الحراك الثقافي، وتصوير آليات الفعل الاجتماعي آنذاك، وهي إلى ذلك وغيره مقياس دقيق لمعرفة منابت الأفكار المعاصرة وجذورها.

والدراسة حين تعتني بهذا الحد المعرفي والمنهجي؛ فإنها تدرك صعوبة التكهن، أوالفصل في توصيف بعض الأحداث، وهي تحترم وتجلُّ جميع المتداخلين مع هذه القضية، ولكنها معنيّة بتصوير تلك الحادثة ومقاربة مناهج القول فيها.

* * *

وقد ترعرعت في الأذهان المعاصرة مُسلَّمة تواتر الجميع على التصديق بها، وهي القول بأن ممانعة ورفضاً جماهيرياً عاماً قام به أهل مدينة بريدة تجاه تعليم البنات، وذلك مما تعزم هذه الدراسة بأن تحقق قضاياه، والمأزق الذي كوَّن القول به، ولتقارن بين الصورة والحقيقة، إذ إنَّ البعد الزماني يتكفَّل. أحياناً. بإعادة الحكاية وصناعتها، ويمارس تكثيف عناصر التشويق الخيالية فيه، وليست الحقيقية بالضرورة، وتصل إلينا حكايات ونماذج تاريخية، لا تخضع إلا لشرطنا المعرفي، أو لشرط رواتها، فهي ليست تسجيلاً للحقيقة كما هي، وإنما هي تسجيل لما نريد أن يكون حقيقة تنتشر بين الجميع، أو للحقيقية من وجهة نظرنا، ونقع لذلك مستلبين لآليات الأسطرة ووسائل الأدلجة ومعايير الناس في

تصوير الواقع، وهو ما تُعنى هذه الدراسة بكشفه.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ مما تُعنى به هذه الدراسة، أن تؤسِّس فضاء تتكامل فيه الاستراتيجيات والأهداف والوسائل، وذلك لاستجلاء مواقف المناصرين والممانعين من قضايا تعليم البنات، وسنكون حينئذ على إلمام جيد بالتداعيات الواسعة التي حدثت مؤخراً، إبَّان الأمر الملكي بضمِّ مدارس تعليم البنات إلى وزارة التربية والتعليم، وهي التي ظلَّت مقتصرة فقط على الطلاب الذكور، وتولت الرئاسة العامة الإشراف على تعليم البنات، وسكن في المخيال الشعبي أنَّ تعليم البنات أمر يخصُّ الجهة التي تُشرف عليه، وكل منْ يرأسه يجب أن يكون آتياً من المؤسسة الدينية خاصة.

* * *

وإذا كان ذلك هو شأن الدراسة؛ فإنَّ الحيز الثاني من هذا الكتاب هو حيز المقالات والوثائق، وهي تُعرض بين يدي القارئ، ليشاهد حراكاً اجتماعياً ودينياً وإعلامياً نشط في منطقةٍ محافظةٍ في قلب الجزيرة العربية، وما زالت بقاياه تعيش وتنمو في مقولات لاحقيهم. والخارطة الجينية الفكرية للأفراد والمجتمعات، لاتختلف كثيراً عن خارطة المورِّثات الأحيائية، وقد اخترت زبدة هذه المقالات، وذلك في صحيفتين، وهما: القصيم واليمامة، وهما الصحيفتان الأشهر في عنايتهما بهذا الموضوع، والأقرب إلى موقعه الجغرافي، ومهم أن يقال هنا: إنه لم يسبق لأحد ـ وفق اطلاعي ـ جمع هذه الرؤى والمقالات، وأما ما قام به الأستاذ سعد الدريبي في كتابه (فتاة الجزيرة العربية)، فقد قدم طائفة من آرائه الشخصية والانطباعية حول مختلف شؤون المرأة السعودية خاصة، مع مجموعة من الاستفتاءات التي وصفها هو بأنها ليست بالمعنى الصحيح، وقد شغلت سبع صفحات من القطع الصغير فقط[1]، ولم يقم ـ مطلقاً ـ برصد المقالات التي نشرت في الإعلام. وإنَّ الاطلاع على الكتاب يوحي بهذه النتيجة خلافاً لرأي أحد الذين يبدو أنهم لم يطلعوا عليه مباشرة[2]، وكان الأقرب في توصيف

---

(1) فتاة الجزيرة : 10، سعد الدريبي، مطابع النضال ـ دمشق، ط1، 1385هـ 1966م.

(2) مسيرة تعليم البنات بالأرقام: 17، منصور الرشيد وإبراهيم آل الشيخ، الرئاسة العامة لتعليم البنات، دط، دت.

الكتاب هو الدكتور بكري شيخ أمين حين وصفه بأنه جمعٌ للأجوبة التي طرح أسئلتها مؤلفه فقط[1]، وهي أسئلة لاتحيط بالموضوع الذي بين أيدينا، بالإضافة إلى أنَّ دراستي هذه تتخذ المنهج التوصيفي التحليلي للرؤى والاتجاهات[2].

وتنبع قيمة هذه المقالات والوثائق من مسلَّمة فكرية رئيسة، وهي أنَّ الكتابات التي عاصرت هذه الفتنة ستكون أقرب إلى الواقع وإلى كشف ملابساته، ولذا، فقد انتخبت مما اتصل بفتنة القول بتعليم البنات ما رأيته الأكثر أهمية من مقالات هاتين الصحيفتين، لأجعلهما جزءاً جوهرياً على متن هذه الدراسة، بالإضافة إلى بعض الوثائق المهمة.

* * *

وإذا كان هذا الموضوع لايقف عند سقفه العلمي، وإنما يتجاوز ذلك ليتصل بالعمق الديني والاجتماعي والسياسي، فإنه لم يحدث في غيبة المجتمع والحكومة، وإنما ترعرع وامتلأ بالتحولات والارتهان لسياق المرحلة التاريخية، وهو على مقربة من يد الحكومة، أو بأثر من توجهاتها.

يبقى أن يقال: إنها مقاربات ونصوص تضيء حدثاً اشتعل كالفتنة بين الناس، وعصف . أو كاد . بعقول الذين تداخلوا معه، والفتنة لاتولد وحيدة، وإنما تتوالد بشكل جماعي، وهي تقوم على عقائد وآراء وخرافات تتكامل فيما بينها لتصنع ما يدهش ويُبهر من دقة المنطق أوفوضوية التشكيك.

وأخيراً، شكرٌ واسع للذين تفضلوا بقراءة هذا الكتاب، وحرروا بنقاشهم معي جزءاً من مسائله، وهم الأساتذة: د. عبد العزيز السبيل، حسن ياغي، د. محمد المشوح، محمد الربيعي، د. إبراهيم المحيميد.

عبدالله

غرة جمادى الآخرة 1429 هـ

2008/6/5

---

(1) الحركة الأدبية المملكة العربية السعودية: 169، دار العلم للملايين . بيروت، ط4، 1985م.

(2) يجدر بي الإشادة بمقالات الأستاذ محمد القشعمي عن بدايات تعليم المرأة في الصحف، وقد قام برصد الكاتبات الأوائل في الصحف السعودية وتطرق إلى مقالات بداية الدعوة إلى تعليم المرأة في مجمل الصحف السعودية على سبيل الذكر لا الرصد والتحليل (مجلة حقول، رمضان 1428هـ، رواد تعليم المرأة السعودية قراءة في صحافة الأفراد، ص61).

طريق الحرام وإهدار الدم ..

تحيا المجتمعات بالأسئلة القيمة، وتموت حين تفقد براءة السؤال، وهي لاتنقطع عن استدعاء الإنسان والدين والتاريخ والوطن، وتبعاً لهذه الموجهات الأربع تمتلئ قضاياها بالعمق والإشكال والتوتر، ولن أكون مغالياً إن زعمت أنَّ المرأة توشك أن تحتل القضية الأولى على مستوى قضايانا العربية والإسلامية في جميع العصور والأمكنة، وذلك لأنها تتداخل مع جميع الشرائح والمستويات الفكرية، ويتداخل الخصوم مع قضاياها وأسئلتها كلٌ وفق أبجدياته السياسية والدينية والثقافية، وتظلُّ المرأة تلِد قضاياها وإشكالاتها كما تلد المختصمين حولها.

وحين أتخصص في محيطي الجغرافي، فإنني أعتقد أنَّ التعامل مع المرأة يُشكل أنماطاً متعددة، ولئن كانت ثقافة المجتمع ثقافة يشتهر عنها التزام نمط واحد من التعامل مع مفاجآت الحضارة واشتراطاتها، إلا أنَّ المنقّب في نماذجها يجد ألوان الطيف كلها، وهكذا يكون المجتمع المحافظ حيث تتجلى فيه المتناقضات بصورتها الحادّة والصارخة.

وتجيء مواقف الإنسان ولوازمه اللغوية نابعة من ثقافته وبيئته، وما زلت أسمع تلك المفردة النجدية التي يُعلن بها الرجل دخوله إلى منزله بقوله: يا هيش؟ وهي كلمة تحمل في استخداماتها الاجتماعية الدلالة على سيادة الذكر واعتبار الفحولة عصاً يحمله الرجل في ذاته، ويواجه به ضعف المرأة.

وانطلاقاً من هذه الرؤية يتوالد الموقف الاجتماعي من المرأة في شؤونها المتعددة، ومنها: التعليم، حيث الرجل هو القيّم الذي يدخل إلى حياة المرأة ليُلغي ذاتها، ويستولي على كيانها بصفته الأعلم بما يُصلحها، ولتكون الكلمة (= ياهيش) وسيلة الامتلاك والاستيلاء على المرأة التي تقع في نجوة منه على مستوى الرتبة الاجتماعية؛ ولذا ناداها مناداة البعيد، لأنها كذلك بالفعل، ولم تستطع أن تكسر أو تُقلّل من هذه الفجوة، ولن يُتيح الرجل لها ذلك لو أرادت،

وهو في سبيل ذلك لايسعى إلى منعها ـ فقط ـ، ولكنه بسيادته، وتطويعه للنصوص قادر على أن يسلبها حق الإرادة[1]، لتكون المرأة أكثر إيماناً من الرجل نفسه، بأنها لا تستطيع أن تخرج عنه، ووفق هذه الرؤية نستطيع أن نقرأ مواقف طائفة من النساء أنهنَّ لايُعبِّرن عن أنفسهنّ، وإنما ينطقن بصوت الرجل الذي استولى عليهن، وما زلن في مرحلة ما قبل اكتشاف الذات، حيث يولد الإنسان بعدها ولادته الحقيقية، وذلك حين يقوم المرء بمغامرة اكتشاف الذات، وهي مغامرة تحمل قدراً من الخطورة والغرائبية بما فيها من التجريب والتحول والانتقال، حيث كل الخيارات المطروحة على الطريق قابلة للتنفيذ والتجريب، وهي مرحلة فكرية عميقة تسبق مرحلة الاطمئنان وتتناقض مع الوثوقية، وهي أقرب ما تكون إلى مرحلة تحديد التخصص والهواية والموهبة عند الشباب.

* * *

وحين تفتح هذه الدراسة هذا الملف فإنها تُدرك حساسيته واتصاله بعدد من المسلّمات، وأنه شغل حياة الناس في تلك الفترة، حتى وجدنا منْ وصف فتح مدارس لتعليم البنات بأنه المصيبة العظيمة والطامة الكبرى[2]، وأكّد الدكتور محمد الشويعر على «نفور كثير من الأهالي من هذا التعليم، بدعوى أنه أول باب ينفتح على فساد المرأة في مفهوم منْ كان ضد هذا التعليم، ويُذكي هذا عند العامة وقاصري الإدراك أشخاص ينتمون للعلم والدعوة يجوبون الديار، ويتحدثون في المساجد لتنفير الناس، وتعبئة أذهانهم عن هذا التعليم بدعوى الحرص على أعراض بنات المسلمين، لينفّروهم من هذا التعليم باسم الدين

---

(1) في هذا الإطار يقول لويس كورانسيه (تاريخ الوهابيين منذ نشأتهم حتى عام 1809م: 191، ترجمة د.محمد خير البقاعي ود.إبراهيم البلوي، دارة الملك عبدالعزيز،1426هـ): لما كانت النساء هنا يعشن في عزلة تامة، ومحاطات على الدوام بأشد أنواع الاحتياطات مهانة، ولما كان أسيادهن لايولون عناية بتنمية الفضيلة لديهن؛ ليتمكنوا من الوثوق بهذه الفضيلة، فإنهم يطمئنون لعزلهن عزلة مطلقة، وهن يعتقدن أن شرفهن مرتبط كل الارتباط بحراسهن، والحفاظ عليه قضية لاتعنيهن في شيء، لذلك نجدهن يسْلمن أنفسهم دون أن يبدين أي مقاومة بمجرد أن تزول العقبات التي تحيط بهن"، ويعلق المترجم د.محمد البقاعي على هذه المقولة بقوله: المؤلف يجهل تعاليم الإسلام.

(2) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية: 16/ 78، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، دن، ط3، 1425هـ.

والغيرة[1]»، وقد سُجن أحد رؤساء التحرير حين نشر مقالاً يدعو إلى تعليم البنات في فترة سابقة[2]، وكانت الممانعة الدينية والاجتماعية قوية، ومع ذلك تعتزم هذه الدراسة أن تقول ما يسعها من الحق الذي تبيَّن في «هذه العقبة الكؤود التي تعتبر أعقد من ذنب الضب، والتي كان يَتَخوف من ذكر اسمها أو مناقشتها كثيرٌ من ذوي الرأي والحكمة؛ بل كانوا يفضِّلون عدم الخوض فيها، بالرغم من إيمانهم العميق بضرورة تعلم الفتاة وتربيتها التربية الإسلامية الصحيحة ليتحاشوا ألسنة الجهلة من أن تلسعهم بشواظ من نار، وترميهم بالزندقة والإلحاد والانحراف، بل إن الأمر قد وصل ببعضهم وهو ينادي بأعلى صوته: إن تعليم

---

(1) محاضرة الدكتور محمد بن سعد الشويعر التي ألقيت في نادي مكة الثقافي بتاريخ الثلاثاء 15/ 08/ 1428هـ بعنوان (من الذاكرة: محطات في بديات تعليم البنات في المملكة).

(2) انظر رواية الشيخ عبدالكريم الجهيمان لقصة المقال الذي نشره عن تعليم المرأة في صحيفة أخبار الظهران إذ قال : في يوم من الأيام جاءني مقال بتوقيع محمد بن عبد الله وموضوع هذه المقال هو تعليم الفتيات، وقرأت المقال فرأيته معتدلاً، إنه يدعو إلى تعليم الفتيات كما يتعلم الصبيان، فالفتى المثقف لا يريد إلا فتاة مثقفة حيث يقرب التعليم بين مفاهيمها ومفاهيمه في سبيل الحياة، ويكون لديها القدرة الكافية لتربية أولادها تربية صحيحة تتناسب مع العصر الذي يعيشون فيه، وبهذا نحول بين شبابنا وبين الزواج بالأجنبيات، لأن شبابنا المتعلمين بدأوا يعزفون عن الزواج بالفتيات الجاهلات، وإذا استمر الوضع كما هو، فإنه سيأتي يوم لاتجد فتياتنا من يتزوجهن، واستمر المقال يضرب على هذا النغم، فاقتنعت به ونشرته في الصحيفة على مسؤوليتي، وعندما قرأه المسؤولون استغربوا نشره واستغربوا هذه الدعوة الجديدة لتعليم الفتاة، وسألوني عن كاتب المقال فقلت: إن اسمه محمد بن عبد الله، فقالوا : ومن محمد بن عبد الله ؟ فقلت : إنني لا أعرفه شخصياً، ولكن هذا المقال جاءني بهذا الاسم في وقت متأخر فاقتنعت بفكرته فنشرته على مسؤوليتي دون أن أعرضه على الرقابة وهذا جرأة ومخالفة للنظام السائد، فقالوا : إما أن تدلنا على كاتب المقال وإلا فأنت المسؤول عن جميع ما ورد فيه، فقلت ما دام الأمر كذلك فأنا المسؤول عن جميع ما جاء فيه.، وقالوا إن الدعوة إلى تعليم الفتيات أمر سابق لأوانه الذي تخطط الحكومة له ولهذا فإن نشره فيه تسرع يؤاخذ عليه، وكانت النتيجة أن أوقفت عن العمل، وأوقفت الصحيفة عن الصدور، وأوقف رئيس تحريرها في غرفة منفردة طولها مثل عرضها أربعة أمتار تقريباً في أربعة، وفيها شبك واحد قد أُغلق وأُحكم إغلاقه، وضرب في جوانبه الأربعة عدة مسامير (مذكرات وذكريات من حياتي، ط2، 1419هـ، ص 178-180)، ويرى الأستاذ محمد القشعمي من خلال عدة أدلّة منطقية دقيقة بأنّ المقال هو للجهيمان نفسه (صحيفة المدينة، ملحق الأربعاء، 9محرم 1427هـ، خمسون عاماً مرت على إيقاف جريدة أخبار الظهران)

الفتاة حرام، وإن من يقوم بتعليمها فاسق وفاجر ويدفع بالفتاة إلى طريق الحرام[1]»، كما تم إهدار دم مندوب تعليم البنات في إحدى المحافظات خارج منطقة القصيم[2]. وقد جاءت أوصاف الكتّاب لهذه الفتنة لتنبئ عن حالة المجتمع، وكيف شغلته هذه القضية وتداعياتها، وأصبح حائراً بين منْ يُبشّرونه بالنهضة، ومنْ يُحذرونه من ارتكاب ما يُغضب الله، وآخرين صمتوا أوخجلوا أو تردَّدوا، فالإشاعات والتخرصات والشك وبلبلة الأفكار هي حديث الساعة إبّان الإعلان عن افتتاح المدارس كما يشير إلى ذلك الكُتّاب[3]، وهناك مطالبات للرئاسة بأن تضع حداً لما يشاع[4]، وأن تُزيل التساؤلات التي أُتخم بها المجتمع[5]، وهي تساؤلات جميع المواطنين[6]، فمدارس البنات أصبحت لغزاً من الألغاز[7]، حتى تم تبادل الاتهامات بالزندقة والشذوذ الاجتماعي بين الخصوم[8]، بل إنَّ من علماء الدين منْ صرَّح بأنّ المملكة كانت آمنة حتى دبَّ إليها الشر من حيث لايعلمون، وذلك في معرض حديثه عن تعليم البنات[9]، فكانت حالة المجتمع تكشف شدة الارتباك، وأنَّ حادثة تعليم البنات كانت مثيرة للمجتمع من عمقه، وقد تداخل فيها أطياف المجتمع كافة، وخاصة ما رشح من موقف بعض علماء الدين[10]، فكانت المملكة آمنة «إذ فجأنا خبر فادح ومصيبة

---

(1) المسيرة التعليمية: 38، جميل أبوسليمان، الشركة التونسية. تونس. دط، دت.

(2) انظر: مجلة اليمامة، العدد 2000، الموافق 21/ 3/ 1429هـ، ص 49.

(3) اليمامة العدد 236، الموافق 28/ 2/ 1380هـ، (حول مدارس البنات)، عبدالرحمن بن فيصل بن معمر.

(4) اليمامة العدد 273، الموافق 22/ 11/ 1380هـ، (حول التعليم في مدارس البنات)، عبدالملك الصحابي.

(5) اليمامة العدد 254، الموافق 7/ 7/ 1380هـ، (القصيم ومدرسة البنات)، سليمان المسلم.

(6) العدد 112، الموافق 9/ 9/ 1381هـ، (هذه الأقلية لماذا نذعن لها)، عبدالرحمن الكريدا، ص7.

(7) 0) العدد 15، الموافق 11/ 9/ 1379هـ، (المعتدل والمايل)، عبدالكريم الجهيمان، ص7، وانظر العدد 20 ص12 وذلك في نقد الجهيمان الساخر لغموض المصير بالنسبة لمدارس البنات.

(8) اليمامة العدد 249، الموافق1/ 6/ 1380هـ، (نقد وتوجيه)، رشيد الخالدي.

(9) الدرر السنية: 16/ 77.

(10) يشير الشيخ المؤرخ إبراهيم العبيد أن شعبية عظيمة حصلت مع الممانعين عندما قرروا رفع أمرهم لولي الأمر (حوار الأستاذ محمد القشعمي مع الشيخ إبراهيم العبيد الواعظ والمؤرخ=

عظيمة، وطامة كبرى؛ ألا وهي فتح مدارس لتعليم البنات في المملكة العربية السعودية على نحو التعليم الموجود في البلاد المنحلة، عن الدين والأخلاق[1]»، كما وُصف تصريح الرئيس العام لمدارس البنات فضيلة الشيخ عبدالعزيز الرشيد بأنه تصريح شنيع[2]، ولاشك أنَّها رؤى تشير إلى حالة الفوضى الفكرية التي اكتملت فيها شروط الفتنة، وهي النازلة التي هبطت على المجتمع، وكانت جهود الأطراف في معالجتها سبيلاً إلى استمرار الجدل فيها.

ولاشك أن قراءة حالة المجتمع من خلال هذه الموجهات الوصفية التي رصدها الكتّاب تكشف عن تشظي الهوية الحضارية، كما تكشف عن الخصومات الفكرية التي ظهرت بين التيارات المختلفة، حتى تم وصف تعليم البنات بأنه طريق الحرام، ثم تحولت الخصومة إلى تبادل الاتهامات بين التيارات بالألقاب الفكرية والأخلاقية المنحطة، ثم الوصول إلى مجابهة مسؤولي تعليم البنات الذين كلفتهم الدولة بذلك ورسمت المسار لهم.

= بتاريخ 19 /10/ 1422هـ)، وفي ترجمة د.عثمان الصوينع للشيخ صالح الخريصي قال عنه: " كان من الذين لايؤيدون مخترعات الوقت الحاضر بل ثابتاً على مبادئه، حتى إنه لايرى تعليم الفتاة العلوم المدرسية المنهجية، جد وجاهد في منع فتح مدارس البنات في بريدة" (الأثر الباقي من خطى الماضي: 8، ط 1، 1429هـ)، ومن جهة أخرى يشير الشيخ حمد الجاسر إلى أن العلماء وغيرهم كانوا يحملون التوجس ضد تعليم الأولاد في بداياته (من سوانح الذكريات: 2/ 667).

(1) الدرر السنية: 16/ 78 . 79.

(2) المرجع السابق: 16/ 80.

بريدة المكرمة!..

يمتلئ قلب الإنسان بحب مسقط رأسه، وهو أمرٌ لامشاحة فيه ولاجدل، ولكنَّ المتأمل يجد في تشوُّق المنتمين إلى مساقط رؤوسهم تأويلاً لحالة اللاوعي التي يعيشونها تجاه هذه البقعة أو تلك، ووفق قوة العلاقة ومسوغاتها تأتي أمانيهم تجاهها، وكأنهم يضعون في أمانيهم وعباراتهم الصورةَ التي يعتقدونها في مدينتهم، مع إدراك الجميع بأن بريدة لاتختلف عن غيرها من مدن المملكة في مكوناتها وولائها الوطني والديني.

وعند البحث في أحداث فتنة القول بتعليم البنات، فإنَّ ذلك يفضي إلى ضرورة مقاربة المهاد الجغرافي والثقافي لهذه الفتنة، وهي مدينة بريدة، ولابد أن نجد في نسيجها الثقافي ما يشي بالبعد الفكري الذي صنع مواقفها، وجعلها تشترك مع غيرها من مدن المنطقة والمملكة في الوفرة الاقتصادية والاجتماعية والإنتاج الثقافي، وتستقل بمزايا مختلفة من حيث النوع والمنهج.

بريدة المكرمة، إذن، هكذا يقولها بعض أبناء بريدة تعبيراً عن الشوق إليها، أو هو تعبير شاع عند فئة من شباب بريدة حال سفرهم، وهو تعبير يركب مركب المجاز والمبالغة والغلو؛ ولئن غُفر لهم بسبب ذلك، وتمَّ تجاوزه بحجة المزاح وأنه مما يُفضي به بعضهم لبعضهم؛ فإنه أمر لايعني انقطاع درس التأويل لواقعهم ومقولاتهم، واستثمار سقطات اللسان وفلتاته باعتبارها مكوناً خفياً عن العقل الباطن[1].

---

(1) نستعيد المثل الشائع لأحد أهالي بريدة عندما سافر إلى الشام، وكان يجلس في أحد متنزاتها الجميلة، فشاكسه رفاقه بأن هذا يستحيل وجوده في بريدة، فقال كلمة ما زالت تتردد عند أهالي بريدة تعبيراً عن حبهم لبريدة، إذ قال: ياحول ياللي ماله بريدة، أي مسكين من ليس له مدينة بريدة ينتمي إليها، وهو ما تتكرر نظائره في الشعر العامي وغيره (من أفواه الرواة: 289، عبدالكريم بن صالح الطويان، دار الجسر ـ الرياض، ط 1، 1410هـ).

هي مدينة بريدة التي حدثت فيها فتنة القول بتعليم المرأة، وهي المدينة التي تشغل حيزاً كبيراً في تفكير الراصدين لحركات الصحوة الإسلامية ورجالاتها ونماذجها، وهي المدينة التي لا تلبث أن يخفت صوتها بشأن قضية، إلا وتصدح بشأن أخرى، وهي التي تجد فيها الأضدادَ جميعاً، فالمتشددون والمحافظون والليبراليون يجتمعون في بقعة واحدة، أو ينتمون إليها، ويفتخرون بذلك، ومع ذلك تبقى صورتها الرئيسة تُحيلنا إلى مقدمات جوهرية أكَّد عليها أهلها وغير أهلها[1]، وصنعت عند أهلها مسوغات أدَّت إلى أن يقول بعضهم: بريدة المكرمة، في تعبير لايُركّز على طبيعة الأرض، فهي صحراوية ومكة جبلية، ولا على اتجاهها، فهي نجدية وتلك حجازية، ولا على مستوى التمازج، فمكة حضرية منذ ولدت وبريدة تصارع في سبيل ذلك، ولكنَّ هذا القول يلتقط

---

(1) أثنى الأستاذ حسين العذل على أهل بريدة، وأنهم إرث مهم، وبعد رئيس للمملكة، وأشار إلى أنه في السبعينات كانت بريدة أكبر مساحة وسكاناً من الرياض، وهي إلى فترة الثمانينات أكبر اقتصادياً من الرياض، وحين استشار الملك عبدالعزيز معاونيه بعد إحدى المعارك إلى من يلجأ؟ أشاروا إليه ببريدة خشية أن يصلها ابن رشيد قبله، لأنها محور سياسي مهم، فوفر أهالي بريدة للملك السلاح والرجال والمال والطعام، وأشار العذل إلى أن موقف أهالي بريدة من تعليم البنات عجيب، إذ إن رفضهم في البداية لم يمنع أن تكون بناتهم أكثر تعليماً من غيرهن من المناطق الأخرى (ثلوثية د.محمد المشوح 30/12/ 1428هـ)، ويقول الشيخ محمد العبودي: إن بريدة هي المدينة التي ظلت لعشرات من السنين تغذي المدن الأخرى بالرجال العاملين، حتى المدن الكبرى خارج جزيرة العرب كان يسكنها الآلاف من أبناء بريدة، ومع ذلك فبريدة خلاف كثير من بلدان نجد يزداد عدد أهلها أضعافا، وتزيد آلافها الموجودة فيها من الرجال آلافا، وكان جيش عقيل. وأكثرهم من القصيم ومن بريدة خاصة. ذا أثر فعال في تاريخ العراق، وأهل بريدة من أكثر الناس صبراً على الاغتراب (معجم بلاد القصيم: 2/ 457، 458، دون ناشر، مطابع الفرزدق، ط2، 1410هـ)، ، وأجد أن هذا المقوم الاقتصادي قد ترك أثره في المناحي الثقافية في بريدة، حيث إن تميز البيئة في القصيم جعل تأثيرها حاضراً يكسر حدة تأثير الجانب الاقتصادي الحديث المتمثل في النفط، إذ بقي مؤثراً كبيراً، ولكنه ليس وحيداً، وهذا بدوره ساهم في ثبات القيم والأنماط الثقافية المرتبطة بالجانب الاقتصادي السائد من حيث البيع والشراء، ومن حيث ما يقوم به التجار من تلبية لحاجات المجتمع الثقافية، فلم تحدث طفرة ضخمة ينتقل فيها جميع الأفراد من الفقر المدقع إلى الثراء الفاحش، وهذا قد يكون سبباً أسهم في صناعة نمط ثقافي يكشف طبيعة المحافظة التي اتسمت بها منطقة القصيم وبريدة بشكل خاص.

خصوصية القداسة الدينية، فيجعل في المدينتين قداسة متماثلة أومتقاربة، ولايخفى ما في هذا من اطمئنان يملأ نفس القائل به إلى أنَّ النموذج الذي يتحدث عنه هو الأنقى والأقدس، ولذلك قالها، وهو ما يدفع بعضهم إلى أنْ يُتبع تلفظه باسم مدينته بقوله: (الله يشرفها)، وهي اللازمة المحلية لذكر اسم مدينة مكة المكرمة.

* * *

تحضر نجد والقصيم ـ وبريدة خاصة ـ بصفتها البقعة الأكثر محافظة عند بعض الراصدين، والأكثر تشدداً عند آخرين، وها هو ذا بالجريف يقول في رؤيته عن نجد: «إنَّ مناطق وسط نجد ـ الموطن الحقيقي للوهابيين ـ هي بمثابة عرين الأسد عند بقية الجزيرة العربية، ذلك العرين الذي لايجرؤ على الاقتراب منه سوى عدد قليل، ولايعود منه سوى أقل من ذلك العدد، وقد قال لنا رجل مسن كنا نطلب منه بعض المعلومات: (هذه نجد من دخلها فما خرج) ... هي في وقتنا الحاضر أيضاً، وربما أقوى من ذي قبل، معقل للمتشددين الذي يعتبرون الآخرين غيرهم كفاراً ومهرطقين[1]»، وبعيداً عن موقفنا من صحة مقولته إلا أنَّ السؤال هنا، ينصرف إلى أسباب هذا القول ومسوغاته، وكيف أصبحت نجد في مخيلة هذا الرحَّالة مرادفاً لعرين الأسد بكل ما يحمله هذا التوصيف من حذر التعبير ومغامرة الاقتراب والاستكشاف، وأن يتم تقديمها للمتلقي بصفتها مهلكة لمن

---

(1) وسط الجزيرة العربية وشرقها: 330 ،وليم بالجريف، ترجمة صبري حسن، المجلس الأعلى للثقافة، 2001م، وفي رأي لمن وُصف بأنه سلفي نجدي نراه يقول : " إنها مفارقة مثيرة أن يكتب أكثر من 110 شيخ وعالم ومثقف سعودي جزء كبير منهم محسوب على الوهابية بياناً يستجدون فيه الغرب التعايش فلا يلتفت لهم الغرب ولا نسمع ولاصحيفة ولومغمورة اهتمت بهذا البيان، بينما نجد فوكوياما يصف وهابية بريدة بأنهم المجموعة الأخطر على العالم الغربي كله رغم أنهم لايتفلسفون كثيراً ولايعرفون الأساليب التي فعلتها الجماعات الإسلامية طوال خمسين سنة ... السبب ببساطة لمن يجهل أن هؤلاء الشيوخ يمثلون الإسلام الصافي" (من بريدة إلى منهاتن: 98 ـ 99، لويس عطية الله، دار الرياض ـ لندن، 2003م)، أقول: ولاشك أن ما وصفه الكاتب بالمفارقة يدعو إلى التفكير، وذلك لأن الكاتب تناول قضية معقدة متشابكة من خلال هذه الرؤية والتحليل العاجل! والشاهد هنا هو إيراد هذه المدينة بوصفها الشاغل والمحرك لكثير من الأطروحات العالمية وفق رؤية المؤلف (وهو اسم مستعار لناشط إنترنتي)

دخلها، وأنّ أهاليها يعتقدون لأنفسهم العصمة والقداسة ويرون غيرهم كفاراً[1].

ولاشك أنَّ بريدة تُمثِّل بُعداً دينياً مهماً، وهي موطن كثير من الأسماء والأنشطة الدينية، وتحضر في المخيال الشعبي بصفتها الدينية. ربما فقط! .، ولو استحضرنا على سبيل التوطئة ما تشغله منطقة القصيم وبريدة خاصة في ذاكرة الرحالة كمثال على هذا الباب، لوجدنا ما يُدهش، فالكلمة المشتهرة عن أمين الريحاني في زيارته لبريدة أنه قال: بريدة ليس لأهلها وقت لغير الاتجار والصلاة[2]، وهي كلمة تكشف جوانب الانفتاح على الناس والانقطاع عنهم، فالتجارة تعامل وتواصل واختلاط وتفاهم، والصلاة انعزال وانفصال واستئناس بالوحدة مع الله، وتلك المعادلة هي ما التقطها أمين الريحاني، وحاول أن يُثير دلالاتها، وقريباً من هذه الرؤية ما يسجله المستر توتشل من أن بريدة أحد مراكز نجد البعيدة الشهرة الآهلة بالسكان، وهي مركز اقتصادي للبلاد على أوسع مداه، ولذلك فهي أكثر الأسواق النجدية حركة وتجارة[3].

وهذا هو داوتي يُكرِّر امتعاضه بمناداته بالنصراني في عدد من مواضع رحالاته في الجزيرة العربية، وحين يفشل كثيرون في دعوته للإسلام يقولون عنه: «إن شاء الله سوف أبقى فترة قصيرة في منطقة القصيم المتفقهة في الدين، إلى أن

---

(1) يمكن أن نشير إلى العبارات التي صدرت من داوتي. مثلاً. وتعبيراته الدينية المتكررة، ومواقفه الحاسمة من الموقف الديني في القصيم (ترحال في صحراء الجزيرة العربية. تشارلز م. داوتي، 2/ 1/ 449، 464، 465، 2/ 2/ 64، ترجمة صبري محمد حسن، المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة، ط 1، 2005م) وهي مواقف لاتفصل مطلقاً عن تحليل شخصيته التي سجلتها رنا قباني عندما أشارت إلى أن داوتي يؤمن بالتفوق الديني الذي يمثله هو، وهي عقلية سائدة في عصره ترى أن نشر عقيدة دينية هي وحدها الصحيحة ستنقذ من هم أقل شأناً، ولذلك اتسم داوتي بازدرائه للإسلام، ويغيظه أن الجزيرة العربية ليست وقفاً على التقاليد التوراتية كما يتمنى، فهو يكره الإسلام وكلّ ما يتصل به، وكانت لغته. بتعبير رنا قباني. مشحونة بالانفعالية والبغضاء والاحتقار والاشمئزاز، وحالات الافتتان القليلة عنده مشوبة بالحقد والضيق (أساطير أوربا عن الشرق: 160. 164، ط3، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1993م)، وهذا يفتح مجالاً لتحليل كثير من العبارات التي ترد عند الرحالة بوصفها وجهات نظر خاصة دون أن تكتسب صفة الحقيقة المطلقة، فهي قابلة للتحليل والقراءة والدرس.

(2) ملوك العرب: 611، أمين الريحاني، دار الجيل. بيروت، ط8.

(3) معجم بلاد القصيم: 2/ 563.

يفتح الله لي طريقي وينورني[1]»، ويقول عنه شاب آخر: «آه ! أنت نصراني، في البلد الذي أنت ذاهب إليه سيحولونك بمشيئة الله إلى مسلم[2]»، وهو نص يصبُّ في الاتجاه العميق من القول بالتدين في هذه البقعة، وهو ما تواتر عليه مخيال المعاصرين أيضاً؛ بل إنَّ داوتي نفسه يصف بريدة بأنها شديدة التعصب الديني ضد النصرانيين[3]، ولكننا نجده يتحدث عن لحظة إقباله ودخوله إلى مدينة بريدة، فيقول: «عندها كانت الشمس قد بدأت تميل إلى الغروب، ومن هذه المنطقة بدأ يترآى لنا منظر طبيعي كما لو كان من مناظر الأحلام! بلدة كبيرة مبنية من الطين وسط الرمال الجرداء، ومن حولها أسوار وأبراج وشوارع ومنازل! هذه هي بريدة! وهذه المنارة (المئذنة) مربعة الشكل هي مئذنة المسجد الكبير في بريدة. رأيت هذه المدينة كما لو كانت القدس في وسط الصحراء، وذلك عندما تنظر إليها من فوق جبل الزيتون[4]»، وهي نصوص تؤكد المكوّن الديني والحضاري في بريدة، وأنها لذلك قد صنعت أفقها داخل الجزيرة وخارجها، وأصبحت لغزاً أو حلماً . بتعبير داوتي . تترآى أمام بصر الجميع وبصائرهم من حيث الغرابة والاختلاف، وهذا الوصف الحضاري الذي سجّله داوتي لمدينة بريدة يُثير سؤالاً واسعاً تجاه طبيعة الموقف الديني فيها.

❊ ❊ ❊

وأحسب أنَّ المتشدد أوغيره إنما يتميز من خلال مواقفه، ولاتوجد قضية تكشف ذلك أسرع من المرأة، إذ هي موطن الخلاف والاتفاق الأكبر، حيث يختلط الديني بالاجتماعي بالأخلاقي، ويُصبح الرجل رهيناً ومستلباً لكل هذه المقومات أو الأطراف، ولاتدري حينها من الذي يصنع من؟ وهو المدخل الذي يتكفل هذا البحث بإضاءته، ليكشف زوايا وأبعاداً نستخدمها للحفر في تداعيات هذه القضية التي لابد أن تُقابل إثارتها من جديد بالعتَب عند طائفة والحب عند

---

(1) ترحال في صحراء الجزيرة العربية . داوتي 2 / 439، تشارلز م . دواتي، ترجمة صبري محمد حسن، المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة، ط 1، 2005م .

(2) المرجع السابق : 2 / 471.

(3) المرجع السابق :2/ 449.

(4) المرجع السابق: 2 / 449.

أخرى، ولكن شفيعي هو الصدق وبذل الوسع في تحقيق ما يجب رصده من التاريخ المختلف فيه وعنه وله.

ولعل مما يضيء هذا الجانب المتصل بالتعليم، ما نجده في إشارة الشيخ عبدالله السليم إلى سبب ممانعة أهل بريدة لمدرسة الأولاد، فقد أعلنت الحكومة عن حاجتها إلى المعلمين في المناطق المختلقة، وذلك من خلال قرار مجلس الشورى في مكة، وأنَّ منْ كان له رغبة وكفاءة من أهالي هذه المناطق فليرشح نفسه، وقد رفض أهالي بريدة هذا العرض، ولم يكن عندهم رغبة بالتعليم، فتعيَّن عندهم الأستاذ موسى عطار من الحجاز، وقد كره أهالي بريدة أن يتمّ تعيين موسى عطار من الحجاز في مدرستهم مع فضله وأخلاقه العالية، حتى إن من يدرس أبناؤه عنده كان لايخبر بذلك أحداً[1]، «وقد كتبوا للملك عبدالعزيز رحمه الله، وقالوا: أنتم تأخذون منا المشائخ، فكيف تحضرون لنا أشخاصاً يدرسون أبناءنا[2]»، وهي رؤية يُلحظ فيها روح الاعتزاز بالذات، وأنهم أكبر من أن يتم تلقيهم العلم من غيرهم، ولئن امتنعوا عن الانضمام وترشيح أحد من أبنائهم

---

(1) من حوار الدكتور صالح الوشمي مع الشيخ عبدالله السليم رحمهما الله (حوار مسجل بتاريخ 25/ 5/ 1405هـ).

(2) صحيفة الجزيرة، (حوار مع الشيخ عبدالله السليم)، العدد 3622، ص 6.4، وقد لجأت للجمع بين المصدرين (الحوار والصحيفة) في قصة واحدة حفظاً لحق الأستاذ الفاضل موسى عطار حيث ذكر في المصدر الأول ولم يذكر في الثاني، وأشير هنا إلى ما ذكره الشيخ عبدالله البسام في ترجمة الشيخ صالح بن عبدالعزيز العثيمين أحد علماء بريدة إذ تحدث عن علمه ورحلاته في العالم الإسلامي فقال عنه: " بعد هذا الإدراك عاد إلى وطنه بريدة، وهو يظن بسعة اطلاعه أنه سيتصدر بلاده في التعليم والتدريس، إلا أن بعض أهل العلم في ذلك الزمن عندهم انغلاق ووحشة من كل منْ يأخذ علومه من خارج البلاد النجدية، فصار بينه وبين قاضي بريدة في ذلك الزمن الشيخ عمر بن سليم وحشة وجفوة أدت إلى أن ترك المترجَم بلده، وسافر إلى مكة" (علماء نجد خلال ثمانية قرون: 2/ 491 ، دار العاصمة ـ الرياض، ط2، 1419هـ)، ولاشك أنها مؤشرات مهمة تكشف طبيعة الموقف من الآخر، مع أن هناك من الباحثين من أشار إلى أن سبب هجرة الشيخ صالح العثيمين إلى مكة أنه حمل معه من سفره كتباً لم ترق لعلماء نجد والقصيم كالفلك والنجوم، فوشى به بعض طلبة العلم إلى بعض شيوخه، وزعموا أن لديه كتباً في السحر وتعلمه، ولم يجد بداً من الهرب إلى مكة عام 1352هت (صحيفة الجزيرة، العدد 13051، الموافق 18/ 6/ 1429هـ، الشيخ صالح العثيمين الساعاتي الموسوعي، د.محمد المشوح).

للتدريس النظامي، فإنهم لن يقبلوا أن يقوم بهذه الوظيفة رجل من غيرهم، حتى إن كان من الأخيار الفضلاء، ولذا جاء الحلُّ السياسي لهذه المسألة لابتعيين أحدهم، وإنما بإلقاء العبء عليهم، فطُلب منهم انتخاب أحدهم وترشيحه؛ ليتمّ تعيينه، وهو موقف يلغي مسألة الممانعة، ويتم به تشريع ما كان ممنوعاً.

وهي مواقف تحيلنا إلى قضية السمو والرفعة التي يشعر بها بعض أهالي بريدة، ولئن كانت سمة توجد وتنمو في نفوس أهالي المدن جميعاً، وذلك بوصفها نوعاً من أنواع العصبيات الثقافية التي يوجدها الإنسان ويتماهى معها، فإن الفارق هنا أن الاعتزاز ديني ومقدس، أو هو بصدد القداسة للمدينة، وهو ما يُذكرنا بالطرفة الشعبية عن رجلين تحدثا عن فساد العصر، ثم حددا الكفار، ثم خصصا اليهود، ثم صرفا حديثهما إلى أهالي التجارة والصناعة والسفر، ثم أطنبوا في توصيف الفساد في المدن الأخرى، إلى أن عمموا الفساد وفق رؤيتهم على الجميع، ووصلوا نتيجة لهذه الرؤية المغالية إلى مدينتهم، ثم اختصموا أخيراً فيما بينهم أيهما الأصلح؟

* * *

هذه توطئة وإشارات عابرة تأتي في بداية النظر والتأمل في فتنة القول بتعليم البنات، والتي كانت وقائعها تجري خاصة في مدينة بريدة، وهي الممانعة الكبرى في تاريخ المواقف الشعبية، وأحسب أنَّها صنعت ذاكرة بريدة عند كثير من الراصدين . كما سيأتي بيان مواقفهم .، وأصبحت هذه المدينة بما توافر لها من خصائص رمزاً فكرياً موجِّهاً للرؤى والتأويلات عند كثيرين، وسيجدون في المكان والأشخاص والزمان والتاريخ المرتبط بهذه المدينة ما يثيرهم على مستويات عدة، سواء في البحث والتنقيب، أو التحليل والدرس، أو الاختلاق والتقول، أو النشاط والهمة لرصد المختلف من التاريخ.

النافذة الأولى..

الحمدلله وحده وبعد، فلقد صحّت عزيمتنا على تنفيذ رغبة علماء الدين الحنيف في المملكة في فتح مدارس لتعليم البنات العلوم الدينية، من قرآن وعقائد وفقه، وغير ذلك من العلوم التي تتمشى مع عقائدنا الدينية، كإدارة المنزل، وتربية الأولاد وتأديبهم، مما لا يُخشى منه عاجلاً أوآجلاً أي تغيير على معتقداتنا، لتكون هذه المدارس في منأى عن كل شبهة من المؤثرات التي تؤثر على النشء في أخلاقهم وصحة عقيدتهم وتقاليدهم، وقد أمرنا بتشكيل هيئة من كبار العلماء الذين يتحلّون بالغيرة على الدين لتشرف على نشء المسلمين في تنظيم هذه المدارس، ووضع برامجها بمراقبة حسن سيرها فيما أنشئت له، وتكون هذه الهيئة مرتبطة بوالدهم حضرة صاحب السماحة المفتى الأكبر الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، على أن تختار المدرسات من أهل المملكة أو غيرهم اللواتي يتحقق فيهن حُسن العقيدة الإيمان، ويدخلُ إلى هذه المدارس ما قد سبق فتحه من مدارس للبنات في عموم المملكة، وتكون جميعها مرتبطة في التوجيه والتنظيم بهذه اللجنة، تحت إشراف سماحته، مع العلم أنّ هذا التشكيل يتقدم الوقت الكافي بتهيئة وسائل التأسيس، ونأمل أن يكون ذلك في وقت قريب، والله الموفق، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

النطق الملكي الكريم

سعود[1]

* * *

---

(1) صحيفة أم القرى، السنة 36، الجمعة 21 ربيع الثاني 1379هـ، وقد جرى تعديل أسلوبي شكلي في بعض النسخ الأخرى من الأمر الملكي الكريم (تعليم المرأة خلال مائة عام: 211، تعليم البنات خلال مائة عام، الرئاسة العامة لتعليم البنات، 1419هـ).

تبدأ القصة بالنطق الملكي الكريم الذي يقضي بافتتاح مدارس لتعليم البنات في مدن المملكة الرئيسة، أو هي عواصم المناطق، وعلى إثر هذا القرار تنامت فتنة القول بمنعها وحظرها، والقول بأنها تنامت مقصود من حيث الفارق الكبير بين القول بذلك والقول بولادتها، فالجدل والاختصام بشأنها سابق للقرار، وتذكر صاحبة السمو الملكي الأميرة فهدة بنت سعود قصة هذا المرسوم الملكي عندما طلب عدد من الأهالي الدخول إلى الملك سعود لمطالبته بفتح مدارس للبنات لزيادة أعداد الفتيات الراغبات في التعليم، وعدم استيعاب مبرة الكريمات ومبرة الملك عبدالعزيز لهذه الأعداد «فسهل لهم سعيد الكردي رئيس الاستخبارات آنذاك مقابلة الملك، ودخل معهم القصر، وأطلقوا نداءات يطالبون فيها الملك بتعليم البنات، فسمح لهم الملك بالدخول، وقال لهم: ما تريدون؟ قالوا: نريد فتح مدارس للبنات، قال لهم: المشايخ معارضون، قالوا: ليأمر الملك بإحضارهم على مرأى ومسمع منا. حضر المشايخ فعلاً، وبعد أخذ ورد بين معارض ومؤيد، انتهى الرأي إلى أن تعليم المرأة حلال، إذا كان في حدود الاستقامة والشرف والعفة، وفي الوقت نفسه أعطى الملك للمشايخ صلاحيات القيام بإنشاء مدارس للبنات، فأصدر المرسوم الملكي الذي يقضي بإنشاء الرئاسة العامة لتعليم البنات، وأمر بفتح المدارس في جميع أنحاء المملكة[1]»، وهو نص كاشف لعدد من البذور الفكرية لحركة تعليم البنات، بالإضافة إلى ما يشي به هذا النص من نمط حجاجي واضح تمت فعالياته بحضرة الملك.

وتسمية هذا الحدث بالفتنة هي تسمية مشروعة، ومسوغاتها متعددة، ولك أن تتخيل تلك الفترة الزمانية، وفي هذه البقعة التي تنتمي إلى دولة تُكابد لتقف على أشدِّها، ثم يأتي منْ يدعو إلى إخراج البنت (وليست الكبيرة) من بيتها (هكذا يتلقى التصور البدائي معلوماته)، وهو نمط سيكسر ما تواطأ عليه بعضهم من أنَّ للمرأة خروجين؛ إلى بيت زوجها وإلى قبرها، ومن هنا تكتسب هذه الحادثة بُعدها الفتنوي، بالإضافة إلى الوسائل التي استخدمها الخصوم في تأييد مسالك القول برأيهم واتجاههم، ولأنَّ المرأة قادرة على إثارة ما لايُثار، فقد كان هذا هو الاختبار الأول. والمتكرر! . لهذا المجتمع الذي يتحفز ويحتشد للنهوض كل

---

(1) تاريخ الملك سعود الوثيقة والتاريخ: 3/ 83، د.سلمان بن سعود بن عبدالعزيز، دار الساقي، ط1.

حين، وهو ما يدعو إلى معالجة هذه التداعيات وفق مسالك متعددة.

ولم تكن هذه القضية سطراً نحيلاً في سجل القضايا الكبرى التي شغلت الناس، وإنما هي إحدى القضايا الرئيسة التي واجهت هذا المجتمع الحديث النشأة، والذي يُغالب الحياة وتغالبه للظفر بالسبق الحضاري، ولاريب فالتعليم سُلّم الحضارة الأول، والسؤال النهضوي الرئيس، وقد سبق الأمر الرسمي حديث واسع شاع بين الناس، ورصدته الصحافة، وذلك حول افتتاح مدارس تعليم البنات[1]، وهو الموضوع الذي شغل الناس في مجالسهم وصحفهم[2]، فكان هذا الحراك هو ما مهَّد للبداية الفعلية به؛ وهذا دالٌ على أنَّ المجتمع عاش تفاصيل الحدث ومازجه، وأصبح متأثراً بالصراع الفكري الذي يمتلئ به الوسط الديني والثقافي.

وقد صدر النطق الملكي محفوفاً بحشد من الكتابات على مستوى البرقيات والرسائل والمقالات والخطب والأحاديث الشخصية، فجاء هذا النطق في خضم هذه المعمعة، فزاد حراكها وتفاعلها، ولم يكن هذا النطق لينهي تداعيات القضية، وإنما أشعل أطرافها وزادهم حماسة وفاعلية، بقدر ما قام بتوضيح مسار الأحداث، ورسم خارطة التحول الاجتماعي، وكان إيذاناً بأنَّ الحكومة قد دخلت في هذا الحراك بوصفها طرفاً ومحركاً رئيساً لاتجاهاته.

---

(1) انظر: الدرر السنية: 16/ 71.

(2) اليمامة العدد 233، الموافق 7/ 2/ 1380هـ، (تعليم البنت ضرورة ولكن)، عبدالرحمن السدحان.

لماذا اشتهرت بريدة بذلك دون غيرها ؟

لاتبدو مدينة بريدة عابرة في صفحات التاريخ، وهي قاعدة القصيم وأم مدنه وقراه بتعبير أحد الذين تداخلوا في هذه القضية[1]، فهذه المدينة تخلق نفسها وقضاياها كل حين، وليس غريباً أن يتساءل أحد الكتاب عن هذه المدينة التي ينتمي إليها عبدالله القصيمي وسليمان الدخيل وحمود العقلاء ومحمد العبودي وعبدالعزيز المسند وصالح الفوزان وعبدالكريم الحميد وإبراهيم العبيد وتركي الحمد وسلمان العودة وعبدالله الحامد وحسن الهويمل وإبراهيم البليهي ومنصور النقيدان وغيرهم من مختلف الاتجاهات، وكيف يجد هؤلاء جذوراً فكرية لهم في موطن آبائهم وأجدادهم، إذ تتزاحم رؤاهم السلفية والصحوية والموالية والمعارضة والمنفتحة والمتسامحة والليبرالية في بساط واحد، وذلك استجابة طبيعية لنمط المدينة الاقتصادي والاجتماعي، فهي مدينة تأرز إلى ثِقل اقتصادي واجتماعي يتحكمان في حركتها العامة، ولذلك وصفت بأنها «المدينة التي لم يفهمها أحد[2]»، وذلك توصيف يتناغم مع طبيعة المدن المتعددة الشرائح والرؤى والمكونات، فبريدة «أصبحت منذ مطلع القرن الرابع عشر من أكبر المدن وأهمها في نجد، ومن أكثرها تأثيراً في مجريات الأمور السياسية، فأصبحت لا تكاد تمر سنة إلا وتذكر بريدة في أحداثها، أو يكون لها علاقة بما دار فيها مما يجعل الأمر واسعا، ويجعل إيراد كل الأحداث المتعلقة ببريدة بعد دخول القرن الرابع عشر بمثابة من يؤرخ لنجد كلها[3]»، فانتقلت المدينة من كونها بقعة جغرافية، إلى أن تكون رمزاً وإطاراً فكرياً تستتبعه مجموعة من الرؤى.

---

(1) العدد 47، الموافق 12/ 5/ 1380هـ، (مدارس البنات)، ضحيان العبدالعزيز، ص 1.

(2) الشرق الأوسط، الثلاثاء 15/ 9/ 1423 هـ، العدد 8757، (بريدة.. المدينة السعودية التي لم يفهمها أحد)، طارق الحميد.

(3) معجم بلاد القصيم: 2/ 501. أقول: أعتقد أن التكتل المدني الكبير والطبيعة الاقتصادية =

ولايجب أن نغفل في هذا السياق عن أن مدينة بريدة قد احتضنت حراكاً فكرياً مبكراً كان يختلف في كثير من الأمور العقدية والتشريعية، وبالعودة إلى تراجم علمائها في القرن الثاني والثالث عشر وبدايات الرابع عشر نجد وفرة في تأصيل هذا المنحى، فلم يكونوا ذوي اتجاه واحد، بل تعددت آراؤهم ومناهجهم ومصادرهم، وتجلى بعضها بوصفه خلافات وخصومات بين حزبين. بعبارة الشيخ عبدالله البسام [1]. يمثلان رؤى شرعية تتفاوت في طرائق الفهم والتأويل للمسائل، وهي تستعاد الآن بوصفها تعدداً وتنوعاً في العطاءات الثقافية، وهي مواقف يرى الدكتور محمد السلمان أنها انحصرت في بريدة وحدها[2]، وهذا يؤكد على التنوع في الرؤية الفكرية في المدن ذات الوفرة الاقتصادية والاجتماعية بخلاف غيرها، وهو ما يعيد السؤال مرة ثانية عن سبب التواتر المعاصر على إيجاد سمة عامة ووحيدة توصف به هذه المدينة، مع أن تاريخها وواقعها يعطي نتيجة تخالف هذا، أو تخفف من القول به!

وحين نوجِّه الحديث إلى قضية تعليم البنات، فإنَّ المشتهر هو رفض أهالي بريدة، ولكنَّ المستتر هو وجود عدد من المدن والقرى الأخرى التي واكبت هذا التحفظ تجاه تعليم المرأة، وربما وصل بعضها إلى مرحلة التعدي اليدوي على منْ جاء ليفتتح هذه المدارس، ففي الزلفي على أطراف منطقة القصيم؛ رأينا البيئة التي قام نفر من أهلها بالاعتداء على منْ انتدب لافتتاح المدرسة، وقد كان طريفاً أن يتسلَّل من المسجد أول مندوب لتعليم البنات في هذه المحافظة، وهو ذلك الرجل الذي ابتعثته الحكومة ليفتتح مدرسة فيها بعد أن سمع خطبة نارية في التحذير من هذا الأمر، والأمر بالتواصي والوقوف ضدَّه، فكان يلتفت يميناً

= في مدينة بريدة يفرض على أبجدياتها الثقافية هذا التنوع والتعدد، ولعل قراءة تراجم علماء بريدة التي ضمها كتاب علماء آل سليم للشيخ صالح العمري أو علماء نجد في ثمانية قرون للشيخ عبدالله البسام تكشف للراصد المدارس الفكرية التي انتشرت في بريدة منذ مجيء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب حيث تفاوت العلماء في استقبالها من الإيمان العميق بها ومناصرتها إلى غير ذلك من المواقف المضادة.

(1) علماء نجد في ثمانية قرون: 1/279.

(2) الأحوال السياسية في القصيم: 376، د.محمد السلمان، ط2، 1420هـ.

ويساراً، ويُردد: لاحول ولاقوة إلا بالله؛ ليُشعرهم بتفاعله معهم، ولم يكونوا على معرفة به حينها، فتيسّرت له فرصة للهرب، والالتجاء إلى الإمارة، ثم جاءه الممانعون هناك وطالبوا به؛ لتأديبه، وكان أحد الذين ناصحوا الناس وحذروهم من تعليم البنات في هذه المحافظة القريبة من الرياض يقارن بين المدارس التي تزمع الحكومة افتتاحها وبعض مواقع الفساد في إحدى الدول المجاورة، وهو أحد رجال الدين الكبار من المعاصرين، ولم تُفتتح مدرسة تعليم البنات في هذه المدينة النجدية إلا من خلال كتيبة من الجند قادها أحد كبار الشخصيات التي تولّت الوزارة مؤخرا، فيقول الشيخ عبدالله بن محمد الحسيني متحدثاً عن هذه المحافظة: «في إحدى المناطق القريبة من الرياض أرسلتني الرئاسة العامة لتعليم البنات بسيارة محملة بالأثاث المدرسي، والكتب المدرسية، والأبواك الخاصة بالمدرسة، ومهمتي أن أستأجر مقراً مناسباً لمدرسة البنات؛ لكن بعض المعارضين لافتتاح هذه المدرسة لم يستوعبوا هذا الوضع فرفضوا فكرة وجودي بينهم، وطالبوا أمير المنطقة بطردي، رغم أنني حاولت أن أشرح لهم طبيعة عملي وبأنني مكلف من طرف الدولة ومن سمو الأمير سلمان أمير منطقة الرياض، وأبرزت لهم ما لديّ من خطابات رسمية موجهة لأميرهم تدعوهم ليتعاونوا معي ويسهّلوا مهمتي، إلا أنهم رفضوا بشدة لكنني لم أعبأ بهم، لأن غالب الأهالي يرغبون بتعليم بناتهم، فكتبتُ إعلانات بخط اليد، ووزعتها في الطرقات، وألصقتها على الجدران فحواها أن الرئاسة العامة لتعليم البنات تعتزم افتتاح مدرسة بنات، ومن يرغبُ في تأجير منزله ليكون مقراً للمدرسة، أو منْ يرغب في إدخال بناته المدرسة للتعليم، فعليه مخاطبة مندوب الرئاسة العامة لتعليم البنات في مقر الإمارة، وكان أكثرية الأهالي يأتون إليّ يرغبون في تسجيل بناتهم في المدرسة، إلا أحد حراس أمير المنطقة جاءني في يوم وأخبرني أنّ هؤلاء المعارضين قد مزّقوا الإعلانات، ولايريدون مدرسة بنات عندهم، فلم أتحدث مع أحد منهم، بل استمريت في تسجيل أسماء البنات لمن ترغب في التعلم، إلا أن هذا لم يعجبهم، فبدؤوا يضايقونني بالكلام في الطريق عندما يرونني أسير، ويطلبون مني سرعة المغادرة، وفي صلاة الجمعة كنت في الصف الأول في المسجد، وإذا بأحد طلبة العلم الشباب، وهو حالياً أستاذ في إحدى الجامعات، يخطب في المصلين ويحرضهم عليّ، بل إنه أهدر دمي، ثم كتب هؤلاء

المعارضون خطاباً للمفتي يعارضون فيه إنشاء المدرسة ... وعموماً تمّ استئجار مقر للمدرسة، ودرّست البنات بعد أن أرسلتْ الرئاسة مندوب آخر هو معالي الدكتور عبدالله العبيد[1]»، ويشير الدكتور محمد الشويعر إلى قصة هذا الحدث المؤثر فيقول: عندما ذهب المندوبون لفتح المدارس وترغيب الأهالي والبدء بلقاء القاضي والأمير والشخصيات المعتبرة «لكنّ الجهلة والغوغائيين قاطعوهم، ولم يتيحوا لهم الحديث أوالنقاش، بل أسكتوهم وهاجموهم وسبوهم بعبارات لاتليق ... نموذج ذلك أن أحدهم هو: ع.ح. كانت مهمته في الزلفي، فطارده الغوغائيون من المسجد وكفروه، وفرّ منهم، وأمسكوا بمشلحه فتنازعه منهم ومزقوه، واحتمى ببيت الأمير القريب منه ولحقوا به فخاف منهم، لأنهم دخلوا عليه في بيت الأمير، والتجأ إلى عائلة الأمير، حتى ينجوا من شرهم، فدبّر له الأمير سيارة تنقله من الباب الخلفي إلى الرياض بأقصى سرعة وبخفية[2]»، وفي هذه المحافظة وجدنا أحد الرافضين تجاه تعليم البنات. كما يروي لي الأستاذ محمد القشعمي. يظل ينتقل بأولاده من قرية إلى أخرى، كلما فتحت مدرسة البنات في واحدة هجرها إلى أخرى، وظل على ذلك فترة من الزمن اشتهر بذلك، إلى أن أصبح ولده الآن من أنبغ أقاربه في التحصيل العلمي العالي، وشهود هذه المرحلة في هذه المحافظة وغيرها ما زال بعضهم أحياء، وهو ما يطرح أهمية البوح واستعادة أحداث التجربة التعليمية من خلال شهادات يطرحها المعنيُّون بتجرد من عواطفهم، وذلك رغبة في رسم الأفق الموضوعي لهذه القضية، وبذلك يتم استبانة موقع مدينة بريدة في هذا السياق، وأن هناك غيرها من المدن والمحافظات من شاركها. وربما زاد عليها. الموقف من تعليم البنات النظامي.

وبالإشارة إلى الممانعة التي حدثت في بريدة والزلفي، فقد «حصل شبيه بهذا في وادي الدواسر مع المندوب م.ص. ففرّ من ملاحقة الغوغائيين من الأهالي

---

(1) مجلة اليمامة، العدد 2000، الموافق 21/ 3/ 1429هـ، ص 49، وانظر حديث الأستاذ محمد القشعمي عن هذه القصة (مجلة رؤى، العدد31 28 نوفمبر، تعليم البنات المخاض الصعب، محمد القشعمي، ص71).

(2) انظرْ: محاضرة الدكتور محمد بن سعد الشويعر التي ألقيت في نادي مكة الثقافي بتاريخ الثلاثاء 15/ 08/ 1428هـ بعنوان (من الذاكرة: محطات في بدايات تعليم البنات في المملكة).

المتأثرين من كلمات أولئك الذين يجوبون الديار، تحذيراً من تعليم البنات وما وراءه - في مفهومهم - من شرور وآفات[1]».

ولم تكن هذه المدينة التي قاوم بعض أهاليها تعليم البنات إلا أقرب المعارضين في هذا التوقيت والمكان إلى بريدة، وهناك غيرها[2]، وأمّا ممانعو تعليم البنات فنحن نجد امتداداً واسعاً لهم، وكانت القاعدة الفكرية التي تلتزم بها طائفة منهم أن «تعليم المرأة معصية[3]»، فتعليم البنات في عهد العثمانيين والهاشميين كان غامضا، ولم نعثر في كتاب على إشارة تشير إلى تعليمها في قلب الجزيرة[4]؛ بل إن الحرملك الذي ذاع في الدولة العثمانية أصبحت النساء فيه كالسجينات، وانقطعن عن الحياة الاجتماعية والعلمية[5]، وفي الحديث عن الحجاز إبّان إمارة الشريف حسين يؤكد الدارسون تخوفه في آخر عهده من تعليم المواطنين[6]، ولم تكن الظروف الاجتماعية والاقتصادية الصعبة التي عاشتها البلاد قبل العهد السعودي من شأنها أن تشجع على التعليم، حتى كاد أن يضمحل العلم والمتعلمون[7]، ويواجه الملك سعود معضلة الرفض التام من معظم شرائح المجتمع لتعليم البنات، ويسعى إلى إقناع أفراد الأسرة المالكة

---

(1) المرجع السابق.

(2) انظر حديث الأستاذ مطلق البلوي عن التعليم في منطقة تبوك وممانعة بعض الأهالي لتعليم البنات (الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود بحوث ودراسات: 1/316، ط1، دارة الملك عبدالعزيز - الرياض، ط1، 1429هـ).

(3) مقدمة كتاب تحرير المرأة في عصر الرسالة: 1/5، عبدالحليم أبوشقة، دار القلم - الكويت، ط6، 1422هـ.

(4) انظر: الحركة الأدبية: 153.

(5) انظر: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها: 639559، عبدالعزيز الشناوي، مكتبة الأنجلو المصرية.

(6) الملك عبدالعزيز والتعليم: 207، الدكتور عبدالله أبو راس والأستاذ بدر الديب، ط2، 1413هـ، ويشير الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ أن الملك عبدالعزيز عند دخوله إلى الحجاز عام 1343هـ استلم من عهد الشريف حسين أربع مدارس تحضيرية حكومية (لمحات عن التعليم وبداياته : 135، عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ، شركة العبيكان للنشر، 1412هـ).

(7) انظر: الدور التربوي لمدرسة تحضير البعثات: 15، سليمان الجودي، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ط1.

بذلك[1]، وكانت البنت مهملة ومحرومة من العلم في اليمن[2]، وواجه تعليم البنات كثيراً من الصعوبات في دبي[3]، واشتعل أوار فتنة في قطر، فكتب الشيخ محمد بن مانع[4] المشرف على التعليم والشؤون الدينية والقضاء تقريراً حول

---

(1) انظر: تاريخ الملك سعود الوثيقة والتاريخ: 3/ 8281 ، وتذكر الأميرة فهدة بنت سعود أن مدرسة كريمات ولي العهد أسست عام 1371هـ في قصر الملك سعود، وبدأت فقط بتعليم بنات الملك سعود عندما كان ولياً للعهد، وكانت المدرسة بداية لإقناع الأهالي بضم بناتهن للمدرسة" صحيفة الجزيرة، الأميرة فهدة بنت سعود تصحح للدكتور للدكتور ابن دهيش، العدد 9501، 13/ 6/ 1429هـ.

(2) التعليم في الجمهورية اليمنية: 288 . 289، د.علي با عباد، مكتبة الإرشاد. صنعاء، ط6، 1423هـ.

(3) تاريخ التعليم في دبي: 198، د.غازي الشيخ، ط1، 1425هـ.

(4) يذكر الشيخ عبدالله البسام أن الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع آية في العلوم، وقد عينه الملك عبدالعزيز عام 1365هـ مديراً عاماً للمعارف، ثم أسند إليه رئاسة دار التوحيد، وما زال مديراً للمعارف حتى شكلت وزارة المعارف، وأسندت وزارتها إلى الأمير فهد بن عبدالعزيز وقتها، وفي عام 1374هـ طلبه حاكم قطر الشيخ علي بن ثاني من حكومتنا وصار مشرفاً على سير التعليم فيها وإصلاح مناهجه (علماء نجد خلال ثمانية قرون: 6/ 109)، وبعد وفاته نعته وزارة المعارف في قطر بأن له فضلاً في تنشئة أجيال من العلماء في الجزيرة وهو كبير علماء قطر (موقع الشيخ العلامة محمد بن مانع . http://almana.info/almana/pages/ all_what_told.php?num2=30)، علما أن هناك من المصادر التي تشير إلى أن الشيخ تولى القضاء في البحرين فترة من الزمن قبل انتقاله إلى قطر بعد العرض الذي قدمه له الوجيه البحريني مقبل الذكير، وأنه بعد بدايته القوية في قطر وفد إليه السيد علي بن محمود من أعيان الشارقة وعرض عليه الانتقال إلى الشارقة وبذل لذلك الكثير، ولكن الشيخ قد اعتذر (تاريخ التعليم الشعبي في قطر د.كمال ناجي مدير وزارة التربية والتعليم نقلا عن موقع الشيخ محمد بن مانع http://almana.info/almana/pages/ all_what_told.php?count= 3&num2=54)، وكان ذهابه إلى قطر بتاريخ 1334هـ وبقي فيها قرابة ربع قرن (روضة الناظرين: 2/ 283، لمحمد بن عثمان القاضي، 1400هـ)، كما أن هناك إشارات إلى أن أثره امتد إلى عمان والخليج العربي، وتمت الاستعانة به في الحركة التعليمية، بالإضافة إلى وظيفتي القضاء والإفتاء (مجلة المنهل، ذو القعدة، 1385، ص865، ولي الدين أسعد)، ويشير غيره إلى بعثة الطلاب العمانيين إليه لطلب العلم تحت يده (رجل ومولد قرن: 192، مبارك الناجي، دائرة الثقافة والإعلام. الشارقة، ط1، 1418هـ)، وفي عام 1366هـ أسندت إليه رئاسة دار التوحيد في السعودية، واستمر إلى أن أُحدثت وزارة المعارف وأسندت إلى الأمير فهد. الملك فهد رحمه الله. فنقل الشيخ ابن مانع ليكون مستشاراً بمرتبة وكيل وزارة حتى عام 1377هـ=

تعليم البنات[1]، ويقدِّمه لسمو الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني حاكم قطر[2]»، وكان لابد من بذل جهود ضخمة لتحقيق هذا الهدف، وذلك بمحاولة إقناع المرحوم عظمة الحاكم الشيخ علي، والحصول على موافقته[3]»، «ولقد قامت قيامة أهل الزبير وبعض البصريين حينما اعتزمت حكومة العراق فتح مدرسة للبنات في البصرة؛ فعدّوا ذلك من أعظم المنكرات[4]»، ولم يكن تعليم البنات في العراق بالأمر الهين، بل كان وعراً بالغ الوعورة، ولم يكن الرأي العام يرى أهميته، وجماعات كبيرة تزعم أنه يفسد الأخلاق[5]، ونجد صحيفة المنار في مصر تنصُّ على أنَّ «أكثر الناس عندنا يعتقد ضرر تعليم البنات، وليس لنا من

= (مشاهير علماء نجد وغيرهم: 416، عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ط2، 1394هـ)، ويفيد في ترجمة الشيخ المفصلة العودة إلى (مجلة البحوث الإسلامية، ذوالقعدة وذو الحجة، العدد 54، 1419هـ، من رواد العلم والتعليم في المملكة الشيخ: محمد بن عبدالعزيز المانع، د.محمد الشويعر).

(1) قام الشيخ خليفة بن حمد بعد توليه رئاسة المعارف بدعوة الشيخ محمد بن مانع وعلماء آخرين ومنهم الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود والشيخ عبدالله بن تركي وكان من بين الحضور الشيخ علي بن جبر آل ثاني، فوجه الشيخ خليفة إلى ابن مانع سؤالاً مباشراً : ما رأيك في تعليم البنات ومن يحرمه؟ فرد ابن مانع: إن من يحرم تعليم البنات هو أجهل من جاهل، فلم يرد أحد من الموجودين، وكان بعضهم يعارضون تعليم البنت، ولما هموا بالغسيل قال الشيخ خليفة لابن مانع: يا شيخ أفرج عن نصف الأمة. أريد فتوى (التعليم فى قطر - النصف الأول من القرن العشرين نقلا عن موقع الشيخ العلامة محمد بن مانع)
http://almana.info/almana/pages/all_what_told.php?count=22&num2=49.

(2) اليمامة العدد 118، الموافق 24/ 9/ 1377هـ، (عدم تعليم البنات مطلقاً يخالف الدليل الشرعي)، ص1، وقد أثبتُّ نص التقرير في الملحق اعتمادا على المصدر في الهامش السابق، ويبدو أن رأي ابن مانع رحمه الله كان له صدى واسع، ولذا سارعت صحيفة اليمامة بنشره.

(3) التعليم فى قطر - النصف الأول من القرن العشرين نقلاً عن موقع الشيخ محمد بن مانع السابق.

(4) جزيرة العرب في القرن العشرين: 112، حافظ وهبة، لجنة التأليف والنشر. القاهرة، ط5، 1387هـ.

(5) تاريخ التعليم في العراق في عهد الانتداب البريطاني: 118 . 119، عبدالرزاق الهلالي، دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد، ط1، 2000م، تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني: 166، عبدالرزاق الهلالي، مطبعة المعارف. بغداد، دط، 1975م.

هؤلاء المتعلمات في المدارس حجة عليهم[1]»، ولقد صاحبَ افتتاح مدرسة البنات في القاهرة ضجة كبيرة[2]، وكان المجتمع السوداني يستنكر تعليم البنات ضمن قيم الأسرة[3]، واختصرت الحكومة في السودان فرص التعليم على الذكور، ولم تبد أي اهتمام لا من قريب ولا من بعيد، بسبب تخوفها من تقاليد المجتمع الصارمة، بل إن الحكومة أمعنت في الحذر والخشية حتى بعد أن تقبل المجتمع فكرة تعليم البنات ورغب فيها[4]، وتعيش الفتاة ظروفاً مناوئة لتعليمها في البحرين، فتعد «ذهاب البنت إلى المدرسة عيباً»، وقام بعض رجال الدين «لكي يخطبوا في الناس من المساجد، ويوضحوا لهم مساوئ تعليم البنات[5]»، وتأخر تعليم الفتاة في الكويت لأن المجتمع أهمل ذلك[6]، وتم اعتبار فكرة تطوير تعاليم البنات فكرة جريئة لمخالفتها للتقاليد والعادات، فواجهها بعض رجال الدين الكويتيين بالمعارضة الشديدة[7]، وفي ليبيا لم يكن بإمكان المرأة أن تتعلم[8]، وتأخر افتتاح مدارس تعليم البنات في الأردن مقارنة بتعليم الذكور[9]، وفي المغرب كانت «المعرفة بشتى فروعها امتيازاً مقصوراً على الذكور دون الإناث[10]»، وهناك في المغرب من كان يؤكد على أن تعليم المرأة ضرر كله[11]، وهناك فتاوى وكتابات باللغة الأوردية تمنع النساء من

---

(1) مجلة المنار، مجلد 5، جزء 5، ربيع الأول، 1320هـ، ص194.

(2) عبدالقادر القط ذكريات عمر: 33، عبدالبديع عبدالله، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002م

(3) المرأة السودانية بين الماضي والحاضر: 7559، نفيسة كامل، مطابع مؤسسة الخليج للنشر والطباعة، الخرطوم، 1994م.

(4) تعليم الفتاة السودانية بين التمييز والتميز: 15 .16، د.سعاد عيسى، شركة ماستر التجارية، 2002 م.

(5) تطور نظم تعليم الفتاة في دولة البحرين: 13، مريم السليطي، وزارة التربية والتعليم، 1988م.

(6) تعليم المرأة في الكويت: 5، د.أمل الصباح، جامعة الكويت، ط1، 1989م.

(7) تاريخ التعليم في الكويت والخليج: 162، 167، صالح جاسم شهاب، دط، دت.

(8) تطور تعليم البنت: 37، أحمد القماطي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، ط1، 1393هـ.

(9) هل يقدم تعليم واحد للذكور والبنات؟: 15، بياتريس دوبون، اليونسكو، 1981م.

(10) المرأة بين التعليم والشغل: 9، فاطمة أزرويل، دار وليلي، ط1، 1996م.

(11) تعليم الفتيات لاسفور المرأة: 10، تعليم الفتيات لاسفور المرأة، محمد الحجوي الثعالبي الفاسي، تحقيق محمد بن عزوز، مركز التراث الثقافي المغربي، 1425هـ

الكتابة[1]، وليس من المعتزم في جامايكا في الخطة الخمسية ولا في القانون حتى عام 1983م وضع أي تدابير لمساعدة البنات في مجال التعليم، ولم تتضمن وثيقة التعليم في البرتغال حتى عام 1971م أية إشارة إلى تعليم المرأة، ولم يتم تقرير التعليم الإلزامي فيها إلا بعد سنوات، ولم يتح لفتاة واحدة أن تحصل على تعليم مدرسي قبل الثورة المنغولية 1924م[2]، وتشير الدراسات إلى وجود عنف يمارس ضد الراغبات في الالتحاق بتعليم المرأة في بوركينافاسو مثلاً[3]، وفي دراسة إيزابيل ديبلي الدولية حول تعليم البنات نجد تحفظاً عند طائفة من التجمعات السكانية العالمية حول تعليم البنت، » وقد يبلغ الأمر حد الشعور بأنّ إرسال البنت إلى المدرسة ضرب من العار[4]«.

فهذه أمثلة ونماذج صريحة في هذا الاتجاه، وهي تحمل درجات من العنف والحدّة في هذه الرؤية، والسؤال الكبير هو: لم اشتهرت بريدة دونهم بهذه الممانعة؟! وأصبح اسمها متداولاً في أعرافنا الثقافية، وكأنها الوحيدة في ذلك، وهي قضية يجب درسها وبيان مظاهر الجدل فيها، مع أنَّ غالبية أهالي بريدة الذين كتبوا عنها حاولوا ألا يشيروا إلى هذه القضية، أو مرُّوا عليها بإلماح عابر[5]، وكأنهم حاولوا بذلك ألايعيدوا وهج القضية، وألا يشيروا إلى رجالها،

---

(1) الإصابة في استحباب تعليم النساء الكتابة: 27، محمد بن حمد العسافي، تحقيق إبراهيم التميمي، دار كنوز إشبيليا ـ الرياض، ط1، 1429هـ (مقدمة المحقق).

(2) هل يقدم تعليم واحد للذكور والإناث؟ : 15.14.

(3) تعليم المرأة في الدول الإسلامية دراسة مسحية تشخيصية: 43، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، 1418هـ، وقد جرت معركة ثقافية كبرى في مصر حول تعليم الفتاة تعليماً جامعياً (إهابة: 102. 109، عزيزة عصفور، اعتنى بنشره سليمان الخراشي، دار القاسم ـ الرياض، ط1، 1424هـ) وقد شاركت في مجراها لبيبة أحمد من الحجاز.

(4) تعليم البنات دراسة دولية مقارنة عن الهدر التعليمي بين البنات والبنين: 87، اليونسكو. فرنسا، ط1، 1981م.

(5) انظر الكتب التالية: بريدة للأستاذ ماض مجيد وحاضر مزدهر ومستقبل مشرق، إبراهيم المعارك، مؤسسة روابي وهطان، 1407هـ، بريدة حاضرة القصيم، الدكتور حسن الهويمل، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، 1402هـ، بريدة دراسة في الخصائص الطبيعية والسكانية، الدكتور محمد الربدي، 1413هـ، و القصيم والتطور الحضاري: 136، إبراهيم المسلم، الدار الثقافية للنشر.

ومنْ تربى على منهجهم، وهي مناهج تأليفية قد تجد في ذلك محافظة على الود وتطهيراً لمسقط الرأس، أو رغبة في دفع قالة السوء عنها، ولكنَّ الواقع أنَّ القضية قد سارت بها الركبان على مستوى المشافهة، وأصبحت من الذيوع بدرجة كبيرة توجب على أبناء المنطقة ـ أولاً ـ، وعلى الباحثين ـ ثانياً ـ، دراسة القضية، وتتبع النمط الفكري الذي تمثله، والذي تجلى من خلال آراء الممانعين والمؤيدين، والإشارة إلى جماهير المؤيدين والمنافحين عن حق البنات في التعليم، وإعادة القضية إلى نصابها، والاحتفاء بصبرهم ومصاولتهم وجدالهم[1]، وتضحيتهم بأوقاتهم وأعصابهم وعرقهم ودموعهم إلى أن تم تحقيق هذا الإنجاز الكبير في الزمن القياسي وفقاً لجميع المقاييس[2]، ولذا وُصفت تلك الخطوة بالجريئة الشجاعة[3]، وتلك العقبة بالعقبة الكؤود[4]، لأنَّ منْ يقرأ المسألة منفصلة عن سياقها سيصاب بالدهشة، وسيفشل في تقويم الوضع، وربما رمى القائلين بالممانعة بضعف العلم أو العقل، وامتدَّ إلى أهالي المدينة كلهم بالثلب، وغاب عنه السياق التاريخي والثقافي والحضاري في تلك المرحلة، وهنا تتجسد مهمة هذا البحث وأمثاله، ومن الحق الذي يجب أن يقال: إنَّ المؤيدين، وهم كُثرٌ، يجدون الحرج في تناول هذه القضية، وكان من أول المشيرين إلى حرج هذا التناول هو ضحيان العبدالعزيز[5]، ومنهم ما كتبه الأستاذ محمد البشر في كتابته الخاصة لي ـ كما سيأتي ـ، وهو من المؤيدين ومن رجال التعليم، ومع ذلك اجتهد في شرح السياق الثقافي الذي أوجب على الممانعين الاتجاه إلى هذه الرؤية التي ترفض تعليم البنات، ولذا كان واجباً على الباحثين فتح هذا الملف ودراسته، فهي مرحلة تاريخية مضت بما تم فيها، ويجب للتاريخ والمستقبل وللحقيقة أن يتم توصيف هذه المرحلة ودراسة مجالات الخصومة فيها.

* * *

إذاً، فقد كان هذا التحفظ والممانعة سحابة امتدت على عدة بقاعٍ جغرافية،

---

(1) تعليم المرأة خلال مائة عام: 205.

(2) لمحات عن التعليم وبداياته: 136.

(3) قصة التعليم، وزارة الإعلام، 1971م، 1391.

(4) المسيرة التعليمية: 38.

(5) العدد 47، الموافق 12/5/1380هـ، (كلمة وكليمة ـ مدارس البنات)، ضحيان العبدالعزيز، ص9.

وقد أشعل أُوارها النمط الديني أوالمحافظ في البلاد جميعاً، ولكنه تميّز أو تجلّى في مدينة بريدة، وربما نقول: إنها معركة كبرى بين اتجاهات متعددة حول المرأة وغيرها، ولكنَّ ميدانها ـ فقط ـ هو بريدة! وذلك إذا تمت دراستها في محيط المملكة العربية السعودية.

وأحسب أنَّ البعد الديني الذي اشتهرت به مدينة بريدة، والنمط الاجتماعي السائد فيها، واستمرار مظاهر صناعة الحدث الإعلامي المرتبط بالوقوف الصريح تجاه بعض الظواهر، وأخيراً العناية الإعلامية بما تتميز به هذه المدينة من مفارقات بالنسبة للمطَّرد أو للسائد في المدن الأخرى، وأن هذا الحدَث كان ينتصب في بدايات النمو الحضاري والمتابعة العالمية لهذه الدولة الفتية، كلها مقومات ساعدت على اشتهار بريدة بهذا الحدث دون غيرها، ولذا تداخل كتّاب وصحف لاتنتمي إلى هذه المدينة مع قضية تعليم البنات في هذه المدينة كما سنجد آراء عدد منهم في هذا البحث، بالإضافة إلى سبب رئيس أدّى إلى اشتهار بريدة بهذه الممانعة، وهو أنَّ نشاط الرافضين والممانعين لتعليم المرأة اتخذ وسيلة أخرى، وهي وسيلة مفاجئة ولافتة ـ في ذلك الوقت خاصة ـ، وذلك حين ذهب وفد من بريدة إلى الرياض استعداداً لمقابلة الملك سعود لطلب العدول عن افتتاح مدارس تعليم البنات، أو استثناء مدينتهم، وهكذا فعلوا، ونجحوا في تلك المرحلة، إذ وافق الملك على استثناء مدينتهم من أمره الكريم، وقد تزعم المشائخ هذا الوفد ـ كما يقول الأستاذ محمد البشر ـ و«سافر عدد منهم إلى الرياض للسلام على الملك سعود رحمه الله، ثم طلبوا منه أن يأمر بتأجيل افتتاح المدرسة هذا العام فقط فأمر بذلك[1]».

ويتضح من خلال عدد من الروايات أن هناك وفدين خرجا من بريدة بشأن تعليم البنات، فالأول هو الوفد الصغير الذي نجح في مهمته، وقد سبقت الإشارة إليه، والثاني منهما هو المشتهر الذائع الذي تتكرر إشارات الباحثين إليه في مقالاتهم وكتبهم[2]، وهو الوفد الذي ذهب لمقابلة الملك فيصل حين كان ولياً

---

(1) من كتابته الخاصة التي كتبها بناء على طلبي.

(2) من المقالات التي اتجهت إلى الملك فيصل ـ حين كان ولياً للعهد ـ في صحيفة القصيم العدد 112، الموافق 9/9/1381هـ، (هذه الأقلية لماذا نذعن لها)، عبدالرحمن الكريدا، ص 7، ومن الكتب: ما جاء في كتاب: معجزة فوق الرمال: 824، ، أحمد عسة، المطابع الأهلية اللبنانية، ط3، 1391هـ.

للعهد ورئيساً للوزراء، وذلك حين خرج الممانعون من بريدة إلى الرياض بأعداد كبيرة، ونصبوا خيامهم خارجها، واستقبلهم أقاربهم وزملاؤهم من أهالي القصيم الذين استوطنوا الرياض، واستضافوهم، وعن هذا الوفد يقول الشيخ المؤرخ إبراهيم العبيد: «إن الذين ذهبوا للمطالبة بعدم فتح المدارس ألزموا جماعة كل مسجد بجمع الدراهم وتوفير خيمة، وأنه تعهد بالخيمة والمال، وأما الذهاب فلا، لعدم تحملي . كما يقول .، خشية أن نردّ رداً عنيفاً، والذهاب أمر غير متعقل، وأنا طريقتي تميل إلى الاتزان، ولا أظهر ما لدي إلا بطريقة شرعية، وأن الشيخ محمد بن إبراهيم قال لي اطلب من الكتب وكثّر منها، وعدَّ نفسك من آل الشيخ! وأما رأس الممانعة ضد تعليم البنات فهو أحد القضاة، وحصل معه شعبية عظيمة، وركب معه ثمانون سيارة، وثمانمائة رجل من الهيئات والمطاوعة والمؤذنين، ومنعهم الملك فيصل من دخول الرياض، خشية من جمال عبدالناصر أن يقول إن هناك ثورة في السعودية، وطلب منهم البقاء قريباً من ديراب، وأن يدخل مع القاضي ستة أشخاص أو سبعة فقط، ولكنهم خالفوا ودخلوا إلى الرياض، فامتعض الملك فيصل، وقرر إبقاءهم في عتيقة، ولم يعطهم بالاً، وطلبوا مقابلة الملك فيصل للسلام عليه، فردَّ السلام عليهم بمثله، ولم يأذن لهم، وقد فتحت المدارس تحت ذريعة أنه لا يمنع من أتى، ولايدعى إليها من أباها [1]»، وتجيء رواية أخرى تنصُّ على أنه «قام وفد منهم في أواخر عام 1381هـ بزيارة إلى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار والمشرف العام على تعليم البنات في الرياض، وطلبوا منه عدم فتح مدارس في منطقتهم، فرد عليهم بقوله «بأن من كان له اعتراض فليقدمه إلى الملك شخصياً، فاتجهوا بعد ذلك إلى قصر الملك سعود إلا أنه كان في ذلك الوقت في زيارة داخلية للظهران، فقاموا بضرب خيامهم في جنوب الرياض، وبعثوا بمندوبين عنهم إلى ولي العهد في ذلك الوقت الأمير فيصل، ولكنه لم يستقبلهم، وأرسل لهم مندوبه ابن غشيان، وأبلغهم برسالة ولي العهد بأن فتح المدارس للفتيات هو أمر من جلالة الملك سعود، والذي لايرغب في إلحاق بناته بالمدرسة فله الحرية بذلك ... والرواية الأخرى تحكي أن سمو الأمير فيصل قابل وفدا منهم في قصره، ولم

---

(1) من حوار الأستاذ محمد القشعمي مع الشيخ إبراهيم العبيد الواعظ والمؤرخ بتاريخ 19 /10/ 1422هـ.

يزد على قوله: إن المدارس سوف تفتح ولن نرسل قوات الشرطة لإجبار الناس على إلحاق بناتهم بها، والذي لايريد لن نلزمه، فخرج الوفد بهذه النتيجة[1]، ويشير الدكتور محمد الشويعر إلى أنه «جاء هذا الوفد المكون من ستمائة شخص، وخيّموا في حي الشفاء غرب الرياض، فرفض رحمه الله مقابلتهم بهذا العدد، وأن عليهم اختيار ثلاثة أشخاص منهم فقط لعرض ما لديهم، والبقية يعودون من حيث جاؤوا... فقال رحمه الله لهذا الوفد المختصر . بعدما كلموه في المعارضة لتعليم البنات .: المدارس ستفتح لمن يرغبها، ولدينا برقيات ومكاتبات أكثر منكم يرغبون في هذه المدارس، وأنتم غير ملزمين بإدخال بناتكم في هذه المدارس، والمسألة اختيارية لا إلزامية، ومن أراد التعرض والوقوف ضد المدارس فعندنا جزاؤه ولا تراجُع في الأمر[2]»، وهي روايات لاتختلف في جوهرها العميق، فهي تؤكد على رؤية الوفد، وعلى عدده الكبير ما بين الستمائة والثمانمائة، وتشير إلى وجود عدد من الخيارات التي كانت قائمة أمام الوفد في مقابلة المسؤولين، بدءاً من الملك سعود والملك فيصل وانتهاء بالشيخ محمد بن إبراهيم، ولم تكن الحكومة في وضع الاحتفاء بالوفد وفق هذا المنهج، وإنما كانت تريد احترام حقهم في إبداء الرأي، ولكنها تريد ضبطه وفق آلية منطقية تتلخص في وفد يمثل هذا الجمع، ويتكفل بنقل الرؤية إلى الحكومة، وكان الرد هو عزم الحكومة على افتتاح المدارس وإفساح المجال لخيارات المواطنين ورغباتهم في تعليم بناتهم من عدمه.

ولاشك أن الذهاب في وفد لمقابلة الملك بقصد الممانعة لتعليم البنات، مهما كان أسلوب هذه الممانعة، هو منهج لافت ومثير في تلك المرحلة خاصة، وهو على ديمقراطيته وسلميته[3] إلا أنه يكشف عن تحرك نشط ومنهج تنظيمي دقيق يقوم به هؤلاء الممانعون، وهو ما استدعى أن يكون لافتاً ومثيراً للجدل

---

(1) الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود بحوث ودراسات: 1/ 474.

(2) انظر: محاضرة الدكتور محمد بن سعد الشويعر التي ألقيت في نادي مكة الثقافي بتاريخ الثلاثاء 15/ 08/ 1428هـ بعنوان (من الذاكرة: محطات في بدايات تعليم البنات في المملكة).

(3) تقول إحدى الباحثات عن ترحيب الشعب السعودي بتعليم البنات النظامي* إلا أن بعض المحافظين منهم حملوا السلاح لمنع انتشار مدارس تعليم البنات، حيث قدم إلى الرياض وفد يضم قرابة مئتين عالم وفقيه ورئيس عشيرة من منطقة القصيم يطالبون حكومة البلاد بعدم =

والانتباه، وذلك بدرجة أعلى من التصرفات التي قام بها الأهالي في المدن الأخرى عندما أهدروا دم مندوب تعليم البنات، وذلك لاختلاف النوع والمنهج فيه، لأن إهدار الدم هو تصرف يتسم بالعشوائية وردود الأفعال التي تخالف المنطق، وكذلك الهجاء الشعري لمن دعا لافتتاح مدارس البنات لأنه تصرف شخصي، أما الموقف الذي قام به وفد بريدة فهو موقف منهجي مرحلي تنظيمي، وهو الذي كفل له هذا الذيوع.

ومما يجب هنا أن نشير إليه من الحقائق المهمة التي غفل عنها كثيرون أن هناك تياراً واضحاً خرج ممثلوه من بريدة إلى الملك سعود ليطالبوا بسرعة افتتاح مدرسة تعليم البنات، وحدثت المفاجأة الكبرى بأن التقى الوفدان الممانع والمؤيد في الديوان الملكي ليطالب كل منهما بما يسعى إليه . كما سيأتي بيان القول في هذا .، وكانت برقيات المطالبين بفتح مدارس البنات في بريدة

= إنشاء مدارس في المنطقة ... ولمحوا إلى أنهم سوف يلجؤون إلى العنف لمنع حكومة البلاد من اتخاذ الخطوات الحاسمة في هذه القضية، لذلك فقد صدرت على الفور الأوامر إلى رئيس الشرطة بأن يبقي أعضاء الوفد في ضيافته إلى أن تفتح المدارس في موعدها المحدد" انظر: تاريخ التعليم في عهد الملك فيصل: 270،269، د.بصيرة بنت إبراهيم الداود، دار الملك عبدالعزيز، 1429هـ، وهذا التوصيف للرفض الذي قام به أهالي المنطقة غير دقيق؛ بل إنه تزوير للحقيقة بتوصيف كثيرين ممن سألت، فالممانعة كانت قوية، ولكنها تمت في إطار الدولة، ومن باب التعامل مع ولي الأمر، ولذلك كان الموقف الذي اتخذته الحكومة موقفاً سلمياً يبالغ في الهدوء والتأني في إقناع الممانعين، وقد رصدت ذلك كثير من الكتب، ومنها الكتب التي تحدثت عن تعليم البنات ضمن إصدارات وزارة التربية والتعليم . الرئاسة العامة لتعليم البنات سابقاً . ، ومنها الكتب التي صدرت من دارة الملك عبدالعزيز بشأن رصد الحركة التعليمية التي حدثت في عهد الملك سعود، وقد سألت شهوداً لتلك المرحلة، ومنهم الأستاذ عبدالعزيز بن محمد التويجري مدير تعليم القصيم السابق ورئيس تحرير صحيفة القصيم المحتجبة، والدكتور عبدالحليم العبداللطيف مدير تعليم القصيم السابق، فأنكرا ذلك باعتباره من التجني، وأكدا على أن حركة الممانعة سلمية بجميع مناشطها، وأن أعضاء الوفد طلبوا من ولي الأمر أن يعدل عن هذا الأمر، وإن قبل فجزاه الله خيرا، وإن لم يقبل فالسمع والطاعة، ولا أسلحة ولاحرب أعصاب، وكانوا في غاية الهدوء والقناعة . كما هي عبارة التويجري ..أقول : ولعل هذا يذكرنا بمقولة يوردها الشيخ حمد الجاسر عن العلماء الذين ناقشوا الملك عبدالعزيز في إحدى المناسبات التي عارضوا فيها تعليم بعض المواد، فقالوا بعد المناقشة مع الملك: " لسنا بحاجة إلى الجدل المنهي عنه شرعاً، فإن قبل الإمام رأينا فالحمد لله، وإن خالفنا فليست هذه أول مرة يخالفنا فيها" (من سوانح الذكريات: 2/ 596).

وكتاباتهم أكثر من الممانعين[1]، وهي الحجة التي كان الملك فيصل رحمه الله يشهرها في وجه الممانعين.

ويظهر لي أنَّ المكون الديني الذي عُرف عن بريدة، والثقل الذي يأرز إليه الأهالي من حيث ثقة الدولة بهم، ونصرتهم لها، وولاؤهم المطلق، هي أشياء ساهمت في اشتهارهم بهذه النظرة، بالإضافة إلى أنَّ الممانعين من خارج بريدة كانوا يمانعون تعليم البنات، وأما أهالي بريدة فكانوا يمانعون تعليم البنات بشكل عام ويخصون مدينتهم بذلك، أو أنَّ علوّ نبرتهم في الممانعة كان متصلاً بمدينتهم فقط، ومن هنا اشتهروا بذلك، وقد وجدت نصاً لأحد كبار العلماء الذين قطنوا بريدة في فترات متقدمة، وشارك في الممانعة تجاه تعليم البنات، وفيه يقول: «أيها المسلمون، كونوا على حذر، وتنبهوا لهذه الأخطار، وتكاتفوا، وتعاونوا في السعي بمراجعة المشائخ والحكومة، وبيان الحقائق لهم، لإغلاق ما فتح من هذه المدارس التي فتحت لتعليم البنات على المنهج الحديث، فهي مدارس ظاهرها الرحمة، وباطنها البلاء والفتنة، ونهايتها السفور والفجور، فإن لم تدركوا الحصول على إغلاقها، فلا تقبلوا فتحها في بلاد لم تفتح فيها؛ فإن تساهلتم حل بكم ما حل بغيركم، وستندمون وقت لا ينفع الندم[2]»، وهو نص أشبه ما يكون بالوثيقة التاريخية؛ إذ إنَّه يعدُّ البيان التنظيري لما وقع وحفظه لنا تاريخ هذه الفتنة، فالشيخ هنا ـ رحمه الله ـ يدعو بصراحة إلى إغلاق ما فتح من المدارس، ومسوغه أنَّ باطنها الفتنة ونهايتها الفجور، ولئن فات الزمن وافتتحت، فأدركوا المستقبل، وامنعوا افتتاحها في البلاد الأخرى، وإلا فمصيركم الندم، وأن يحلّ بكم ما حلّ بغيركم، وقد ترك رحمه الله بيان ما حلّ بالآخرين مفتوحاً لتذهب فيه الأذهان كل مذهب، وليكتفي بهذا الخطاب التحذيري الشديد، وهو ما لم يُفلته المؤيدون من أهالي بريدة إذ وجدوا في هذه الرؤية نوعاً من التناقض، فما حرم في بلد يجب أن يحرم في غيره، وكذلك ما أُبيح، ومن هنا أعلنوا احتجاجهم على هذا الخطاب، وقالوا: «فما هو الذي جعل بعض أهل بريدة دون غيرهم من المدن الأخرى يعترضون على تعليم البنت، ولصالح من هذا

---

(1) انظر: محاضرة الدكتور محمد بن سعد الشويعر التي ألقيت في نادي مكة الثقافي بتاريخ الثلاثاء 15/ 08/ 1428هـ بعنوان (من الذاكرة: محطات في بدايات تعليم البنات في المملكة).

(2) الدرر السنية: 16/ 82 ـ 83.

الاعتراض؟![1]»، وهي أسئلة منطقية يُراد منها أن تجهض رؤية الممانعين، وأن تكسر حدة مواقفهم، بالإضافة إلى الروح الساخرة التي تجري في نسيج هذا السؤال من حيث عدم الاطمئنان إلى استثناء مدينة بريدة لتكون مستقلة بشؤونها عن بقية مدن المملكة.

ومع غرابة هذه المطالبة والمكافحة بألا تفتح المدارس في هذه البلاد خاصة، إلا أننا إذا أدركنا سياق الثقافة وتراكمات المجتمع سنقدّر طبيعة الأمر المتوقع، إذ بالفعل التزم كثير من الأهالي هذا الموقف، وكان الخضوع لسلطة المكان مؤثراً في مواقفهم، باعتبار المكان يتجاوز دلالته على الجغرافيا ليضيف إليها التاريخ والثقافة؛ بل إنَّ أحد كبار العلماء المعروفين الذين كانوا في بريدة يمارسون التعليم النظامي، ولم يكن مقتنعاً بهذا الرأي، ولكنه خضع لسياق الثقافة آنذاك، فلم تدرس بناته في المدارس، وبمجرد خروجه من بريدة إلى المنطقة الغربية أدخل بناته في المدارس، وهناك غيره ممن تناغم من المدارس الأهلية، مع أنَّها تشترط الاشتراطات الإدارية نفسها التي يرفضها بعض الممانعين، كالملابس الخاصة، ومع ذلك لم يرضخوا، وأحسب أنَّ السبب في ذلك قد يعود إلى اختلاف الموقع الجغرافي[2]، وهو ما يعيد السؤال جذعاً حول محورية البقعة التي يتكثف فيها نشاط الممانعين، وتعد مركزاً لهم.

وإذا كان المكون الديني هو صاحب الأثر الأول، فإنَّه ليس الوحيد، إذ يحضر البعد البيئي ليكون مؤثراً في أحداث هذه القصة، فالبيئة القصيمية الموغلة في طقسها الحار الجاف الصحراوي تترك أثراً في طبائع أهلها، من حيث التوجس من الآخر، أو التمهل في قبوله، وأنَّ صائحاً لابد أن يحضر بين فترة وأخرى، وذلك يمثل سمة كبرى لم يمنع أن تُكسر من قبل سمة احترفت الرحيل والامتزاج بالآخر من خلال العقيلات.

وإذا كان المكوّن الديني ذا أثر في الحراك والقول بفتنة تعليم البنات، فإن

---

(1) العدد 36، الموافق 23/2/1380هـ، (كلمة وكليمة)، ضحيان العبدالعزيز، ص 1.

(2) يورد الأستاذ القشعمي قصة إلحاق سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله لبناته في مدرسة نظامية في المدينة المنورة (مجلة رؤى، العدد40 الموافق 6 فبراير، قصة أول مدرسة نظامي للبنات في المدينة المنورة، محمد القشعمي، ص71)، والإشارة إلى ذلك جاءت أيضاً في كتاب (بدايات الحياة العلمية والأدبية: 141، د.نجاح الظهار، دار المحمدي، ط1، 1424هـ)

نمط التدين السائد في بريدة يخترقه نمط متشدد تجاه الجديد والمفاجئ والطارئ من الحضارة، ويُعدُّ حضور هذا النمط بمثابة المدرسة التي كان رأسها أحد كبار القضاة في منطقة القصيم وتلامذته، وما زالت هذه المدرسة حاضرة في أبجديات التيار الديني في بريدة، وملامحهم ما زالت حاضرة، وإن تحولت بعض المواقف وتبدّلت، إذ تجد هذه المدرسة حضوراً من خلال أحد معاصرينا، حيث يُمثل أبرز الأصوات التي تجاهر بموقفها الرافض تجاه المنجز الحضاري الجديد، فلاتستخدم كهرباء ولاماء ولا ورقاً نقدياً ولاسيارة، وتبتعد عن كل ما هو ناتج حضاري، وترى أن طريق التقدم هو في رفض الجديد وتكريس القديم لذاته، ومن هنا ابتكرت مدارسها الخاصة ومناهجها، ولا تستغرب أن تجد الواحد منهم، وقد أنهى دراساته العليا، ثم ينعزل عن حاضره، ويستقيل من وظيفته، ويتغير مظهره إلى الأنماط القديمة، وهم يُشكلون مدرسة ثقافية أو دينية متفردة لاتتناغم ولاتتشابه مع المدارس الدينية الحركية أو الصحوية.

والسؤال الكبير هنا، هو ما الدافع إلى الامتناع عن تعليم البنات؟ وكيف كانت المرأة تتنفس إبّان ذلك الوقت وما قبله؟ وأين الطارئ والثابت في كل هذه المواقف؟ وهي أسئلة تُكمل شيئاً من البيان حول جانب الأسطرة في حياة هذه المدينة، لأن ممانعة الأهالي لتعليم البنات يجب ـ منطقياً ـ أن يكون نموا طبيعياً للموقف تجاه المرأة، وهو ما يدعو لتتبع هذا المسلك، وفيه عدد من المفاجآت.

❊ ❊ ❊

يلحظ المراقب أنَّ هذه البيئة التي ارتبطت بالرؤية المحافظة أوالمتشددة، هي البيئة التي جمعت المتناقضات، وهو الذي نجده في كلام الرحالة أنفسهم، فهم يشيدون بالتحضر ومدنية الطباع وتآلفها، ويشيرون إلى التشدد الديني، فيقول داوتي: «وبوسع الغريب أن يعيش في بريدة، في وسط الجزيرة العربية الرعوية المتنقلة، كما لوكان يعيش في بلاد الرافدين تماماً، اللهم باستثناء أن بريدة ليس فيها خمارات. بعض من أولئك الجالسين الذين يبيعون الخضروات كانوا من النساء، دمشق ليست على هذه الدرجة من التحضر!... وبريدة التي تعدُّ عاصمة الواحات في الجزيرة العربية كلها ترتبط ببلاد الشمال المستقرة عن طريق قوافل التجارة[1]»، وهو نص مهم هنا، إذ يُشير إلى موقع المرأة الفاعل مبكراً، فالمرأة

---

(1) ترحال في صحراء الجزيرة العربية : 2 / 463 .

شريكة في السوق والتجارة والحضارة وفق رؤية داوتي عن أهالي بريدة، «وسوق الخضار والفاكهة كبير، ولايعمل فيها سوى النساء على وجه التقريب، وهذا ينطبق أيضاً على سوق البقالة والتوابل. والجنس اللطيف في بريدة لايقلُّ مهارة في التجارة والاتجار عن الجنس الخشن[1]» كما يرى بالجريف، وهي مداخل جعلت داوتي يميز بريدة عن دمشق، فإذا كانت المرأة هكذا في هذه الفترة التاريخية المبكرة، فماذا عنها إبَّان القول بتعليمها بعد ذلك؟

فالمرأة وفق ما سبق نشطة اجتماعياً، ونشاطها يبتدئ في البيت وإليه يفيء، ولكنه لاينحصر في داخله؛ بل إنَّ داوتي يمنح المرأة حقَّها في مهارتها، وأنها منافسة للرجل.

وإذا كان ما سبق هو حديث عن المرأة بشكل عام؛ فإنَّ تعليم البنات ونبوغهن المعرفي في المرحلة السابقة لفتنة القول بتعليمهن النظامي أمرٌ لم يكن نادراً، وإنما هو حاضر وفق الوسائل المتاحة من دعوة الفتيات إلى البيوت، وهكذا. وقد أشار لوريمر إلى أنه يوجد في بريدة مدارس للطلاب، «كما توجد

---

(1) وسط الجزيرة العربية وشرقها: 348، وليم بالجريف، ترجمة صبري حسن، المجلس الأعلى للثقافة، 2001م، وهذا النص يضاف عدد من النصوص والحكايات الشعبية التي تضيء جانباً مخفياً من تاريخ هذه المدينة، إذ يرِد في هذا الكتاب الإشارة إلى أسباب دفعت بعض أهل الحضر في بريدة إلى أن يلعنوا الوهابي ويسبوه، وأن الضبط الديني عائد إلى الدعاة الوهابيين المتشددين من الرياض الذين يقومون بزيارات إصلاحية دورية يعظون خلالها العصاة (ص348)، ويجيء كتاب DIWAN AUS CENTRALABIEN لينقل صورة غريبة عن منطقة القصيم من حيث القيم ومظاهر الاجتماع فيها، وهي صورة موثقة من خلال الشعر الذي رصد عدداً من النبضات المجهولة في هذه المنطقة، وهو ما يفتح ضرورة المبادرة في التأريخ الاجتماعي والديني لمدينة بريدة، وتتبع النمط الفكري الذي يُلحظ فيها، وقراءة خارطة الفكر من خلال المؤثرات المتفرقة، كالوافدين من خارج المدينة، وغيرها، وهو ما يطّرد في جميع المدن على السواء، ولعل هذا يحمل شيئاً من الإجابة على السؤال الذي يشير إليه الأستاذ منصور النقيدان في الحاجة إلى معرفة قصة تحول مدينة بريدة إلى الحالة الاجتماعية والدينية التي هي عليه اليوم؟ (صحيفة الوقت البحرينية، العدد 545، الموافق 6/ 8/ 1428هـ، قصة مدينة، منصور النقيدان)، ولاشك أن هذا السؤال يشي بوجود نوع من الصراع الذي يأخذ صوراً متعددة بين محافظي هذه المدينة وغيرهم، إذ يجتهد كل تيار منهم برسم الصورة الأقرب إلى اتجاهه، وامتد هذا النمط من الجدل إلى دوائر أخرى خارج هذه المدينة، وهذا مما أقوله على مستوى الوقوف الشخصي على وقائع متعددة.

خمس مدارس للبنات لتعليم القراءة والكتابة وأشغال الإبرة، ويقوم بتدريس القرآن مدرسات من النساء[1]»، وهذه إشارة محورية من هذا الرحالة إلى نمط التعليم النسائي للبنات، بتعليمهن القراءة والكتابة والخياطة والقرآن، وأتذكر من سيرة جدي رحمه الله أنه يروي عن نفسه كيف تعلَّم وتكونت ذخيرته العلمية، وذلك من خلال تتلمذه على خالة أبيه موضي المحمد المضيان، » وكانت صاحبة كتَّاب للنساء خاصة تعرف به، وهي تحفظ القرآن عن ظهر قلب، وقد طلب والده منها أن تأتي إلى بيته قبيل شروق الشمس لتخصَّه بالتعليم، فيقرأ عليها ما قرأه على الآخرين، وربَّما قامت لتصلي وتأمره بالقراءة، فإذا أخطأ، قرأت ما يقرأ وصوَّبت خطأه[2]»، والخالة موضي المضيان هي مثَلٌ واحد لطائفة من الكتاتيب النسائية التي خُصصت لتعليم البنات، وهنَّ شاهدات على أنهن خضعن للمنهج نفسه في التعليم.

ومن هنا يتضح أنَّ حركة التعليم للبنات في بريدة . ونجد عامة . نشطة أو تحمل بذور النشاط، وأنها لم تقتصر على الذكور، وإنما امتدّت إلى النساء والبنات، وعُرف من المعلمات نماذج عدّة في بريدة وعنيزة والزلفي والرياض وباقي أنحاء نجد، وهي مقدمات منطقية توحي بأنَّ تعليم البنات في بريدة سيُلاقي قبولاً وابتهاجاً . أوهكذا يجب .، لأنَّ نماذجه وأسسه ومبادئه قائمة وحاضرة، ولكنَّ المدهش أنَّ ما حدث هو العكس! وهنا تكمن المفارقة، والذي أميل إليه هو أنَّ النقلة الحضارية لم يصاحبها نقلة عقلية مماثلة عند جمهور المواطنين، وذلك لايخصُّ بريدة وحدها، وإنما هو شعور راج عند طائفة فكرية على امتداد الوطن، ولكنَّ ظهورهم الواضح هو في بريدة.

وهذا القلق الحضاري والتوجس الفكري من تعليم البنات ينبع من موجهات متعددة، وكلها تتضافر للحدِّ منه ومنعه، لأنه يقتضي خروج حركة تعليمهن من البيوت إلى المدارس، ومن البساطة إلى التعقيد، ومن الألفة إلى الجديد، ومن المعتاد إلى المثير، ومن ثم التحول في نمط تعليم البنات من آراء الفرد إلى تقنين

---

(1) دليل الخليج : 1/ 415، ج.ج. لوريمر، مطابع علي بن علي . الدوحة.

(2) من الأوراق الخاصة التي أحتفظ بها لجدي الشيخ سليمان الوشمي رحمه الله (1318هـ . 1417هـ)، وهو أحد كتاب مدينة بريدة المشهورين، ومن الذين تعتمد كتاباتهم في المحاكم، وتعد كتابته بمثابة الصك الشرعي، وقد رشّح للقضاء ولكنه امتنع.

المؤسسة، وهو الذي أوقع في قلوبهم الريبة والتوجس، ودفعهم . أخيراً . إلى إعلان رفضه والثورة عليه. وخروج الفتاة من بيتها شبيه بخروج الولد من مسجده الذي يتلقى فيه العلم، ولذا تشابهت الفتنتان؛ فتنة القول بالتعليم النظامي للبنات وفتنة القول بالتعليم النظامي للأولاد، أو أنَّ الدعوة إلى تعليم البنات أيقظت جذور الممانعة السابقة لتعليم الأولاد، فقد وجد الممانعون في الدعوة إلى تعليم البنت دعوة للخروج من بيتها، وهي منْ تُطالب بالمكث فيه، وهي دعوة تشبه الدعوة لإخراج الولد من مسجده وكتَّابه، وهذه الملامح تضيء العقلية والذهنية السائدة وأنها مرتبطة في بعض نماذجها بالطارئ والهامشي، ولذا تحدث الشيخ عبدالله السليم عن مخادعته للناس والأهالي، وذلك حين تمَّ تعيينه، فنقل الطلاب إلى مقرِّ كتَّابه السابق، وأقام مدرسته تحت مسمى الكتاب، أو قريباً من ذلك، مما كفل له التعايش أو تقليل الضرر[1]، وأشار الشيخ محمد العبودي إلى مخادعة الشيخ صالح العمري لأهالي المنطقة من أجل افتتاح المدارس عندهم[2]، وهي معطيات تؤكد ما مضى، وتشير إلى أن طيفاً من الممانعة لم يكن قائماً على عقيدة إيديولوجية حادّة، وإنما هو قابل للحوار حيناً، وللخداع حيناً آخر.

ومن الأدلة التي تشير إلى أنَّ جزءاً من الممانعة إنما ولد بسبب التحول المعرفي في طريقة أداء العلم، ولذا فهم يخشون من تحول في الثمرة والنتيجة، لاسيما وهم يرون المطوع والمطوعة . كأسماء لازمة للقائمين على الكتاتيب . أصبحت الأستاذ والأستاذة، والكتَّاب أصحب مدرسة، وفي هذا ابتعاد عن لغة طلب العلم الديني أوالشرعي ومصطلحاته، ولاشك أننا نجد شيئاً من قبس هذا في بعض أنماطنا المعرفية المعاصرة، فالمتخرجون من جامعة الإمام في شتى تخصصاتهم كانوا يحملون لقب الشيخ إلى وقت قريب، وتجد الكُنى التي شاعت إبان انتشار الصحوة الإسلامية مرتبطة بأسماء الصحابة والفاتحين، وهي أنماط ولوازم لغوية تفتقر إلى التحليل والدرس ومقاربتها وفق سياقاتها التاريخية والثقافية.

---

(1) من حوار الدكتور صالح الوشمي مع الشيخ عبدالله السليم رحمهما الله (حوار مسجل بتاريخ 25/ 5/ 1405هـ).

(2) التعليم في القصيم: 297، ، صالح العمري، تحقيق د.عمر العمري، ط1، 1418هـ.

إذا فالممانعة عند بعضهم كانت بسبب القلق تجاه الوسيلة والقلق تجاه الثمرة وليس تجاه العلم، وهنا يشير الشيخ عبدالله السليم أنَّ ممانعتهم السابقة لتعليم الأولاد لم تكن بسبب عدم رغبتهم الذاتية في العلم ذاته[1]، «ولكن أهل بريدة كانوا يخشون من عنصر يدخل عليهم فيفسد عليهم فطر عيالهم كما يقولون[2]»، ولعل مما يُدلل على هذا شيوع الكتاتيب والمدارس الأهلية للبنات في البلاد بشكل عام.

فأما الكتاتيب، أو مدارس السيدات في بيوتهن، فهي منتشرة، وقد قامت الرئاسة العامة لتعليم البنات برصد أسماء الكثيرات منهن[3]، بل إن المؤرخين ورجال التربية والتعليم في بريدة أشاروا إلى رائدات لتعليم النساء[4]، وقد استفتحت هذا المحور بالإشارة إلى خالة جدي المولود في 1318هـ تقريباً، وهو يتتلمذ عليها حال فراغها من فتياتها.

وأمّا المدارس النسائية الأهلية، فهي تكشف تفاوتاً في الوعي الحضاري والانفتاح الثقافي بين المناطق، لأنها تنتشر في الحجاز بدرجة رئيسة، وتكشف إيماناً من الحكومة بأهمية تعليم البنات، ومصادقتها عليه، ثم سعت الدولة إلى تنظيمها إدارياً وفنياً، «وحمل لواء هذه الفكرة جلالة الملك فيصل رحمه الله، حيث قام بإنشاء مدرسة الحنان بجدة على نفقته الخاصة عام 1375هـ، وقد وصف هذا العملَ الرائد فضيلةُ الشيخ ناصر بن حمد الراشد فقال عن هذه المدرسة: أول مشعل يضيء به الفيصل لنصف الأمة درب الحق، ويهديهم نحو الخير، ويبصرهم طريق العمل النافع المثمر[5]»، واستمرت الحكومة في دعم

---

(1) صحيفة الجزيرة (حوار مع الشيخ عبدالله السليم)، العدد 3622.

(2) كنت مع عبدالعزيز: 282، عبدالرحمن السبيت وآخرون، دار مبين للنشر والتوزيع، ط2، 1425هـ.

(3) تعليم البنات خلال مائة عام، تعليم الفتاة بين التفرد والمحاكاة: 22، المرأة السعودية والتعليم: 8، الإدارة التعليمية في المملكة العربية السعودية: 651، د.حمد السلوم، ط1، 1406هـ.

(4) صحيفة الجزيرة، (حوار مع الشيخ عبدالله السليم)، العدد 3622.

(5) تعليم البنات خلال اثنين وثلاثين عاما: 20، تعليم البنات خلال اثنين وثلاثين عاما، الرئاسة العامة لتعليم البنات، 1412 هـ.

المدارس الأهلية[1]، وهو إيمان مبكر بتعليم البنات.

إذاً، فشيوع فتنة القول بتعليم البنات نابع ـ في بريدة خاصة ـ من مقدمات عدة، ولم تولد هذه الممانعة من القول بحرمة تعليم البنات عند الممانعين كلهم، وإنما تعددت مسوغاتهم وفق درجاتهم في الوعي، ولاننكر هنا أنَّ الممانعين في بريدة ـ أو بعضهم ـ خلطوا بين الرأي الشرعي والحضاري والأخلاقي والعرفي، ومع ذلك فلم يكونوا نشازاً في ذلك وحدهم، وإنما شاركهم غيرهم، وذلك حين تربّوا على ثقافة نمطية واحدة، وحين تشابهت المعطيات تشابهت المخرجات.

ومن الأدلة على هذا النمط المتشدد ما نجده من موقف متحفظ تجاه ذيوع اسم المرأة على ألسنة الرجال في نجد عامة، وهذا التحفظ لاينحصر في مسائل التعاملات الخاصة، كأنْ لا يخبر الصديق صديقه باسم زوجته أو أمه أو أخته، وهي ثقافة ما زالت تجد ذيوعاً، وإنما أجدهم يتوجسون من مرورها على ألسنتهم، فيُخاطبون أولادهم بأنْ أمك قالت كذا كذا، ويدعونها بأنتِ، وينادونها بهيش! ـ كما مرَّ ـ، وأحسب أن ذلك هو ما دفع الواحد منهم ليمتدّ ويمانع في ظهور أسماء النساء في الصحف، وقد رأينا الشيخ عبدالكريم الجهيمان يكتب في السبعينيات الهجرية مقالاً يعالج فيه مسألة حظر الأسماء النسائية من الظهور على الصحف، ويقول: «قرأت إشارة في ذيل إحدى الصحف بأنَّ هناك منعاً من ذكر أسماء النساء اللاتي يكتبن في الصحف ... أما العرف، فقد كنا نسمع منذ زمان من بعض عامة الشعب أن صوت المرأة عورة واسمها عورة! فهل استمد منع نشر أسماء السيدات على هذه الفلسفة السطحية التي أكل عليها الدهر وشرب؟! والتي ما كانت في يوم من الأيام عملية ولن تكون[2]»، وهو مقال يتجاوز الإقليمية إلى الفكرية، ويكشف عن سمْت عام يلتزمه المجتمع تجاه المرأة ـ إبّان تلك الفترة ـ، ويؤكد في الوقت نفسه على أن تعليم البنات والموقف الممانع تجاهه هو الرقم الأول في سُلّم الموقف الحضاري المتأزم لأناس تلك المرحلة وتلك البقعة الجغرافية، وتستطيع ـ بسهولة ـ أن نجد ما يماثله في مواقفهم من القضايا التي يتداخل فيها النص الديني والواقع العرفي كالموقف من الآخر ومفهوم الأخوة وما إليها.

---

(1) تاريخ التعليم في المملكة: 252، مسيرة المرأة السعودية: 92.

(2) العدد 42، الموافق 6/ 4/ 1380هـ، (الأسماء المحظورة نشرها)، ص 1، 9.

من العقيدة إلى الخرافة ..

يولد الإنسان خالياً من عوالقه الفكرية، ثم تبدأ هويته الفكرية بالتشكل، والعقيدة بوصفها إيديولوجيا عامة يلتزمها البشر جميعاً، هي مرحلة عميقة من الوثوقية، يتناغم معها الإنسان، ويصبح كأنه هي، أو كأنها هو، فلاتستطيع حينها أن تفرق بينهما، وتصير قادراً حين تشاهد الفعل أن تستدل على الفاعل وهيئته ومبادئه، وهكذا دواليك.

ولكن العقيدة لاتعني ـ بالضرورة ـ انسلاخ الإنسان من عقله، لأنه سيكون حينها أشبه بالصدى، أو أقل درجة منه، لأنَّ الصدى يمتلك خاصية الرجوع والتحول والامتداد، أما المعتقِد المغلق فلا يملك إلا خاصية الترديد والتكرار فحسب، وستكون سذاجة العقل وبلادته قادرة على تعقيد (من العقيدة) كل الأمور دون أن يكون ثمة مسوغ لذلك، وسيجد في كل شيء ما يريد أن يجده فيه لا ماهي طبيعته وماهيته، ولذلك فالذين مارسوا الرقص فأمطرت السماء، ظنوا أن الرقص هو مسوغ ذلك! وصار من عقائدهم الرقص طلباً للمطر، وحينها لن يستطيع الواحد منهم أن يتنازل عن هذا المبدأ، خاصة إذا تواطأ عليه سابقوه من الآباء والأجداد، فلئن رقص مائة مرة ولم تمطر، فإنه سيعتقد أنّ رقصه لم يكن كما يجب، ولن يُتيح لعقله فرصة النظر فيما هو أبعد من ذلك، وهذا تماماً هو ما يقع في بقية القضايا المشابهة.

وفي الإسلام، نجد المؤمن (=المصدق) هو الذي يمكنه أن يفهم الحياة كما يجب، وهو القادر على الثبات وقت الفتن، ومن هنا ارتفعت في سُلّم القيم الإيمانية قيمة التصديق الذي يتجاوز العلم والإحاطة بالشيء إلى الإيمان به وتمثّله والاتحاد معه، ولم يبق إلا حيز صغير جداً طولب به المؤمن أن يؤمن به وألا يُفكر في كيفيته، وهو الإيمان بالغيب، وما ذاك خوفاً عليه أن يضلّ لو فكّر ـ فقط ـ، وإنما لأنَّ هذه الأمور واقعة وراء ملكاته العقلية والتفكيرية، وهي موضع بحث آخر.

أقول هذه التوطئة لتكون مدخلاً إلى معالجة بعض السلوكيات المتصلة بفتنة القول بتعليم البنات، لأنَّ الممانعين حين تجاوز بعضهم شرط العقل، ولجأ إلى القول بحرمة التعليم المطلقة، وجد في هذه الأشياء حرباً على الإسلام، وإفساداً للشباب، وهتكاً للأعراض، فكانت «الأساطير التي تعجب لها العقول المستنيرة، وتهريج وحكايات شبيهة بقصص ألف ليلة وليلة[1]»، وهكذا تكبر كرة الثلج بتدحرجها، فوجدوا في القول بتعليم البنت سعياً لإفساد الأسرة المسلمة بقصد تعليمها، وهنا تتشابك المسائل بغموض كبير، خاصة إذا استحضرنا تلك الفترة، فالمعطيات أمام العقل البسيط تتجه إلى هذا المنحى، فمشائخ الدين هم الذين يحرّمون ذلك، والإرث من التقاليد تلزم المرأة بالبقاء في البيت، والتعليم يستدعي مخالفة علماء الدين وإخراج المرأة من بيتها، ومن هنا اشتدت الوتيرة الرافضة والممانعة، ولم يكن غريباً أنَّ داعيةً صرخ في المسجد (خارج بريدة) معترضاً على تعليم الفتاة: إنهم يريدون أن .. وذكر ما يشي بهتك الأعراض من قبل المنادين بتعليمها، وقد يُظنّ ـ خطأ ـ أنَّ هذا الفقيه لابد أن تُغيره الحضارة، ولكنَّ واقع الأشياء والممارسات يشي بأنَّ الحضارة ستُغير القشرة الأولى منه، لأنه سيصطدم بها على مستوى المدافعة فحسب، ولن يجعل من عقله سبيلاً إلى الحوار معها، ولئن أدخل بناته في التعليم الآن، فإنه ما زال هذا النمط من الممانعين يعيش بعقليته السابقة، وما زالت مخرجاته الفكرية تأخذ الإطار والمنهج نفسه، وقريباً من ذلك أن ينصّ أحد العلماء الممانعين لتعليم البنات ويقول: «قد سمعنا أنهم سيجلبون معلمات صالحات، من سورية ولبنان ومصر، فيا ليت شعري أنَّ الرئيس يبين هذا الصلاح في تلك النسوة التي سيجلبهن من الخارج للتعليم في هذه المملكة؛ بل إنَّ الصالحات منهن سافرات مائلات مميلات[2]»، وهو نوع يُخشى أن يصل إلى التشكيك في دين هؤلاء، ولئنْ لم

---

(1) العدد 57، الموافق 23/ 7/ 1380هـ، (أنقذوهن من وهدة الجهل)، عبدالعزيز التويجري، ص 1.

(2) الدرر السنية: 16/ 80، ومما يجب ذكره هنا أن هناك مطالبة وتأكيد من دعاة تعليم البنات إلى إحضار المدرسات من سائر البلاد العربية مع مراعاة الصيانة والاحتشام، وذلك لعدم توفر البديل المحلي المناسب وقتها، وليكون من المتخرجات منْ يعهد إليهن بالتعليم لاحقاً (نصيحتي إلى إخواني في الدين والنسب: 36، الأمير مساعد بن عبدالرحمن آل سعود، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة، 1360هـ)، وهو أمر تم النص عليه في الأمر الملكي، وأشير هنا إلى أن البحث عن المعلمات استغرق من المكلفين بذلك جهداً كبيراً، =

يصل إلى مرحلة التشكيك عند بعضنا، فإنه يُفهم بصفته مرحلة ادِّعاء الكمال أو الامتلاء بشعور أن التدين والعلم والعفة هو في هذه البلاد فقط، ولذلك جاء خطابه على صيغة التعجب والاستفهام عن نوعية الصلاح في النساء، والقطع بأن من صلح منهن هو سافر مائل مميل!! ولاشك أنَّ هذا الخطاب يأرز إلى واحدية الرأي واتجاهه المنعزل عن غيره، مع أنه يصدر من أحد الكبار علماً وورعاً وعقلاً، ونحن نجد أن موقف المؤيدين والمنادين بإحضار المدرسات من البلاد العربية صريح في هذا السياق، فيقول الأمير مساعد بن عبدالرحمن مناقشاً بعض

= فيقول أحدهم، وهو الشيخ عبدالله الحسيني، عن رحلاتهم للتعاقد مع المعلمات: " سافرت للعديد من الدول في مهمة عمل للتعاقد مع مدرسات، ففي السودان كان برفقتي الدكتور محمد الشويعر؛ لنتعاقد مع مدرسات، ولم نجد إلا مدرسة واحدة فقط لم نوفق في التعاقد معها" مجلة اليمامة العدد 2000 الموافق 21/ 3/ 1429هـ، ويقول الدكتور محمد الشويعر : " مستوى تعليم المرأة في بقية الدول العربية ضعيف جداً، بدليل أن الرئاسة في عام 1386هـ أرسلت بعثة إلى السودان للبحث عن معلمات، ومكثوا ستين يوما في الخرطوم، وبالاتصالات مع وكيل وزارة التربية والمسؤولين في التعليم لم يتحصلوا على من يحمل الثانوية وترغب العمل في المملكة، إلا واحدة لأن زوجها يعمل في الرياض، وكان من شروطها وشروط زوجها أن تعمل في مدرسة قريبة من سكنه، فتم ذلك لعدم وجود البديل، وكان موظفو الرئاسة فيما بعد يتندرون على رئيس اللجنة بالسودان ويسمونه أبو واحدة، ولتبرير ذلك قال وكيل وزارة التربية بالسودان: نحن نشكو العجز، فكثير من مدارسنا للبنات لايدرس فيها إلا رجال، ويشير الدكتور الشويعر في موضع آخر من محاضرته إلى أن المسؤولين لم يجدوا في بداية فتح مدارس البنات من السعوديات إلا واحدة، وهي لطفيّة الخطيب رحمها الله، وقد قدمت صورة عن مؤهل تحمله في التوليد من مصر، فكانت أول سعودية تتعين في تعليم البنات، وأما أول سعودية تتعين في الرياض فهي السيدة فائزة الدباغ، وهي الأخرى قد درست في مصر، كما أن الدكتور الشويعر قد ذكر في موضع ثالث من محاضرته أن هناك معلمة مصرية تخرجت من كلية الفلسفة قسم الثقافة الإسلامية كانت قد شرحت للطالبات أن اللمم في قوله تعالى (يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم) هي الزنا والسرقة وصغائر الذنوب، وهو ما دفع بعض الأساتذة أن يطالب بأن يظل المكفوفون بتعليم البنات خيراً من هؤلاء المدرسات" كما يذكر الدكتور الشويعر أن هناك من غير السعوديين من اغتنم الفرصة وتخطى التنظيمات، وقاموا بتوظيف زوجاتهم بمؤهلات مزورة، بدليل أن المؤهل الواحد قد يتوظف به أكثر من واحدة.انظر: محاضرة الدكتور محمد بن سعد الشويعر التي ألقيت في نادي مكة الثقافي بتاريخ الثلاثاء 15/ 08/ 1428هـ بعنوان (من الذاكرة: محطات في بديات تعليم البنات في المملكة).

الاعتراضات المحتملة والجواب عنها: «وقد يرون أن الحصول على رجال ونساء أكفاء في دينهم ومبدئهم ومقدرتهم العلمية عزيز جداً في البلاد العربية الخارجية، وهذا الرأي يكاد يكون عاما في بلادنا، وسببه أمور: منها اعتبار تلك البلاد بلاد شرك وإلحاد، لما قد انتشر عندهم من العقائد الفاسدة والبدع القبيحة، ولما قد دهمهم من طائف الغرب والغربيين، ومنها جهلنا بحقائق أحوال تلك البلاد ومعرفة أهلها، ومنها وهو نتيجة لسابقه وزننا لأهلها بميزان من جد عندنا وخالطنا منهم، فليعلم الجاهل لذلك أن في البلدان العربية رجالاً ونساء على جانب عال من صحة المعتقد وصدق التدين ونبالة المبدأ والكفاءة للعمل[1]»، وهو خطاب منطقي قد جاء في سياق الخصومة العام، وإن لم يكن رداً على شخص، ولكنه ممتلئ بالرد على طائفة أو فئة أو منهج يتناقض معه، ولذا فهو يكشف عن عمق الاشتباك والتداخل الذي صنع خطاب الموقف من تعليم البنات بشقيه؛ الممانع والمؤيد.

---

(1) نصيحتي إلى إخواني في الدين والنسب: 39 . 40، وهذا الموقف يُذكر بالنقد الشديد والمبكر الذي وجِّه إلى الكتاتيب، إذ يقول الأمير مساعد بن عبد الرحمن آل سعود: "ليس في بلادنا كما هو معلوم من المدارس سوى كتاتيب صغيرة يتصدرها معلمون جهلاء .. أما معاملة المدرس لتلاميذه فهي شرُّ معاملة إلى درجة أن الصبي يعد ألدّ أعدائه من الناس معلمه، ولايخفى ما في هذا التعليم من النقص والضرر، فأولاً: قصور المعلم ونقصه عقلياً وخلقياً وعلمياً. ثانياً: قلة مواد التدريس" انظر كتاب : نصيحتي إلى إخواني في الدين والنسب: 23.22، ويقول الأستاذ علي الصوينع: "هذا الكتاب الوحيد الذي صدر للمؤلف في طبعة واحدة، وبخلاف موضوعه في الدعوة المبكرة لتعليم المرأة؛ إلا أن له ميزة شكلية وغريبة، حيث لم يصرح المؤلف باسمه باللغة العربية على صفحة العنوان أو داخله، وإنما كتب اسم المؤلف بحروف لاتينية فيها شيء من التعمية، فقد استخدم رسم الحروف اللاتينية ليقابل الأشكال التقريبية للحروف العربية وليس نطقها مع استخدام النقط لإعجام الحروف، ومن ينظر إلى الكتابة اللاتينية فسوف يبدأ القراءة من اليسار لأول وهلة، ولكنه لن يفهم شيئا أو يصل إلى دلالة بالحروف اللاتينية إلا إذا تخيلها حروفا عربية تبدأ من اليمين" (الكتب العربية النادرة: 80.79، مكتبة الملك فهد الوطنية . الرياض، ط2، 1427هـ)، ويقول الشيخ محمد بن جبير عن رسالتي الأمير مساعد: لكن الملك عبدالعزيز، كما لم يكن بعض المشايخ راضين عن كلتيهما، لأنهما كانتا تناديان بأفكار لم تكن مهضومة في ذلك الوقت، سواء في تعليم البنات أو في تطوير المملكة ككل. انظر: الأمير مساعد بن عبدالرحمن: 28، د.عبدالرحمن الشبيلي، ط1، 1425هـ.

وأجد أن رأي العالم الفاضل السابق مستغرباً عندما أدرج في كلمته عن إحضار المعلمات من الخارج ليسهمن في تعليم البنات في المملكة فكرة صاغها فضيلته بقوله: «لم يقفوا عند هذا الحد، بل يريدون ويحاولون إخراج البنات من أكنانهن ليكشفوا حجابهن، وليتمكنوا من التمتع بهن، بحيلة هذا التعليم المزعوم[1]»، وهي رؤى تنبع في سياقها العام من معين التمسك الشديد الذي يقوم به بعض العلماء أوالمثقفين بالرأي الشخصي، وعدم اعتبار آراء الآخرين، أو تجاوز آراءهم إلى التشكيك في نواياهم ومقاصدهم، ويغيب عن العالِم أوالمثقف أنه يكتب للتاريخ، ولايكتب للحظته المعاصرة، وسنلحظ أنَّ هذه الفتوى لاتختلف عن الصرخة التي أطلقها الشيخ الآخر في المسجد، وذلك من حيث الفكرة والأداء، وأنَّ جزءاً واسعاً من أمنيات العامة وأحاديثهم وتحذيراتهم هي إفراز أو تأويل يترجمون به ما فهموه من إشارات الرمز أو الشيخ.

وفي حيز البحث عن تحول الخطاب المؤدلج إلى خطاب خرافي في بعض نماذجه نجد أن من المنادين بتعليم البنات في بريدة الشيخ علي الحصين رحمه الله[2]، وكان من تقدير الله أن مرض بعد إحدى زياراته للمسؤولين في الرياض لمطالبتهم بتعليم البنات، فلم يجد العقل البشري الساذج حينها، إلا القول بأنَّ عقوبة الله قد نزلت، وأنه قد مرض لأنه خرج على رأي الدين وعلمائه[3]، وتلك من تداعيات سذاجة العقل وبساطته، وهي نوع من الفتنة في الدين بالتعبير الشرعي، إذ إنَّ هؤلاء قد وجدوا . برأيهم . دليلاً قاطعاً على صحة ما يرونه، فالمنادي بالتعليم مُرِض، وتلك عقوبة الله، ومن مأمنه يؤتى الحذِر، ومعلوم أن القائم بأمر الله والمجتهد في التزام دينه، حين يأخذ دينه بعنف، أو دون عقل، أو حين يشاد الدين، يقع في المحذور فينجو العاصي ويهلك المطيع، ونحن نعي عظمة الحديث النبوي الذي فيه أنّ رجلاً قال: (والله لا يغفر الله لفلان، فقال

---

(1) الدرر السنية: 16/ 82.

(2) وقد ارتبط اسمه بمدارس تعليم البنات، فوجدنا ترجمته تنصُّ على أنه كان من المتحمسين لفتح مدارس البنات في بريدة، ومن الساعين في ذلك لدى كبار المسؤولين (علماء نجد خلال ثمانية قرون: 5/ 222)، ومن اللافت أنّ هذا الرجل الرائد هو والد الدكتور عبدالله الحصين وكيل وزارة التعليم العالي لكليات البنات د.عبدالله الحصين، وهو أحد رجال التعليم في الرئاسة العامة لتعليم البنات سابقاً.

(3) أفادني بهذه القصة معالي الشيخ محمد العبودي في حوار هاتفي.

الله عز وجل: من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له وأحبطت عملك. رواه مسلم)، فهذا الرجل مسكون بمسائل المغفرة والعقوبة، وهو من الرجال الذين يلتزمون أوامر الله، ومن باب الخوف من الله والشفقة على نفسه رأى أنَّ فلاناً العاصي لن يظفر بمغفرة الله، وهنا حدث التحول الأوديبي، فهو من حيث لايريد وقع في المأساة التي يجتهد في الهرب منها، وذلك حين تخفّف من التعلق بما يوجبه العقل، فلم يقم بواجبه المباشر في دعوة الخلق ورحمتهم والدعاء لهم، ولكنه قام بما هو من خصائص الله سبحانه وتعالى، فحكم وأقسم بعدم المغفرة، ولذا جاءت عقوبته مماثلة في القطْعِية والكِبَر، فمع سابقته في الطاعة إلا أنَّ الله أحبط عمله، وتلك مزالق العقل البشري الذي لايتواءم مع النص الشرعي بوعي وفهم لمقاصده، وتتكرر التجربة دائماً، حيث يقطع بعض المصلحين بأنَّ العقوبة المحددة التي وقعت للشخص المحدد بعينه هي عقوبة من الله على فعله ذاك أو أفعاله تلك، ولأنَّ العقل البشري قادر على مخادعة نفسه، والوقوع في الفخ الذي ينصبه لغيره، فقد يتفاوت في تفسير الحادثة الواحدة، فالمصيبة التي تقع لفلان هي عقوبة، وذاتها حين تقع لآخر فإنها ابتلاء، وهذا قد يصح ـ نظرياً ـ، ولكن ليس في مقدور البشر تأويله والقطع به، فتلك من علوم الغيب.

وهذا التحفز الإيديولوجي للفكرة ـ أياً كانت ـ سوف يصبح مثاراً للتأمل، بصرف النظر عن نتائجه، ولأن الموضوع يتصل بما هو بمثابة المسلمات في الرؤية والمصير الحضاري، وهو تعليم البنات، فقد لحظ المؤيدون له في بريدة خطر ذلك، وأنه يتجاوز قيمته في ذاته، ليكون مما يترك أثره في مستقبل الأيام، وذلك خشية أن يتم تقديم الصورة بنوع من الطرافة والإضحاك، وهو ما أشار إليه المؤيدون مبكرا حين أكد أحدهم على أن مواقف الممانعين غير منطقية «إلا أننا لانوافقهم على هذا الرأي، لأنهم بهذا العمل سيجعلوننا موضعاً للتندر بين طبقات المواطنين الآخرين[1]»، ولذا، فالوفد الذي ذهب ليعرض على الدولة ممانعته لافتتاح مدرسة تعليم البنات، نجد أن اللافت هو تحويل الموقف من صرامته الإيديولوجية إلى إطار التندر، ونقله من إطار المعركة إلى إطار المواقف

---

(1) العدد 37، الموافق 1/ 3/ 1380هـ، (كلمة وكليمة)، ضحيان العبدالعزيز، ص 1.

المضحكة، وهو ما تمَّ مبكراً، إذ يروي الشيخ إبراهيم العبيد قصة ذلك، فيقول: «ثم أدخل هؤلاء الممانعون بناتهم إلى المدارس بعد افتتاحها، وأصبحوا مهزلة، لأن العقلاء لم يذهبوا، كما ذهب في ركبهم ناس ينافقون في النهار، ويطلبون فتح المدارس في الليل، وقال لهم الملك فيصل: اصبروا شهراً وسنرى، وصارت تروى حكاياتهم على سبيل الاستهزاء، فأحد الشباب يسأل صاحبه: ماذا جرى بشأن الذين ذهبوا إلى الرياض؟ قال: قفزوا على قصر الملك فيصل وأمسك بهم الكهرباء، قال الآخر: لاتكذب، بل بعثهم الملك فيصل إلى ابن جلوي وقيدهم، قال الثالث: لاتكذبوا، بل أعطاهم الملك فيصل قفلاً بحجم الباب، وحملوه على السيارة، وفتحوا المدرسة[1]»، وتتجلى روح النادرة في الانسياق مع التيار لضخامته وأنه قادر على أن يجرف ما أمامه، وذلك بالمواقف المتناقضة من حيث افتتاح مدارس البنات، كما تكبر النادرة في استثمار المجتمع لهذه المواقف، والبناء عليها، وتحويلها إلى إطار رمزي ضاحك، وهو نوع من التنفيس الذي يمارسه المجتمع، وذلك لفهم أو لتسويغ أو لقبول فكرة عدم الموافقة على ما نهض إليه كبار القوم أو جماعة من جماعاتهم الكبيرة وما احتشدوا له.

وإذا كان المبدأ الأصيل يلغي ما سواه من المصالح - أو هكذا يجب -، فإن طائفة من الممانعين قد انضموا إلى هذه الفئة بصفة جهال أو غوغائية لا أكثر[2]، وهم الذين تنازلوا عن رؤاهم وأفكارهم سرعان ما وجدوا مصلحة تخصهم، وهذا نوع من الفكر الخرافي الذي يتكون وفق أبجديات (الفزعة) الاجتماعية أو تكثير السواد أوالخوف من الجديد أو الألفة ليس إلا، وقد كان طريفاً أنه «وعلى هامش تجمعات وفد أهل بريدة، فإن مما يلفت النظر أن شخصاً في العشرينات

---

(1) حوار الأستاذ محمد القشعمي مع الشيخ إبراهيم العبيد المؤرخ بتاريخ 19 /10/ 1422هـ، وإشارة الشيخ العبيد إلى منهج بعض الممانعين في عدم الوضوح والصدق يذكر بإشارة الدكتور محمد الشويعر إلى أن هناك أشخاص ينتمون للعلم والدعوة ينفرون الناس من التعليم بدعوى الحرص على الأعراض وباسم الغيرة والدين انظر: محاضرة الدكتور محمد بن سعد الشويعر التي ألقيت في نادي مكة الثقافي بتاريخ الثلاثاء 15/ 08/ 1428هـ بعنوان (من الذاكرة: محطات في بدايات تعليم البنات في المملكة)، وهي آراء لاشك أنها تفتح مجالاً للتساؤل والتأويل.

(2) انظر: محاضرة الدكتور محمد بن سعد الشويعر التي ألقيت في نادي مكة الثقافي بتاريخ الثلاثاء 15/ 08/ 1428هـ بعنوان (من الذاكرة: محطات في بدايات تعليم البنات في المملكة).

من عمره من إحدى القرى بالقصيم ـ وهو نموذج فقط ـ كان ابن عمه يعمل موظفاً بالرئاسة، ولما عادوا دون مقابلة، تخلّف هذا الشخص في الرياض، التي جاءها لأول مرة، ولم يجد سكناً يأوي إليه، بعدما رجع الوفد الكبير من حيث أتى، فلجأ لابن عمه الموظف بتعليم البنات فسكن عنده، ثم قال له: ابحث لي عن عمل؟ فقال: نجد لك عندنا في تعليم البنات (فراش)، فوافق وباشر عمله، رغم أنه جاء للرياض منكراً لتعليم البنات، فإذا به يعمل موظفاً فيها، فلما سئل فيما بعد: كيف جئت مع هذا الوفد ضد مدارس البنات؟ قال: قيل لي تعال، فجئت، ولم أعرف لماذا جاؤوا؟!»[1]، وهو موقف يكشف العمق الفكري لطائفة من الممانعين لتعليم البنات، وهم العامة، أو هم بتعبير الدكتور محمد الشويعر الغوغائيون والجهلة، ولذلك لم تكن كثرتهم كثرة ذات أثر في هذا البعد الذي نعالجه، ولذلك كانت ملحوظة الدكتور الشويعر على هذا الوفد «أن ثلاثة أرباعهم شباب لم يتزوجوا، وجزء من البقية، لابنات لهم في سن الدراسة، وإنما هي مخالفة لتقال عنهم هذه النزعة تأثراً بالمغرضين والجاهلين»[2]، وهو مايكشف عن سبب تعاطي الحكومة معهم وفق المنهج الذي اتبعته.

ومن تجليات الوعي الذي لم يتكامل عند المجتمع في شأن المسائل التي يتعاطاها، أن نجد الاحتيال ينجح في تمرير عدد من المشاريع التي يرفضها العقل المؤدلج أوغير المنهجي، فالموقف الممانع من تعليم البنات ـ أو من غيره ـ حين تمَّ وفق أبجديات التهويل والتخويف غير المنطقي فقد حدث اختراق كبير له، بل نقض تام، وذلك فيما ينقله التاريخ لنا عن مدرسة بنات الملك سعود التي أنشأتها الأميرات حصة ونورة وموضي بنات الملك سعود عام 1376هـ، فقد «فكَّرن في تسميتها بالمبرة لشدة المعارضة في إطلاق اسم مدرسة عليها»[3]، وهذا يكشف عن التعلق القوي بالمظهر والشكل الخارجي، وأن حركة الممانعة إنما حدثت دون تأصيل عميق عند الجمهور، فكان الجمهور يتلقى ما هو أشبه بالأوامر

---

(1) انظر: المرجع السابق.

(2) المرجع السابق.

(3) تاريخ الملك سعود الوثيقة والتاريخ: 3/ 83، وفي هذا السياق يشير أحد الباحثين إلى الممانعة التي حدثت في العراق، وأن افتتاح المدرسة تحت اسم مدرسة بنات الموظفين قد أوقف الممانعة (تاريخ التعليم في العراق في عهد الانتداب البريطاني: 120).

لتنفيذها، ومن هنا خضع العقل الجمعي للجمهور لهذه الممانعة، واكتفى بسقفها العام، ولم يكن هناك مشكلة كبيرة بالنسبة للمبرة! مع وجود الاعتراض[1]، ولذلك كانت الحكمة تقتضي صناعة مثل هذا المخرج الشكلي بتغيير الاسم كي ينجح هذا المشروع الإصلاحي، وهو نموذج على شريحة من التوافقات التي يصنعها المصلح رغبة في معالجة بعض الارتباكات والتعثرات التي تخترق المشروع الكبير، وقد حدث في إحدى الفترات أن اعترض الأستاذ أحمد جمال رحمه الله ـ كما يروي الدكتور محمد الشويعر ـ على الشيخ ناصر الراشد الرئيس العام لمدارس البنات محتجاً على تعليم المكفوفين للبنات، فأمر الرئيس مديرَ تعليم البنات بمكة بإبعاد المكفوف عن مدرسة بنات الأستاذ، وبعد خمسة عشر يوماً رجع منفعلاً أكثر من ذي قبل، وأبلغ الشيخ بأن المدرِّسة غير السعودية ذكرت خطأً كبيراً، وقال بأن شر المكفوفين أهون من خير هؤلاء المدرسات، فأمر الشيخ ناصر بإعادة الوضع كما كان، ومنع هذه المدرِّسة من تعليم المواد الدينية[2]، وهو نموذج صريح في اجتهاد المسؤول لتمرير المشروع الإصلاحي، وأنه مشروع قابل للانحناء في مرحلة، والتأني في أخرى، والتراجع في ثالثة، والتحفز في غيرها.

ومن الأدلة على تفاوت الوعي في بعض القضايا المشابهة أنَّ أحد قضاة بريدة علم أنَّ أُناساً اجتمعوا مندهشين من الساعة في أول وصولها إلى بريدة، وكان وصولها بمثابة الحدث الذي يتحدى عقولهم البسيطة، فانتدبوا واحداً ليقرأ عليها القرآن، فإنْ كانت شيطاناً توقفت[3]، وهو منهج لايكشف إيمانهم بالقرآن

---

(1) التعليم في عهد الملك سعود: 433، د.حصة الزهراني، دارة الملك عبدالعزيز، ط1، 1427هـ.

(2) انظر: محاضرة الدكتور محمد بن سعد الشويعر التي ألقيت في نادي مكة الثقافي بتاريخ الثلاثاء 15/ 08/ 1428هـ بعنوان (من الذاكرة: محطات في بديات تعليم البنات في المملكة).

(3) انظر موقف الممانعة الذي أبداه المجتمع من التلغراف فيما يرويه حافظ وهبة، وأنهم كانوا يسألون عامل المحطة عن موعد زيارة الشياطين (جزيرة العرب: 286، 288)، ويتحدث الأستاذ فهد المارك عن معاناة القائد الذي يريد أن يرتفع بشعبه إلى القمة وهم يقفون له بالمرصاد بقصد حسن ونية سليمة منشأهما السذاجة والجهل كما حصل للملك عبدالعزيز مع الإخوان بقيادة الدويش وابن حميد، وكان أصل الخلاف قد نشأ من وجود الهاتف اللاسلكي (من شيم الملك عبدالعزيز: 3/ 325) ومما يشار إليه في هذا السياق أن كثيراً من الفتاوى التي أخذت هذه الوجهة تبني رؤاها على مسألة مشابهة غير المسلمين، ومن ذلك القول بتحريم لبس البرنيطة=

وأثره فقط، ولكنه يكشف عن توقف فاعلية العقل وارتباكه تجاه المستجدات، ولذا يلجؤون إلى مثل هذه الوسائل الشرعية لأنها تريحهم من كدِّ العقل ومصاولته، فقرأ أحدهم ولم تتوقف الساعة عن الحركة، فقال القاضي: لقد كانت رحمة الله بهم كبيرة فلم تتوقف، ولم يُفتنوا في دينهم، وهو رأي صائب منه، إذ لو توقفت لوقعوا في مصيدة الفخ الذي نصبوه لأنفسهم، ولظنوا أنّ الساعة رجس من عمل الشيطان، لأنهم منذ البداية لم يتيحوا لعقولهم فرصة التأمل والتبصر، وحين تستوعب تفاصيل الواقعة أياً كانت، ينتقلون إلى مرحلة أخرى.

وليست هذه حادثة منفصلة لاشبيه لها، وإنما هناك كثير من النماذج التي تتداخل مع هذه الحادثة في تأكيد أن الوعي والعقل ضابطان مهمان في الاجتهاد الديني، وأنَّ المتدين مطلوب منه أن يعقل شرع الله، وليس الإيمان والتصديق هو التسليم البليد؛ بل إنّ الله الذي خلق الإنسان ومنحه كرامة العقل والحرية قد طالبه بأن يعقل آياته، وحين يزول هذا الشرط يرتكب المؤمن ما يظنّ أنه يتقرب إلى الله به، ولايحسب أنه بالغ في الخطأ والمعصية، وقد ذكر الشيخ حمد الجاسر قصة تتصل ببدايات التعليم المنظم للأولاد، وفيها دلالة تتضافر مع سابقاتها، وتؤكد على وجود نسق ثقافي يتحرك الممانعون في كل وقت ومكان وفق موجهاته ومحدداته، ففي مدرسة سيئة الإدارة، قام الشيخ حمد بمكاتبة المعارف لترسل مفتشاً إلى الرياض، ليزور المدرسة، وليكتشفوا الأخطاء

= واستقذار الأكل بالأيدي واعتياد الأكل بالملاعق أو الجلوس على الكراسي أثناء الأكل (الإيضاح والتبيين لما وقع فيه الأكثرون من مشابهة المشركين: 91، 184، الشيخ حمود بن عبدالله التويجري، ط2، 1405هـ، والطبعة الأولى منه في 1384هـ)، ولايخفى أنها رؤى تجسد المفارقة الحضارية التي يعيشها المجتمع ومدى القدرة على التلاؤم معها، وهذه الرؤية التي تأتي من خارج منطقة القصيم لاتختلف عن الرؤى التي وجدت في القصيم وغيره، لأنها كانت تمثل سقف الوعي لدى كثيرين في ذلك الوقت، والشيخ حمود التويجري رحمه الله ولد حيث تقيم أسرته في المجمعة، ولازم الشيخ عبدالله بن حميد لما تعيّن قاضياً في المجمعة، وهو موصوف بأنه تصدى للتأليف في مسائل قد وقع الناس فيها، وفي الشبه والأمور التي أحدثت في المجتمع، فتصدى لمثل هذه الأمور، وبينها بالحجج القوية، وصار لها القبول كما يورد الشيخ عبدالله البسام ذلك في ترجمته (علماء نجد في ثمانية قرون: 2/ 143.141).

بأنفسهم، وحين علم المدير بوصول المفتش، ذهب ومعه زملاؤه إلى أحد العلماء، وقالوا له: إن فلاناً أحضر إلى الرياض جهمياً ليفتش على المدارس، فاستثير الشيخ وذهب لمقابلة الملك وعرْض الأمر عليه، وحين ذهب الشيخ حمد الجاسر ومعه المفتش لزيارة الملك، أمر الملك بطرْد الجهمي وإخراجه من الرياض، «وهكذا استطاعت وسائل المكر والاحتيال أن تحول دون كشف ما يحدث في هذه المدرسة وفي غيرها من المدارس من سوء إدارة ومن تلاعب قد يقصد منه اتخاذ الوظيفة وسيلة للابتزاز[1]»، وتم التنازل عن موجبات العقيدة والدين لتسويغ المخالفات الشخصية.

وقد ذكر الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ أنه بعد أن تبرّع بعض التجار لإقامة مدرستين في جدة، «وعندما لمس البعض أن هناك اتجاهاً لتأسيس وزارة المعارف، وأنّ الدولة سوف لاتهمل أمر تعليم المرأة؛ أرادوا استباق الأحداث ووضع العقبات في الطريق، فأرسل أحدهم خطاباً إلى الملك سعود ـ يرحمه الله ـ خالياً من ذكر اسمه، يزعم فيه أنَّ في المدرستين المذكورتين أموراً منكرة ومخالفات شرعية وعدم احترام لشعائر الإسلام[2]»، وقد قُرئ هذا الخطاب فكان أحد الحاضرين يُصحح للقارئ، ويكمل عنه بقية الجمل، مما أوقع الشك أنه هو كاتبه، وبعد التحقق والتشاور واطلاع لجنة متخصصة تبيّن بهتان هذا الخطاب، ولكنَّ منْ حامت حوله الشبهة بكتابة هذا الخطاب طالب بإغلاق المدرستين، وذكر مسوغه بأنه لامصلحة من تعليم البنات، وهي حادثة تُثبت أنَّ العقل المؤدلج غير الحيادي يقع ـ سريعاً ـ في مخالفة إيديولوجيته ومبادئه الرئيسة، إذ إننا هنا وجدنا الرجل الذي يريد النصح والتغيير لايمتنع عن البهتان والكذب رغبة في تحقيق أهدافه.

وغير بعيد عن تداعيات هذه القضية، نجد وزير التربية والتعليم السابق الدكتور محمد الرشيد ينقل في كتابه (مسيرتي مع الحياة) نصاً كاملاً لخطبة أحد المشائخ الذين كان لهم موقف ضد دمج الرئاسة العامة لتعليم البنات مع الوزارة المتخصصة بشؤون تعليم الطلاب، وفيه يُصرِّح الخطيب بأن شؤون تعليم البنات

---

(1) من سوانح الذكريات: 2/ 882 ـ 883 .

(2) لمحات عن التعليم وبداياته: 143.

قد أُسندت إلى منْ لاتبرأ بهم ذمة، ولا يؤتمنون على عرض[1]، ولاشك أنَّ هذا تصريح خطير، وأحسب أنه يندرج ضمن الاتهامات والحديث عن النوايا، وهو رأي يحمل إرثه السياسي والثقافي، لأنه يجيء في سياق التحذير والممانعة إزاء الأمر الملكي بدمج الرئاسة مع الوزارة، وهو يستحضر ما يؤمن بأنه اشتراط ضمني، وهو الذي من خلاله وافق المشائخ على تعليم البنات، وهو أن يكونوا هم من يُشرف عليه، ومهما كان صاحب هذه الخطبة يمتلئ بحبّ الخير، فإنَّ المأزق أنَّ الخطيب قد يقع أحياناً تحت سُلُطات تفوق قدرته على تمييز الصحيح من الخطأ، فقد احتشد بعض العوام تجاه هذه الخطوة، وشاعت سمعةٌ معينة تجاه القائمين على تعليم البنين، وناصرت طائفة من العلماء هذا الاتجاه، فأصبح الخطيب إنما يتكلم بما يريده المستمع، لابما يجب أن يقوله الخطيب ويعيه المستمع، فكأنه مثَّل ردَّة الفعل لاغير، ومهما كانت مواقف هؤلاء قد تحمل نمطاً من الصحة عند كثيرين؛ فإنَّ مثل هذه العبارة التي قالها الخطيب لاتصدر إلا من رؤية منحازة.

ولعل من نماذج التحول من العقيدة إلى الخرافة ما يتمثل في التناقض الذي سيطر على طائفة من شرائح المجتمع، حيث يضطرب العقل المؤدلج أمام السائد والمتحول من قيم الحضارة ومن قيمه هو، ومن هنا يلجأ إلى محاولة التوفيق، أو ما يظنه من التوفيق، وذلك بالجمع بين المتناقضات مهما كانت فاضحة، ولذلك يذكر الشيخ حمد الجاسر أن أحد وجهاء الرياض أنشأ مدرسة خاصة ببناته، وأحضر مدرسات من فلسطين، وعندما قمت . كما يذكر الجاسر . برحلة لفتح مدارس رسمية قال لي: «ليس في هذه المدارس التي تفتحونها سوى الجهل، من أراد العلم فليحضر إلى مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم، فرفعت رأسي إلى مكيف الهواء وثريات الكهرباء التي في مجلسه، وقلت: إنكم حينما تحتاجون إلى إصلاح خلل قد يحدث في هذه الأشياء تتصلون بشركة أرامكو، ولاتطلبون من الشيخ محمد أن يبعث لكم أحد تلاميذه[2]»، وهو ما يذكرنا برأي الشيخ إبراهيم

---

(1) مسيرتي مع الحياة: 444، دار رحلة حياة للنشر . الرياض، ط1، 1428هـ، وهو موقف يوقظ في الذاكرة ما يرويه أول مندوب لتعليم البنات في الزلفي الشيخ محمد الحسيني حين روى قصة خطبة الجمعة التي ألقيت في التحذير منه وكان هو أحد الحضور وسمع فيها بإهدار دمه (مجلة اليمامة، العدد 2000، الموافق 21/ 3/ 1429هـ، ص 49)

(2) من سوانح الذكريات: 2/ 667.

العبيد عن وفد الممانعين لتعليم البنات وأنه قد «ذهب في ركبهم ناس ينافقون في النهار، ويطلبون فتح المدارس في الليل [1]»، وهي مفارقة كبرى لايرفضها العقل المؤدلج، فهو يقيم المدارس، ولكن في بيته! ويتحفظ تجاه المدارس العامة التي تقيمها الحكومة، ويرى أن العلم هو النمط الديني الذي يؤخذ على يد المشائخ، وهذا يكشف عن عدم دقة ما يراه بعض الباحثين من أن تعليم البنات كان في مراحله المتقدمة يتم في داخل بيوت الأسر ذات الذهن المتفتح[2]، وذلك لأن طائفة من هذه الأسر ـ كما أشار الشيخ حمد الجاسر ـ قد خضعت لسلطة المجتمع وثقافته، ويبدو أنها رؤية ارتقت مرتقى الإشكالية في ذلك الوقت، وقد وجدنا الشيخ عبدالكريم الجهيمان في وقت مبكر جداً يشير إلى شيء من آفاقها في صحيفة أم القرى، فيقول: «وأما قولك: إن العلماء لدينا قد قاموا بتعليم علوم الديانة ـ إذ هي المهمة ـ خير قيام، فنعم، أنا معك في هذا، ولكن مهمة المدارس لاتتعارض مع مهمة العلماء، فهذه المدارس ـ يا أخي ـ إنما هي بمثابة إعداد النشء إعداداً يؤهلهم أن يتلقوا العلوم من المشايخ بسهولة، ويكونون مع ذلك قد ضربوا بسهم بسيط في بعض الفنون التي تأخذ بساعدهم في مهام هذه الحياة، فالمرء خلق للدين، ولكنه مع هذا مطالب بإصلاح أمور دنياه وطلب رزقه[3]»، وهي محاججة عقلية تجاه هذا الخلط الحضاري بين الطريقين أو المنهجين، وهذا الفهم المحدود للعلم، حيث يجد الواحد منهم طريق العلم محصوراً في زاوية معينة، وأن هذا المنحى قادر على الإجابة على كل شيء من مستجدات الحضارة.

والموقف الحضاري المرتبك يجعل العقل غير قادر على قبول الفكرة أو تصورها، وإنما هو بحاجة إلى تأويلها المستمر، أو أنه لايستطيع الانفكاك عن عقلية الحذر الشكاك، فالناس الذي كانوا يكرهون العسكرية «ظنوا أن ذكر (دار التوحيد) حيلة لإدخال أبنائهم المدرسة العسكرية[4]»، فليس العلم في تصورهم إلا الفخ والمصيدة التي تريد الحكومة أن تنصبها لهم، وليس غاية بذاته أو وسيلة إلى الفقه في الدين أو الوعي، وإنما هو فخ، ومن طبيعة النفوس البشرية أن تنفر

---

(1) حوار الأستاذ محمد القشعمي مع الشيخ إبراهيم العبيد المؤرخ بتاريخ 19 / 10/ 1422هـ.

(2) انظر: معجزة فوق الرمال: 823.

(3) المختارات من صحيفة أم القرى: 1/ 237، دارة الملك عبدالعزيز، 1426هـ.

(4) الشيخ المسند: 38.

من الفخاخ وأن تهرب منها، ولك أن تتصور درجة الوعي حين يجد العقل في العلم مصيدة لغيره.

ونستطيع القول: إن من نماذج التحول من العقيدة إلى غيرها ما يتمثل في الوقوف عند العقيدة حين تكون مستقلة بنفسها، ولا تتصل بمعاش الإنسان ودنياه، فيثبت المؤدلج عليها، وحين تتناقض مع مصالحه يضطرب، ولذا فالشيخ عبدالله السليم بعد افتتاح مدرسة بريدة الحكومية للأولاد وتكليفه بها، وانصراف الناس عنه وعن مدرسته، والتواصي بعدم الانضمام إليه وعدم مبايعته، يكشف أن تخريج الدفعة الأولى من مدرسته وحجم الوظائف التي توفرت لهم والمبالغ التي بدأت تصل إليهم، هي أشياء جعلت الناس يقبلون بأعداد كبيرة إلى المدرسة[1]، «وصارت دعاية الكتاتيب بالمقارنة بالمدرسة مثل من لديه لمبة التنك، وأنت أولعت أتريكا، وكان يدور الحديث بين الأهالي، فيقولون: الذي لايدرس ولده في المدارس الحكومية فكأنه ما درس، ويسأل بعضهم بعضاً: عند منْ يقرأ ولدك؟ عند فلان، الله يرحمنا وإياك درّسه. شف ولد فلان تعين، وولد فلان تعين، وولد فلان تعين، وبدؤوا يأكلون العيش وأنت قاعد[2]»، ولم يكن هناك تغير في مناهج المدرسة ووسائل التدريس وموادها وأوقاتها وإدارتها، ومع ذلك تنازلوا عما كانوا يتخذونه من مواقف، وأقبلوا إلى المدرسة تشوقاً إلى الوظيفة، فكان المقوم الاقتصادي كفيلاً بحدوث التحول، وكان تحولاً من الموقف الحذر المتخوف المتوجس الرافض إلى المقبل المتحفز، وكان تحولاً من التعاضد والتواتر ضد المدارس إلى التعاون معها ومن أجلها، وذلك ـ بعبارة أوديبية ـ إنما حدث بعد مرحلة التعرف الذي حدث من قبلهم، وهو تعرف اقتصادي بحت، ولعله كان الأقوى بمقاييس تلك الفترة، أو أنه الأقوى بمقاييس تلك الرؤى والمناهج، خاصة إذا أدركنا أن مرحلة الممانعة كانت موقفاً حضارياً متحفظاً من التعليم النظامي، فلم تكن لهم رغبة بهذه المدارس ولا بأستاذها، ولذا فقد روى الشيخ عبدالله السليم قصة ذلك فقال: «هجرني الإخوان الذين كنت أقرأ وإياهم على الشيخ، وأقسم بالله العظيم أني وقفت يوماً على واحد من الباعة للشراء

---

(1) من حوار الدكتور صالح الوشمي مع الشيخ عبدالله السليم رحمهما الله (حوار مسجل بتاريخ 25/ 5/ 1405هـ).

(2) كنت مع عبدالعزيز: 285 ـ 286.

منه، فقال: ما يباع. يقول لي: ما يباع، وكأني أجرمت [1]»، ويروي قصة التواتر والتكالب الذي كان المجتمع يقوم به ضد من يلتحق بهذا التعليم الحكومي، وكأنه يمارس سياسة الطرد أو تضييق الخناق الاجتماعي بعد أن مارس التضييق الاقتصادي، وتلك وسائل لايلزم أن تتم ضمن أطر منهجية ومخططات مسبقة، ولكنها اجتهادات يحفزها الحماس ويدفعها العقل المؤدلج وينتظم خيطها الرأي العام السائد، فيقول الشيخ عبدالله السليم متحدثاً عن نفسه في تلك المرحلة: فتحت المدرسة، «ولكن الأعيان كانوا يخذلون عنه، ويقولون لمن أدخل ولده المدرسة: أنت عارف ولدك. وما هو قصدك. وهل تبغي شيء بدون مقابل. وأنت كذا وأنت كذا. ثم ما يأتي يوم تال إلا وهو ساحب ولده من المدرسة[2]»، وهي استجابة طبيعية يقوم بها هذا المتحفز أو ذاك للمدرسة، وذلك بعد هذا الضغط الاجتماعي الكبير، وهنا نلحظ التحول الكبير الذي تمت الإشارة إليه سابقاً، فالانتقال هنا تم بين طرفين متناقضين.

وتبدو الخاتمة المناسبة لمثل هذه الباب أن نتأمل الصورة الذهنية التي صنعها الأفق الخيالي في أذهان الناس تجاه حركة العلم والتعليم، فقد تركت الممانعة ضد التعليم - للأولاد خاصة - أثرها في مناحي متنوعة من الحياة، وذلك لأنه كان يمر بشرط مكاني، وهو أن يتم استدعاء أو جلب المتعلمين من مناطقهم النجدية؛ ليتعلموا في دار التوحيد بالطائف، وهذا يشهد بعمق الأثر والحادثة، وأنها أصبحت من التجارب الحية الفاعلة، ولذا وجدنا الشعر يُعنى برصد هذا التحول الاجتماعي من بوابات مختلفة، وأهمها هنا، هو ما يتصل بالشعر الذي قيل في ذلك الوقت تخوفاً من انضمام الأبناء إلى مدارس دار التوحيد، أو تشوقاً إليهم بعد انضمامهم، وهي المدارس التي كانت الأولى والبداية الفعلية للتعليم النظامي بهدف بث الوعي المنهجي في بيئة نجد، أو أنها كانت «ليتوازن جناحا المملكة؛ الحجاز ونجد[3]»، فجاءت نماذج شعرية متعددة تعالج هذا المنحى، ومنها في الشعر الفصيح:

فحلت بخلق الله أعظم خطة ... تجر على أبنائهم بالتعازل

---

(1) كنت مع عبدالعزيز: 284.

(2) المرجع السابق: 273 .

(3) دار التوحيد نقوش في ذاكرة التعليم والمجتمع : 14، إدارة تعليم الطائف، 1415هـ.

دعـاهـم إلـى ذاك الـبـوار يـقـودهـم ... فـأهـون بـسـاع بـالـفـراق مـجـادل
يـريـد فـراقـاً بـالـذراري بـجـبـرهـم ... عـلـى رغـم أنـف مـن قـريـب وآهـل
فمن أجل هذا أصبح الناس فزعاً ... تـسـح الأمـاقـي مـن غـزيـر الـمـنـاهـل
لـك الـلـه مـا هـذا بـفـعـل مـجـاور ... محام على أهل القرى والمحافل
ألا قـل لـسـاع نـحـونـا بـتـكـلـف ... يـريـد شـفـاء الـغـيـظ فـعـل الأراذل

ومنها :

فكم من كبير قد دهي بحبيبه ... تـسـح دمـوع الـعـيـن مـن كـل ثـاكـل
على أخذ أولاد تعالى صياحهم ... يـنـادون ربـا لـيـس عـنـا بـغـافـل
وفيهم مراهيق صغار جسومهم ... تـكـل نـفـوس مـنـهـم عـن مـحـافـل
لأوطانـهـم يبغون قرب أليفهم ... ومـا لـفـراق الإلـف غـيـر الـزلازل
فلو شاهدت عيناك يوم رحيلهم ... فـإن فـراق الإلـف مـر الـمـنـاهـل
لقد كان قهر الناس ليس بمرتضى ... فـكـيـف بـذي ود خـلا مـن مـنـازل
لـعـمـري لـقـد آذى الـعـيـون مـدامـع ... تـسـح عـلـى أوجـانـهـا كـالـهـواطـل
فهذا لنحو الشيخ يسعى بجهده ... وآخـر يـسـعـى لـلـمـلا مـن قـبـائـل
وآخر يسعى حاسراً عن معارف ... إلى نحو قصر من بكور البلابل

ومن الشعر النبطي فول أحدهم:

يا ويل ابن عامر من النار ويلاه ... اللي فرق بين القلوب الوليفه
كم من عجوز تسهر الليل ببكاه ... تبكي على ولد لها غاب ريفه
لـو شـاوروهـا مـالـك الـلـه تـعـداه ... هـرجـه ولـدهـا فـي مـحـلـه طـريـفـه
يا راكب اللي يبرم الراس ممشاه ... العصر يمسي فوق وادي حنيفه
يلفي لأخو نورة ويبدي شكاياه ... يـقـول يـا زبـن الـديـار الـمـخـيـفـه
كم من عجوز ما تصرف بدنياه ... بدت تقلب مثل خطو العسيفه[1]

وهي نصوص تكشف اختلاط الاجتماعي بالعاطفي والسياسي، ولذلك اتجهت مضامينها إلى اتهام القائمين على التعليم بمتابعة الطلاب وأخذهم إلى المدارس، واللجأ إلى الملك عبدالعزيز في نهايات القصائد لكي يكشف كربتهم

---

(1) ترد القصائد في كتاب دار التوحيد تطور تعليمي: 21 ـ 23.

هذه، ويتم تصوير فراق الطفل بصورة عاطفية حزينة توحي بمأساوية هذا الحدث إبان تلك الفترة، وهو نقلٌ للحدث من إطاره الطبيعي الذي يتصل برغبة الحكومة الجادة بتعليم الأبناء، حتى لو استدعى ذلك إلى استضافتهم ونقلهم من مدنهم إلى غيرها، إلى أن يكون نوعاً من الفراق والقهر والعنف، بل إن الموقف الرافض لهذا النمط من التعامل ولَّد عندهم قناعة أنهم ذاهبون إلى حيث لارجعة ولا عودة، وهنا تنمو الشائعات وتتكاثر، ولايستطيع العقل البشري البسيط إلا أن يفزع إلى ما يمنع هذا الأمر، ومن هنا وجدنا الحيلة الأولى تتمثل في الرفض المجرد، ثم في إخفاء الأبناء، ثم في ادعاء أنهم لايتقنون هذه العلوم والمعارف، ثم في الفزع إلى ولي الأمر للاستشفاع بما ومن يحب لكي يأذن لأبنائهم ألا يتعلموا!!

ويذكر الشيخ عبدالعزيز المسند أن هناك مَنْ اختفى أو أخفي عن المدارس[1]، ومنهم مَنْ فرَّ أثناء الرحلة، ومنهم من استشفع بأخت الملك عبدالعزيز (نورة)؛ لتشفع لابنه بعدم الذهاب[2]، وهي أمارات عامة تكشف هذا المأزق الحضاري الذي كان يمر به المجتمع، ويبدو من المناسب هنا أن أورد النص الدقيق لما رواه الشيخ المسند في هذا الشأن، إذ يقول: «شهدت منظراً ما زلت أتصوره، حيث دعي أولياء أمور الطلاب المرشحين إلى اجتماع في بيت سليمان الحجي وحوله مساحة واسعة، وإذ بالنساء يبكين، وهن من غير أولياء الأمور؛ تضامناً مع من سيغصب أولادهم، ولم يقابلهم أمير القصيم بل شدد الأمر وتوعد، ودخل الرجال ومعهم الأولاد، وكنت أصغر مرشح فيهم، فتكلم عدد من الحاضرين ليقنعوهم، ولكن لم يؤثر هذا عليهم أبداً، ولأول مرة يخاطبهم المندوب عبدالله بن عامر مع أنه من بلدتهم، وخرجوا دون اتفاق مع الإصرار من المندوب وممثلي الإمارة بأنهم لن يتراجعوا عن القرار، وحين خرج الأولياء وأبناؤهم ووجوههم تدل على الحزن والأسى وضجت النساء والرجال

---

(1) هناك من يذكر أن الشيخ المسند نفسه قد خبأته أمه في التنور حذرا من أخذه لدار التوحيد في الطائف إلى أن وجدوه (دار التوحيد نقوش في ذاكرة التعليم والمجتمع : 112)، ويشير الشيخ عبدالعزيز المسند أن والده ظل مع الشيخ الخريصي فترة طويلة لم يقبل التعليم النظامي للأولاد (الشيخ المسند علم وعمل: 35).

(2) دار التوحيد نقوش في ذاكرة التعليم والمجتمع: 23.

المجتمعون في الساحة بالبكاء، وفزع الناس وعمد بعضهم إلى إبعاد أولادهم وإلى إخفائهم في أماكن المزارع، فجمعهم (خويا) الأمير وبقي واحد هربه أهله إلى الربيعية، فأصروا على إحضاره، وكان البنزين في ذلك الوقت مرتفع السعر، وعزيزاً على السائقين، فكلف واحد منهم لإحضاره، والطريق غير معبد ورمل، فلما ذهب إليه مع رجال الإمارة ورآه السائق فوجئ بأنه صغير الجسم أسمر، فقال: هذا الذي سلكنا المشاق من أجله، والله هذا ما يسوى (تنكة بنزين)[1]»، وهنا تتضح عدد من الرموز الثقافية، فالأمر الإجباري، والتعاضد الأسري من كل أبناء المدينة، وموقف أمير القصيم، والحالة الدرامية التي تعلو وجوه الناس جميعاً، وخاتمة الموقف ما ينضح به موقف السائق حين فضَّل (تنكة البنزين) على الولد الصغير الجسم الأسمر اللون، ولم يجد فيه ما يغري بقطع هذه المسافة.

وهذا الموقف من تعليم الأولاد عام لأغلب مناطق المملكة، مما يؤكد البعد الثقافي فيه، وليس البيئي فحسب، فيقول الدكتور عبدالله السبيعي عن منطقة الأحساء. مثلاً .: التمس بعض المستنيرين من سكان الأحساء من الملك عبد العزيز- رحمه الله - حين زيارته للأحساء عام 1349هـ فتح مدرسة ابتدائية في الهفوف، فأوعز جلالته لمديرية المعارف بتلبية الطلب. وقد سارعت المديرية في عام 1350هـ بإرسال اثنين من المعلمين هما الشيخ عبد الجليل الشعلان الأزهري، والشيخ راغب القباني فافتتحا مدرسة في شارع الخباز، غير أنهما مكثا ستة أشهر دون أن يأتيهما أحد من التلاميذ مما اضطرهما إلى إغلاق المدرسة، ويعزى أحد أسباب الإخفاق إلى أن الشيخ راغب القباني الدمشقي الأصل وخريج الأزهر الذي أوكلت إليه إدارة المدرسة لم يكن على دراية بأوضاع الأحساء ودور علمائها ونفوذهم واعتدادهم بمنزلتهم العلمية. ومما يؤكد هذا ما وقع فيه الشيخ القباني بطريق الخطأ غير المقصود عند حديثه عن الحالة العلمية المتردية في المنطقة، وذلك في خطبة له في جامع الإمام فيصل بن تركي في الهفوف. فتشير الرواية أن الشيخ القباني بعد أن استهل خطبته ببيان فضل العلم ومنافعه شرع يتكلم عن الجهل وكيف أنه ضارب أطنابه في هذه المنطقة، وقد

---

(1) الشيخ المسند علم وعمل: 38 . 39، ولاشك أنها نماذج لاتخص منطقة دون أخرى، وإنما تعود إلى البعد الثقافي، ولذا وجدنا الإشارة إلى أن افتتاح مدرسة في الأحساء تم مواجهته برمي الحجارة على من قام به (كانت أشبه بالجامعة: 45، د.محمد آل ملحم، 1419هـ)

فات على الشيخ أن مثل تلك الأقوال تؤثر في المشايخ والعلماء تأثيراً كبيراً إذ اعتبروها إهانة لهم. إضافة إلى ما كانوا تشبعوا به من فكرة سيئة عن المدارس الحديثة من الناحية الأخلاقية؛ ولذلك سعوا في عدم تعضيدها والتنفير عنها حتى أغلقت بعد بضعة أشهر من فتحها[1]، بل إن الشيخ عبدالعزيز العلجي نظم القصائد في رفض مدارس الأولاد في الأحساء، والمطالبة بغلقها فقال مخاطباً الملك عبدالعزيز:

مدارس قامت فتنة وخديعة فتعليمها زورٌ وتهذيبها ردى
فغرّوا بها الحمقى إلى أن تجاذبت وعمّت عموماً لا يُقاس له مدى
فنأمل بسط السيف حتى تُزيلها وتقطع منها أصلها المتمددا
وتحرق تأليفاتها فهي قد سرت وتزجر عن تقويمها وتُهددا[2]

وهي مواقف ورؤى تكشف أنَّ فتنة القول بتعليم البنات وما قاربها كتعليم الأولاد التعليم النظامي، وما تكوّن في نسيجهما من رؤى أو رشح عنهما؛ كلها لم تنفصل عن السياق الثقافي الذي احتضنها، وأنها اعتمدت على مقومات وطرائق في التفكير استخدمها الجميع في هذه القضية كما استخدموها في سائر المستجدات.

---

(1) الحياة العلمية والثقافية والفكرية في المنطقة الشرقية: 51، د. عبد الله ناصر السبيعي ، ط2، 1409هـ.

(2) شعراء هجر: 393، د. عبد الفتاح الحلو، دار العلوم . الرياض، ط2، 1401هـ.

المهاد الثقافي ..

تولد الأفكار من حضن الثقافة، ولاتوجد نباتات شيطانية بالمفهوم الذي يوحي بالوافد والغرائبي الذي لاصلة له بالواقع أو الثقافة، ولاشك أنَّ الموقف من المرأة في سياق تعليم البنات يُشكل رؤية تتجاوز الطارئ، وتتصل بالمكون الثقافي عند بعضهم، فتغييب النص الشرعي المحقق، وصمت العقل عن ممارسة فعاليته تجاه هذه النصوص، وتداخل العرف المزيَّف مع قضايا الحضارة، هو الذي يُنتج رأياً ملفقاً يحاول الانتماء إلى الأبعاد الدينية والاجتماعية وغيرها.

والموقف الممانع من تعليم البنات في بريدة رشح من عدة مسوغات، ويظلُّ المسوغ الثقافي حاضراً في العمق منها، والاستحضار العرفي للمرأة إبّان تلك الفترة. وغيرها مكانياً وزمانياً. يختصر المرأة في الأنثى، ويختصر الأنثى في جانب الفتنة، ويختصر الفتنة في جانب الشر، ويختصر الشر في جانب مبادرتها وسعيها إليه، ويختصر سعيها إلى الشر في حرصها على امتلاك وسائله وهو التعليم، وهي رؤى تجد في تراثنا الواسع والمتنوع ما يدعم أبعادها المنحرفة.

ويخالف بعض المعاصرين المنهج الشرعي، فيمنعون خروج المرأة من بيتها، بحجة أن للمرأة خروجين من بيت أبيها إلى بيت زوجها، ومن بيت زوجها إلى قبرها، وها هو ذا الشيخ محمد الغزالي ينقل قصة أحد الخطباء المشهورين الذي وقف يصيح بغضب، ويقول: رحم الله أياماً كانت المرأة فيها لاتخرج إلا ثلاث مرات؛ من بطن أمها إلى العالم، ومن بيت أبيها إلى بيت زوجها، ومن بيت زوجها إلى القبر، ويعلق الشيخ الغزالي على ذلك بقوله: «لابارك الله في هذه الأيام، ولا أعادها في تاريخ أمتنا. إنها أيام جاهلية لا أيام إسلام. إنها انتصار لتقاليد جائرة، وليست امتداداً للصراط المستقيم[1]»، وهذه الرؤى التي

---

(1) مقدمة كتاب تحرير المرأة في عصر الرسالة: 1/5.

تغالي في الخوف من وعلى المرأة تجد في بعض الأطياف التراثية منطلقات فكرية لها، وتجد هذه الرؤية سندها، أوشيئاً من مسوغاته في التراث، فهناك روايات ترى عدم جواز تعليم الكتابة للمرأة، وتم إثباتها في بعض المؤلفات[1]، وهناك مَنْ ينصُّ على أنَّ كرامة المرأة في دفنها، إذ يورد القلقشندي قصة مفادها «أن عاملاً لزبيدة كتب إليها كتاباً فوقعت في ظهره: أن أصلح كتابك وإلا صرفناك عن عملك. فتأملَه فلم يظهر له فيه شيء فعرضه على بعض إخوانه فرأى فيه الدعاء لها: وأدام كرامتك، فقال: إنها تخيلت أنك دعوت عليها، فإن كرامة النساء دفنهن[2]»، وهي رؤية تؤكد ما مضى.

وتظل المرأة في هذا التصور لاتحضر إلا بصفتها فتنة، مع أن الشرع يخبرنا بأن حضورها لايقف عند المستوى، وإنما يتجاوزه إلى آفاق المتعة والزينة والاستشارة والرعاية والرفق، وتظلُّ المرأة جنساً مستقلاً عن الرجل، له حقه الكامل الذي يتماثل وفق السنن الربانية مع الرجل، ولايتميز أحدهما عن الآخر إلا بقدر ما يتيح للآخر أن يتميز هو بذاته، أو أن يكون التميز دافعاً لأداء زكاة هذا التميز وأبَّهته إلى الأقل على مستوى الرعاية وما شابه، وهنا يكمن الخطأ في منهجية الرجل في تفسير النص الخاص بالنساء أيا كان نوعه، ومثال ذلك ما جاء في صحيح مسلم من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان، فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله فإن ذلك يردّ ما في نفسه)، إذ نجد الرجل يقرأ آفاق الحديث من خلال ثقب إبرة، أي من خلال رؤيته وما يريد، ولذا يسقط على المرأة صفة المكر والعبث والفجور والإغواء والإفساد، ويستدل بأنها شيطان كما أخبر بذلك الحديث، ويغفل أو يتغافل أو يقع في الفخ الذي نصبه لنفسه، باعتباره الجنس الأقوى والأتقى، وتغيب عنه حقيقة أن الحديث مهما كان تأويله عند المحدثين فإنه ينصرف إلى الصورة، وهو الجانب الذي يظهر للرجل، أو يقع الرجل في محوره، والحديث في أصله يتجه إلى الرجل، وهو ما يمكن أن يتيح فرصة ممكنة من التأويل، ولو على سبيل الافتراض والقبض والبسط، وذلك بأن الرجل

---

(1) عقود الجمان في جواز تعليم الكتابة للنسوان: 21، محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق الدكتور وصي الله محمد عباس، مؤسسة المجمع العلمي. كراتشي، ط1، 1408هـ.

(2) انظر: صبح الأعشى : 1/ 64، أبوالعباس القلقشندي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1405هـ.

هو الذي أصبح مصدراً للشر، فهو الذي رأى وتخيل، وهو مصدر الخوف والقلق، ولذا فقد خوطب بأن يأتي أهله، وذلك خشية أن يستجيب لداعي الهوى والشر في نفسه.

ومنع تعليم المرأة نجده صارخاً في إجابة الفقية الذي سأله أحدهم: «هل يجوز أن يتعلم النساء الكتابة، فأجابه: لايجوز تعليمهن الكتابة[1]»، وكذلك نجد النص الذي يرد في نهج البلاغة[2]. وأشك في صحته. عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن المرأة شرٌ، وشر ما فيها أنه لابد منها، وهو نص يستحضر المرأة بالكيفية المقيتة، ويستحيل أن يقوله منْ زوجته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه يُجسد المرأة بصفتها من الشر وفي الشر وإلى الشر، وحتى يتخلى الرجل عن مسؤولية شغفه بها، وحاجته إليها؛ فإنه جعل هذا الفعل صنيعةَ شرِّها، وكأنَّ الرجل حال حاجته إليها هو مستلَبٌ بشرها، ولا يملك فكاكاً، وأنه يسعى للهرب منها، وهو ما تقرره المقولة الأخرى المنسوبة لعلي رضي الله عنه حين رأى رجلاً يُعلّم امرأة الخط، فقال: لا تزد الشرّ شراً[3]، ولقمان الحكيم حين مرَّ على جارية في الكتَّاب، فقال: لمن يُصقل هذا السيف؟![4]، وهي رؤى تنطلق من الإيمان بأصل المرأة الشرير، ومعدنها السيء، وتبني عليه أحكامها، ولاشك أنَّها رؤى تأتي لتأكيد ذكورية الرؤية والحياة، وأنَّ المرأة لايجب أن ترى نفسها إلا من خلال الرجل، أو ما تُحقق به كمال الرجل، وأما الأنثى فيها، فإنها شر ومن الشر وإلى الشر.

وكحصار على عقل الرجل، وترهيب للمرأة، جاء التحذير من تغيير واقع المرأة وهو الجهل، لأنَّ خروجها من هذا الواقع الافتراضي هو خروج على الرجل، ولذا تمّ التعامل مع العلم بوصفه صقلاً للسيف، والسيف المصقول لابد له أن يذبح أحداً، ويقول الكتاني: والمرأة إذا تعلمتها (الكتابة) توصلت بها إلى أغراضها الفاسدة[5]، وهو ما يعيدنا إلى علّة التحذير التي يُشهرها ممانعو تعليم

---

(1) نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية: 1/ 50، عبدالحي الكتاني، دار الكتاب العربي. بيروت.

(2) نهج البلاغة: 4/ 442، شرح الإمام محمد عبده، دار الكتب العلمية. بيروت، ط1، 1410هـ.

(3) صبح الأعشى: 1/ 64.

(4) نظام الحكومة النبوية: 1/ 51.

(5) المرجع السابق: 1/ 51.

البنات، وذلك خشية أن تستخدم العلم والكتابة في الفساد. كما سيأتي تحليل هذه الرؤية ..

وإذا كانت المرأة شرًّا، وفق هذه الرؤية التراثية ونماذجها المعاصرة، فإنَّ العقل يُفضي إلى محاصرة الشر، وعدم تمكينه، وذلك لأنَّ أصله لايمكن اقتلاعه، ومن هنا جاء عن حكيم أنه رأى امرأة تتعلم الكتابة، فقال أفعى تُسقى سماً[1]، وهي مفارقات تقوم على اليقين بالأصل المظلم للمرأة، فهي معادِلة لأخطر المخلوقات على حياته، وهي الأفعى، وهي العدو التاريخي للإنسان في الحياة، وعناقه معها يبتدئ منذ هبوطه على الأرض، ولذا فهي سامَّة بطبعها وتاريخها، وسيكون التعليم - وفق هذه الرؤية - زيادة للسمِّية فيها، وهو ما يعيدنا إلى الموقف الثقافي الذي قابل به بعض الممانعين تعليم البنات، فهم حيال هذه الفتنة يعيدون تمثّل ذواتهم القديمة من خلال نسخة حديثة، لأنهم أمام نازلة حضارية ترعاها الدولة، وعقولهم مشدودة إلى بنيتها التراثية العتيدة التي تقطع بسُميّة المرأة وسُميّة التعليم، ومحاصرة الشر الأصلي يقتضي عدم زيادته.

واللافت أنَّ هذا النص وأمثاله في تراثنا[2]، يأخذه الولع بمقاصده ولايولي

---

(1) صبح الأعشى: 1/ 64 .

(2) يجتهد كثير من الباحثين في الدفاع عن المرأة بالتأكيد على وضع بعض الأحاديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم، مثل: (شاوروهن وخالفون)، و(طاعة النساء ندامة)، و(خالفوا النساء فإن في خلافهن بركة)، و(هلكت الرجال حين أطاعت النساء)، وغيرها، ويؤكدون على وضعها، ويستغربون عقلياً من أن يكون رسول الله هو الذي يقولها، وذلك مع أنه شاور خديجة بنت خويلد في أمر الرسالة وأم سلمة في الحديبية، وغيرها، وهذا أمر جيد، ولكن اللافت أننا لانجد بحثاً يتعمق في درس أسباب هذا الوضع والكذب على رسول الله في هذه المواضيع، أو يدرس آفاق الاستجابة التي نشط لها كثير من المسلمين لتطبيق دلالات هذه الأحاديث، وما زال بعضهم يفعل، أو يتأمل القاعدة الفكرية لهذه الأقوال في العقل العربي، وكذلك الشواهد الأخرى التي جاءت على ألسنة بعض الحكماء والشعراء وهي تؤكد هذه المضامين! أو يحاول الفحص الدقيق لمناهج العلماء الذين لم يقطعوا بضعف هذه الأحاديث، وكيف كان شأنهم في تأويلها وتطبيقها في واقع المسلمين، وإذا كان محمد العظيم آبادي يقطع بأن منْ يراجع كتب التاريخ يجد أن النساء كن يكتبن، ولم يعترض عليهن علماء العصر، بل بعض النساء الكاتبات كن صاحبات العلم والعمل (عقود الجمان: 33) ويقول محمد العسافي. وهو من أهالي بريدة الذين نزحوا إلى العراق في القرن الرابع عشر. : " إن تعلم النساء الكتابة لامحذور فيه، لاعقلاً ولا نقلاً، ولا تخصيص فيها ببالغة ولا غير بالغة، محرم أو غير =

اهتماماً لإسقاطاته الأخرى، فلاتزد السم سماً، ولاتسق الأفعى سماً، هو تأكيد على خطوة العلم وسمّيته، فكانت الإجابة الأوفق والعقل المنطقي يوجب النظر في كُنْه العلوم، وكيفية أدائها، ومنهاج تعليمها، ومقاصد ذلك، لا أن يتم إلغاء العلم، وتفضيل الجهل المطبق على نور العلم، وقد كانت الالتفاتة التي قدمها لاحقاً الأستاذ عبدالله العقل ـ وهو أحد مسؤولي تعليم البنات ـ أمام الملك سعود موفقة حين كشف أمام الممانعين سبب فساد المجتمعات وأن الذنب ذنب البيئة والتربية لاذنب التعليم[1]، وهو موقف يفتح مجالاً للبحث في كيفية تأهيل الفقه المعاصر من جديد، وإعادة التوازن بين الشرعي والحضاري، وكيف ندخل إلى فضاءات الشريعة من خلال الوعي العميق بفقه المقاصد.

ونتيجة لذلك، يتواضع العقل المضطرب أو العقل المؤدلج لصناعة أساطيره، ومقولاته الكاذبة، فيروي بعضهم أثراً عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وفيه الحديث عن النساء، والبداية بـ (لا تسكنوهن الغرف، ولا تعلموهن الكتابة، وعلموهن المغزل وسورة النور)، وهو حديث موضوع كما نصَّ ابن مفلح[2]، والألباني[3]، بل إن محمد العظيم آبادي يقول: «أحاديث النهي عن الكتابة كلها من الأباطيل والموضوعات[4]»، وناقش الألبانيُّ رأيَ الشوكاني الذي شكك عقلياً في سلامة هذه الرؤية، ولكنه أمام نص نبوي أراد أن يدافع عن دلالة الحديث، فرأى أنه محمول على منْ يخشى من تعليمها الفساد[5]، وكان الألباني قاطعاً حين قال: هذه الخشية لا تختص بالنساء، فكم من رجل كانت الكتابة عليه ضرراً في دينه وخلقه، أفينهى عن الكتابة الرجال أيضا للخشية ذاتها؟! ثم إن التأويل

= محرم، مشتهاة أو غير مشتهاة، فإن الكتابة في نفسها ليست سبباً محضاً للافتتان' (الإصابة: 102) والسؤال هنا هو : ما أسباب هذا التحول الكبير في الرؤية والفهم والسلوك؟

(1) العدد 73، الموافق 24/ 11/ 1380هـ، (أخبار الأسبوع)، ص 2.

(2) انظر: الآداب الشرعية: 3/ 289، ابن مفلح المقدسي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعمر القيام، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط3، 1419هـ.

(3) انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة: 5/ 30، رقم الحديث2017، محمد الألباني، مكتبة المعارف، ط1، 1417 هـ.

(4) عقود الجمان: 34.

(5) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار: 8/ 561، تقديم وهبة الزحيلي، دار الخير ـ دمشق، ط2، 1418هـ.

فرع التصحيح، فكأن الشوكاني توهم أن الحديث صحيح، وليس كذلك كما علمت، فلا حاجة للتأويل إذن[1]، وهو منطق علمي من الألباني، حين لم يفصل في العلم بين الرجل والمرأة، ورأى دافع الخشية لا يُسوغ رأي الرجل بأن يمنع المرأة من التعليم، فالألباني لاينفي الخشية كلياً، وهو أمرٌ صحيح، ولكنه يجعلها متوقعة من الرجل والمرأة، فلماذا تُحصر أبعادها في المرأة فقط؟ ولعل ذلك . برأيي . عائد إلى أنَّ صوت الرجل هو الأعلى، وهو الذي يفهم وينوب عن المرأة في الفهم، وعلى المرأة أن تنفذ فقط، وما يخشاه الرجل فعلاً هو أن تسلب المرأة سلطته هذه، ولذا فإنه يريد أن يُحاصر عقلها، فلا تُفكّر إلا من خلاله، ولا ترى إلا ما يراه هو، وأمَّا ما أضافه الكتاني بأن النهي عن تعليم الكتابة لاينافي تعليمهن القرآن والعلوم والآداب فلاتتولد عنهن مفاسد بخلاف الكتابة[2]، فأحسب أنَّه رأي ضعيف ومبني على افتراض غريب، فمن الذي يقول بهذه المعادلة، وكيف يُخشى من الكتابة وحدها؟ أليس الذي يقدر أن يوظّف الكتابة في الشر قادر بدرجة أعلى على توظيف غيرها . حتى القرآن والأدب . في المحرمات.

والرجل الذي يفهم مسؤوليته تجاه المرأة بشكلها الحاد، أو بشكلها الأسطوري، وهي المسؤولية التي تتيح للرجل أن يعطي المرأة الحق أو يمنعها منه، سيقع في التناقضات، وقد كانت قمة ذلك في البيت الذي ينسبه القلقشندي للبسامي ويمتدحه به:

ما للنساء وللكتابة والعمالة والخطابة!
هذا لنا ولهن منَّا أن يبتن على جنابة[3]

ويتقاطع مع رؤيته ما قاله المنفلوطي:

يا قوم لم تخلق بنات الورى للدرس والطرس وقال وقيل

(1) سلسلة الأحاديث الضعيفة: 5/ 33.

(2) نظام الحكومة النبوية: 51.

(3) صبح الأعشى 64، وقد وهم الشيخ الألباني حين جعل الاستشهاد بهذين البيتين خاتمة لكلام الكتاني، والصواب أنَّ الكتاني ينقل . كما صرَّح . بذلك من صبح الأعشى للقلقشندي، والأبيات للبسامي لا السباعي، كما جاءت الإشارة عند الألباني.

لنا علوم ولها غيرها فعلّموها كيف نشر الغسيل
والثوب والإبرة في كفها طرس عليه كل خط جميل[1]

وهي رؤى تختصر المرأة في جانب المستقبِل، وتتعامل معها من خلال ثقب الشهوة والشبهة، ولذلك فالمرأة متهمة حتى تثبت الإدانة، ولا أقول البراءة، والمتحدث الرسمي باسمها هو الرجل، وهو القوام والقيّم على عقلها، بمعنى أنَّه هو المسؤول عن حياتها؛ مسؤولية تلغي كيانها، ولذلك وجدناه يستنكر التعليم والكتابة على المرأة، ويستنكر ما يجيء منها كالعمل والخطابة، ويرى أنَّ ذلك (لنا!!)، وهو أسلوب صارخ بمنطق الرجولة، وهو صوت الرجل القوي في مقابل صوت المرأة الضعيف أو لاصوتها.

ولذلك يمكننا القول إن هذه النصوص تُعبّر عن نشوة الرجل بنفسه، وعن عقلية الذكر والأنثى، ولذلك كان المقابل الذي يُتيحه الرجل للمرأة هو تحقيق لذته هو، وأن يظللن في سكونهن (البيات) فقط، ولذلك لم يجد الشاعر (=الرجل) تعبيراً لبيان فكرته إلا بالأسلوب الجنسي، حيث سخِر من النساء جميعاً، ورأى أنَّ الكتابة والعمالة والخطابة ليست من شؤونهن، وكانت رشوة المرأة لتقبل بهذه القسمة أن يمنحها الرجل الحق الجنسي، وهو الحق الذي يمنحه هو برضاه وشهوته واستمتاعه، وبمفهوم المقابلة نفهم أنَّ المرأة منحصرة ومحصورة في هذا النمط، ولاتتجاوزه إلى غيره، وكأنه إيماء بأنَّ المرأة إنْ خرجت إلى الكتابة والعمالة والخطابة، فقد خرجت عن طبيعتها، وتنازلت عن المرأة في داخلها، وخاصة الأنوثة منها، وهو ما لايريده الرجل، وما لايسمح به، وكأنه في الأخير رغبة من الرجل ومجاهدة في ألا يفقد ممتلكاته، أو ما يتصورها من ممتلكاته.

وكأنَّ رؤية المنفلوطي جاءت لتضيق مساحة الخطأ، أو لتحاصر المرأة داخل المرأة، وتتيح فضاء الإنسان للرجل وحده، فالمنطقة المشتركة بينهما معدومة، أو هي ممنوحة للرجل فقط، فهناك تخصصات للرجل تمنع المرأة من اقترافها، ولايُمنع الرجل من تخصصات المرأة، فالمنفلوطي هنا ـ مهما كانت أبياته ساخرة أو ضاحكة ـ يُجسد لاوعي الرجل بأنَّ لعلم المرأة حدوداً، وعليها أن تظلَّ في

---

(1) نظام الحكومة النبوية : 1/ 55 .

داخلها كالغسيل والخياطة، وأمّا تعلم هذه العلوم وغيرها فذلك ممنوع، وسيمنّ الرجل عليها بأن جعل كتابتها الحقيقية هي ما يُسمى الآن (الشك والتطريز!)، ولذلك أجد أن رؤية المنفلوطي وأمثاله لاتختلف إلا من حيث العبارة فقط عن الرؤية الممانعة، أو أنها درجة من درجاتها، وأما النوع فواحد، لأن الممانعة الكلية لاتنفي اشتغال المرأة في بيتها، بل إنها تؤكد ذلك، وهو ما اتجهت إليه مواقف المؤيدين لافتتاح مدارس البنات، حيث ألحّت النساء المطالبات. على سبيل الجدل والمناظرة.: «نحن وإنْ لم نُرد اليوم أن نكنَّ فارسات كضباط وجنود في الجيش، ولامهندسات ومخترعات، إلا أننا نريد فقط أن نتعلم لنعرف أمور ديننا ودنيانا. نريد أن نتعلم لنكن زوجات صالحات رشيدات، وأمهات حكيمات، لنخرج جيلاً قوياً في روحه بفضل تربيتنا المثلى له[1]»، وهي مطالبة وتسويغ للحق من خلال التعهد أمام الرجل على المحافظة على حقوقه، فالتعليم الذي يخشى منه الرجل هو التعليم الذي يُخرج المرأة من سلطته وسيطرته، ويحرمه من حقوقه، أو ما جعلها حقوقه، والنساء هنا يطالبن باسترداد أنفسهن من قبضة الرجل من خلال التأمين على حقوقه وتأكيدها، والاعتراف بأنَّ هدفهن بسيط، فالفروسية والجندية والهندسة والاختراع وأمثالها للرجل فقط، وإلى ذلك تومئ المرأة المطالِبة بافتتاح المدارس، بالإضافة إلى أنَّها ستردُّ على المخوفين من تعلمها، وستظل قائمة بالوظيفة التقليدية للمرأة فقط، وأنَّ الرجل لن يخسر شيئاً إن تعلمت المرأة، فالمرأة ستمارس الاستلاب للرجل والائتمار بأمره، ومع ذلك لم يقبل الرجل بهذا الوضع؛ وذلك لأن إشكاليته ليست في ذات الوظيفة أو المهمة التي تقوم بها المرأة، وإنما في المنهج والمبدأ.

وحيال هذه الوقائع لابد أن نتذكر كلمة الفرزدق، وهو يتحدث عن شِعْر المرأة، فيقول: إذا صاحت الدجاجة صياح الديك فلتذبح![2]، وهي كلمة تؤصل لتفرد الرجل واستقلاليته، وأنَّ مصير الخارجة من ذاتها إلى ذات الرجل هو الموت، أو الذبح بيد الرجل، والتعبير بالصياح تأكيد على أنَّ مشروعية الصوت والتعبير عن الذات هي للرجل، وقد احتكرها منذ زمن، ولامصير لمن يريد أن

---

(1) العدد 22، الموافق 7/ 11/ 1379هـ، (حديث المرأة)، حصة الدبيخي وأخريات، ص 5.

(2) انظر: مجمع الأمثال للميداني : 1/ 93، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية. بيروت، 2007م.

يلبس لبوس غيره إلا الذبح! وأجد شخصياً في هذا التركيب الشرطي لهذا المثل اعتقاداً بإمكانية الصياح، أوبحدوثه سابقاً، فجاء هذا المثل لرصد نموّه وتحولاته، وأنَّ تكراره يستدعي تكرار نتيجته، وهي الذبح.

ويورد الأستاذ أحمد محمد جمال أسئلة الجامعيين الذي ناقشوه وقالوا: «المرأة الجاهلة أكثر محافظة على زوجها وولدها وبيتها من المتعلمة، وإن المرأة المتعلمة أكثر تفسخاً وانحلالاً من الجاهلة[1]»، ولاشك أنَّ صدور هذا السؤال من هذا المستوى التعليمي العالي يزيد في عمق الإشكالية، وذلك لأنهم وقعوا في الخلط بين الجهل والعلم، فلم يعودوا قادرين على التفريق بينهما، بالإضافة إلى أنَّ هذه الرؤية تكشف عن استمرارية هذا السؤال الذي طرح إبَّان ضراوة الفتنة، وهو يُطرح الآن في هذه المحاضرة عام 1398هـ، فالمجتمع لم يزل يحمل إشكالية سوء الفهم لتعليم البنات، ومن هنا فطائفة منه ما زالت تعيش سؤال الخير والشر في تعليم البنات، وأخطر من ذلك ما يروى عن أحد العلماء، وذلك رأيه في أنَّ الله خلق للنساء عقولاً بقدر ما يحتجن إليه في تدبير أمر المنزل[2]، وهذه رؤية خطيرة؛ لأنها تستدرك أو تشرح المقاصد الكبرى للخلق من خلال آفاق رؤيتها الخاصة، وتمثل جذراً رؤيوياً للتعاملات الأخرى مع المرأة، فكل الفتاوى والآراء ستكون نابعة عند هذا العالم من خلال هذا الإطار، وبعيداً عن هذا الشيخ بوصفه أنموذجاً، وقريباً من هذه الرؤية الكلية نستشفُ أنَّ المرجعية الثقافية وطرائق الفهم والتفكير عند هذا العالم أو ذاك تُشكل البعد الرئيسي لفتاواه، ومن هنا، فرؤاه وفتاواه في معاملات النساء وعباداتهن لابد أن تكون رهينة لرؤيته الأساسية التي تؤكد على أن عقل المرأة له حدود تنحصر في إطار المنزل فقط، ومن كان عقلها محدوداً فكيف تتصدى للحياة، والحياة واسعة غير محدودة، ومن كان عقلها منزلياً فكيف تخرج إلى خارجه، ومن كان عقها بأمر خالقها تأطّر في إطار صغير، فكيف تقوم بمعاكسة ذلك بحجة توسيع الفكر والرؤية والعقل؟!

ولعل التطرق لبداية تعليم الذكور في السعودية هو مما يُكمل الحديث عن

---

(1) تعليم البنات: 42، أحمد محمد جمال، نادي الطائف الأدبي، ط1، 1409هـ.

(2) نقلاً عن كتاب مرآة النساء فيما حسن منهن وساء: 115، محمد كمال الدين الأدهمي، مكتبة التراث الإسلامي. القاهرة.

المهاد الثقافي، ويعيد السؤال جذعاً حول إشكالية المرأة خاصة، وأنَّ اتصال الموضوع بها في هذه الفتنة الجديدة هو الذي أحدث هذا الشغب والحدة، أو أنه هو الذي رفع سقفها إلى مستوياته العليا، فمستوى الممانعة تجاه افتتاح التعليم النظامي للأولاد في المملكة بشكل عام كان كبيرا، ولكنه بقي في حدود الخلاف الفكري، وقد صرَّح الشيخ صالح العمري بذلك في حدود منطقة القصيم، فقال: «لعل الذين أدركوا معارضة بعض أهالي نجد لفتح مدارس البنات يدركون أن معارضة بعض العلماء وكبار الأهالي بل والعامة لمدارس البنين كانت أعظم من معارضة المتأخرين لمدارس البنات عدا الشيخ عبدالله بن بليهد، فإنه يشجع على التعليم، فلقد كان بعض الأهالي يهجرون الذي يتولى التدريس بالمدارس، وربما رفض بعض الباعة البيع عليهم، وربما رفض تزويج المدرسين أو طعن في شهادتهم[1]»، ومع التأكيد بأنَّ معركة كبيرة قد حدثت للتعليم النظامي للبنين، وذلك بأثر صدمة الحضارة، إلا أنَّ الفتنة التي حدثت بسبب تعليم البنات، والممانعة التي ولدت منها، هي الفتنة الأكبر، أو الأخطر برأيي، ويبقى رأي الشيخ صالح العمري السابق بقوة الفتنة ضد تعليم البنين مقارنة بالبنات له حدوده الخاصة به، أو أنه يكشف قوة المعارضة لهما جميعاً، والسبب الذي أتخذه للقول بقوة المعارضة لتعليم البنات هو متصل بالمهاد الثقافي الذي يتساهل في شأن الولد ولكنه يقاتل بشأن المرأة، وتختلط المسائل حين يتم الحديث عن المرأة بين الخُلق والعرض والدين.

وقد استشعر الملك عبدالعزيز صعوبة افتتاح المدارس في نجد، وساءه حرمان مواطنيه من التعليم، كما يشير الأستاذ فهد المارك، فافتتح المدرسة في الطائف، وحصر طلابها في أهل نجد فقط، و«جيء بطلاب تلك المدارس من أهلهم بقوة الترهيب وحافز الترغيب، فمن حيث الأولى فقد بعث الملك لهؤلاء الطلاب مندوبين يأتون بهم إلى المعهد بدون موافقة أهلهم، بل بما يشبه القوة[2]»، وقد ردَّ جلالة الملك عبدالعزيز على برقية مَنْ طالبوه بإعفاء أبنائهم من

---

(1) التعليم في القصيم: 170. 171.

(2) من شيم الملك عبدالعزيز: 3/ 332، فهد المارك، ط1، 1398هـ، ويشير الأستاذ عبدالعزيز آل الشيخ إلى أن ضعف الحجة وفساد المنطق عند الممانعين يستلزم التعامل معهم بالترهيب والترغيب (لمحات عن التعليم وبداياته: 139).

دخول هذه الدار بما معناه . كما يورد ذلك الأستاذ حمد بن إبراهيم الحقيل، وهو أحد رجال القضاء . قال الملك لهم: «يا أشباه الرجال، ولارجال، أنتم تريدون أن يكونوا أولادكم من الثيران والبهائم، ونحن نريد أن يكونوا علماء أفاضل يُنيرون السبيل، ويفهمون أمر دينهم ودنياهم. لاسبيل إلى الإعفاء[1]»، وعندما يكتب الملك عبدالعزيز إلى الشيخ عبدالرحمن بن عودان يأمره بأن يختار بنفسه الطلاب النابهين فيقول: «لأجل أني أعرف الناس، يدور الرجل الولد الخبل من عياله الذي ما فيه نفع، وأما الذي فيه نفع يخليه لتجارته[2]»، وهو خطاب يكشف تصميم الملك عبدالعزيز على مشروعه الإصلاحي، وأنَّه عازم على فك الطوق المغلق والفكر المتحجر في نجد عامة، مع وجود استثناءات فردية وجماعية مهمة، وقد شعر بعض الآباء . بسبب جهلهم . أن أبناءهم سجنوا وعوقبوا، ووقعت الحادثة الطريفة حين قابل أحدُهم صاحبه، فقال له: (عسى ولدك ما يقرأ!!)[3]، وأصبح العامة «يتداولون المصطلح المحلي: شفْ أخذت الحكومة عيال الناس يتعلمون. صديق عينك ما يعرف ألف با تا؛ ليسلم من إجباره على السفر للتعلم، ويجلس عند أهله[4]»، وهي رؤى تكشف مستوى الوعي آنذاك، وتكشف حجم المهمة الإصلاحية التي خاضها الملك، فالأمان والطمأنينة والراحة عند هؤلاء النفر من أهالي نجد تكمن الآن في أن يكون الولد جاهلاً لايقرأ! فذلك ضمان له من السفر والغربة، وهذا يبسط فسحة من التأمل في المجال الاجتماعي الذي شاعت الدعوة إلى التعليم فيه.

وينقل حافظ وهبة قصة الممانعة الكبيرة أو الضجة . كما يسميها . التي قام بها علماء الدين، حين اجتمعوا في مكة للتشاور، ووضعوا قراراً يحتجون فيه على إدارة المعارف، حول تعليم الرسم واللغات الأجنبية والجغرافيا، وهو

---

(1) عبدالعزيز في التاريخ: 37، حمد الحقيل، مكتبة الرياض، ط4، 1410هـ، ويشير الأستاذان عبدالله أبو راس وبدر الدين الديب أن دار التوحيد تتميز عن بقية التجارب التي خاضها الملك عبدالعزيز، إذ فرضها فرضاً، واقتحم بها مقاومة لدى المواطنين، وخاصة أهل نجد(الملك عبدالعزيز والتعليم: 206).

(2) دار التوحيد: 20، عثمان الصيني وآخرون، إدارة التعليم بالطائف، 1415هـ، وذلك نقلاً عن الوثيقة الخاصة بذلك من دارة الملك عبدالعزيز.

(3) من شيم الملك عبدالعزيز: 3/ 335334.

(4) دار التوحيد نقوش في ذاكرة التعليم والمجتمع : 55.

اجتماع عالجه الملك عبدالعزيز بطريقته، إذ لم يقبل رأيهم إلا بدليل شرعي[1]، وهو ما لم يكن في مقدرتهم، لأن آراءهم تلك كانت تنبع من آفاق اللحظة الحاضرة لعقولهم وأبجدياتهم في التفكير، وليست آراؤهم ذات أبعاد استراتيجية منطقية ولاشرعية.

ويحكي الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ وزير المعارف سابقاً قصة الممانعة، فيقول: «لم يكن الطريق ـ طريق النهضة التعليمية ـ معبداً، ولم يكن مفروشاً بالورود والرياحين، وإنما كان طريقاً وعراً مليئاً بالمشكلات والصعوبات، لقد اجتازها الرواد الأوائل بتضحياتهم بأوقاتهم وأعصابهم وعرقهم ودموعهم وبسهرهم وجلدهم وصبرهم[2]»، وهو نص مثير لعدد من الدلالات، وذلك بالإيماءات التي يحملها، وخاصة أنه نص يجيء من رجل اتصل بسبب رسمي بالتعليم، وهو إلى ذلك من الأسرة الدينية الشهيرة، وهو يتحدث عن الطريق

---

(1) جزيرة العرب :128.126، ويشير الشيخ حمد الجاسر في حادثة مستقلة إلى أنَّ مجلس المعارف لم يستطع أن يفعل في ذلك العهد إلا أن يُقرر تأليف هيئة للإشراف على مدارس الرياض بنظر فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم، أي إنّ المعارف لم تجد وسيلة من وسائل إصلاح التعليم إلا في التخلي عن تبعته وإسناده ليكون تحت إشراف العلماء ليقرروا حياله ما يرون، ولو كان ذلك بإلغاء بعض مواده كما حدث بالنسبة لعلمي تقويم البلدان والهندسة (من سوانح الذكريات: 2/ 848 ـ 849، مركز حمد الجاسر الثقافي، ط1، 1427هـ)، وأن الرسم هو التصوير المحرم وأن تعلم اللغات ذريعة للوقوف على عقائد الكفار وفي الجغرافيا كروية الأرض وما أخذ به علماء اليونان (من سوانح الذكريات: 2/ 596) كما أن مادة الجغرافيا واللغة الإنجليزية قوبلتا بنفور ورفض واضح في دار التوحيد (دار التوحيد تطور تعليمي: 108 ـ 110)، أقول: وهذا يكشف صعوبة الوضع الثقافي والفكري إبان تلك الفترة، وما قد يؤول بأن للمشاريع الكبرى في حالة بداياتها أن تتنازل عن بعض أهدافها أو وسائلها رغبة في تمكّنها في نفوس الناس، ولو كان ذلك بالتغاضي عن الحقوق. وإن كان هذا لاينفصل عن خطورة اعتبار الواقع والبدايات دليلاً يوجب الممانعون استمرار كيفيته دائماً، أو يُقاضون المسؤولين باعتباره شرط اتفاق مبرم بين الطرفين. ويبقى هنا أن أشير إلى أن بعض الأفكار ترتبط بأصول الفكر والثقافة التقليدية بشكل عام، أي إنها تحاول إبقاء ما كان على وضعه، ولذلك فرفض القول بكروية الأرض أمر لم ينفرد به مجتمعنا، فمعلم الكنيسة لاكتانتيوس ينكر هذا، وتشير المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه إلى وجود آراء تكفّر من قال بذلك وتضلله (شمس العرب تسطع على الغرب: 370، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، المكتب التجاري ـ بيروت، ط2، 1969م).

(2) لمحات عن التعليم وبداياته: 136.

الوعر المليء بالمشكلات والصعوبات لاسيما وهم بذلوا الدموع والصبر والأعصاب.

وتشير الدكتورة فوزية البكر إلى أنّ الطبيعة الصحراوية المعزولة جعلت مناطق نجد معزولة، مما أبطأ قبول فكرة التعليم، «لذا قاوم أهل الرياض ـ على سبيل المثال ـ التعليم النظامي للبنين، وتأخر افتتاح أول مدرسة عشر سنين عن مثيلاتها في مدن أخرى[1]»، ويشير الدكتور محمد الشامخ إلى أنَّ نظرة المجتمع الحجازي إلى التعليم كانت قديماً لاتشجع على السعي في طلبه، حتى غدا المتعلمون عرضة للسخرية والاستهزاء[2]، وظلت مدرسة الأولاد في الأحساء ستة أشهر قبل إغلاقها دون أن يلتحق بها أي تلميذ[3]، وهذا يكشف عن اتجاه عام شمل البلاد تجاه التعليم النظامي للأولاد، وهو الذي جاء لينتشلهم من الجهل وفق أسلوب ومنهج علمي، ولكنهم شعروا بأنه جاء ليهدم تقاليدهم، وليأخذ الطلاب من المساجد إلى المدارس، فتحولت المعرفة إلى قيمة مرذولة مستهجنة.

وقد كاتب أهالي بريدة الكبار، ممن يسمّون الجماعة من الأعيان والمشائخ، كاتبوا الملك عبدالعزيز، و«بعد إلحاح العلماء والوجهاء بطلب قفل المدرس، وبعد أن تبين للملك أن هدف المعارضين الخوف على عقائد أبنائهم، أمر الملك عبدالعزيز الشيخ عمر بن محمد بن سليم أن يختار مديراً للمدرسة ومعلمين من تلامذته[4]»، فاختار الشيخُ عمر بن سليم الأستاذَ عبدالله السليم ليكون مديرها، ويقول الشيخ عبدالله: إنني استشرت عمي الشيخ عمر في ذلك، لخوفي من موقف أهالي بريدة، فقال: يا بني، إننا نحن من اختارك، وهو يعني نفسه وفهد العلي وإبراهيم العلي الرشودي وعبدالعزيز المشيقح، ومع ذلك فقد تغيرت مواقف أهل بريدة مني، لكوني في المدرسة، حتى إنني إذا جئت لأشتري من الباعة ما عرضوه للبيع، قالوا: ليس للبيع، ولم يبايعوني![5]، و«كنت أقول: أولاً

(1) مسيرة المرأة السعودية والتنمية: 14، جامعة الملك سعود بالرياض، 1422هـ.

(2) التعليم في مكة والمدينة: 125.124، د.محمد الشامخ، دار العلوم ـ الرياض، ط1، 1393هـ.

(3) الحياة العلمية والثقافية والفكرية: 51.

(4) التعليم في القصيم: 173.

(5) من حوار الدكتور صالح الوشمي مع الشيخ عبدالله السليم رحمهما الله (حوار مسجل بتاريخ 25/ 5/ 1405هـ).

إن مديرية المعارف أعلنت، وما تقدمت بطلب لها، ثم إني كلفت بأمر شيخكم ومشايخكم وذوي الشأن من بلادكم وولي الأمر، فأي شيء تريدون بعد هذا؟![1]»، وكأن هناك تراسلاً خفياً بين مضمرات الشيخ عمر وبين ما تتجه إليه العامة، أو بين حقيقة ما يتجه إليه الشيخ عمر وما يراد أن تتجه إليه العامة، لاسيما والشيخ عبدالله السليم يروي في موقع آخر أن الشيخ عمر قال له: «والله يا وليدي، نحن مالنا رغبة بالمدرسة، ولكن هذه المسألة. مثلما نقول. ابتلينا بها[2]»، وهذا الموقف يكشف حضوراً واضحاً للعامة في سياسة الأحداث والمواقف الاجتماعية، فرؤوس المجتمع سياسياً ودينياً واجتماعياً يرتضون حلاً توافقياً بشأن التعليم، ومع ذلك استمرت مواقف العامة حادة ورافضة، وهذا لايكشف قوتها فقط، وإنما يكشف عن أثرها في المواقف الرسمية والدينية والاجتماعية، كما أنه يشير إلى استئناس العامة بمواقف بعض العلماء، وأنهم لم يجدوا إنكاراً منهم، كما رأينا موقف الشيخ عمر السليم عندما صرح بأنهم ابتلوا دون رغبة منهم.

ويشير الشيخ محمد العبودي إلى جهد الشيخ صالح العمري، وأنه كان «متحمساً مندفعاً لنشر التعليم في وقت كان أنصاره قلة، فكانت الأكثرية من الناس ترى . جهلاً . أن افتتاح المدارس النظامية سيكون خطراً على الدين ومفسداً لعقول الأطفال الذين لايريدون لهم أن يكونوا على غير ما عليه الآباء، لاسيما إذا ما اقتضى الأمر الاستعانة بمدرسين أجانب[3](4)»، ويخاطب الشيخ محمد

---

(1) كنت مع عبدالعزيز: 284.

(2) المرجع السابق: 284، ويقطع الأمير مساعد بن عبدالرحمن بأن من أسباب ضعف الثمرة في المدارس النظامية " أن أكثريتنا العظمى . وتشمل طلبة العلم . لايقبلون المدارس، وينفرون منها، ولايقدرونها حق قدرها، زاعمين أن لافائدة من جميع العلوم التي تدرس فيها، باستثناء القرآن والخط والحساب، بل يزعمون أن بعض تلك العلوم مزعزع للعقيدة مفسد للدين" (نصيحتي إلى إخواني في الدين والنسب: 24).

(3) التعليم في القصيم: 11.

(4) انظر . للتاريخ . فتوى الشيخ محمد بن إبراهيم في الدرر السنية 16/ 213، وانظر: اليمامة العدد 236، الموافق 28/ 2/ 1380هـ، (حول مدارس البنات)، عبدالرحمن بن فيصل بن معمر، اليمامة العدد 238، الموافق 13/ 3/ 1380هـ، (حول تعليم البنت)، الرئيس العام لمدارس البنات عبدالعزيز الرشيد، مجلة اليمامة، العدد 2000، حوار مع الشيخ عبدالله الحسيني، الموافق =

العبودي صديقَه الشيخ صالح العمريَّ فيقول له: «بخاصة كون بعض الأهالي لايرغبون في افتتاح المدرسة، وأنكم كنتم تلاطفونهم؛ بل وتخادعونهم حتى يذوقوا ثمرة التعليم، ثم يقبلون عليه»[1]، وهذا دال على البيئة وأثرها، وأنه نوع من الرضوخ للواقع والخضوع لسلطة النمط، حتى تأبى فطرهم ورؤاهم أن يتخيلوا أبناءهم على غير ما هم عليه، وكأنه نوع من إنتاج الماضي، حين تتحكم عقيدة ارتباط الأبناء بالآباء، فهم وجدوا آباءهم على رؤية لايريدون الابتعاد عنها، ومهما اختلفت المواقع الثقافية، فتبقى الأسس الفكرية كما هي.

ولاشك أنَّ هذه الممانعة الكبيرة، في عدة مدن على مستوى تعليم الأولاد، تكشف أنَّ السبب حضاري بحت، وأنَّ النمط الثقافي آنذاك لم يكن بوسعه أن يتواءم مع هذا المنجز، ولا أن يتعاطى مع معطيات الحضارة كما يجب، وهو ما يستخدمه أهالي بريدة لشرح وجهة نظرهم، وقد استكتبت الأستاذ محمد البشر، وهو من مؤيدي تعليم البنات، فقال: «لا يستغرب وجود معارضة، فأهل الرياض العاصمة رفضوا افتتاح مدرسة عندهم عام 1356هـ مع عشر مدارس افتتحت في جميع مدن المملكة، ومنها بريدة، كذلك رفضوا افتتاحها عام 1359هـ، بعد أن شكلت وعيّن لها مديراً الأستاذ عبدالكريم الجهيمان. وفي عام 1364هـ، وهو العام الذي قرر فيه الملك عبدالعزيز رحمه الله تعليم أبناء نجد تعليماً أعلى من الابتدائي، فافتتح دار التوحيد بالطائف، وأخذ لها أعداداً من مدن نجد والأحساء أكثرهم دون رضا والديهم، لأنه رأى أن أهل نجد متخلفون في التعليم، وأهل الحجاز سبقوهم في المدارس الثانوية وفي الابتعاث إلى الخارج، لكن أهل الرياض والمشائخ بالذات امتنعوا عن إلحاق أحد من أبنائهم في دار التوحيد، فخلت منهم»[2]، ونحن نعرف أن التأخر في تعليم الأولاد إنما حدث في الرياض، وسبقت إلى ذلك كثير من المدن والقرى بسنوات طويلة، ويورد الشيخ

= 21/ 3/ 1429هـ، ص 49، محاضرة الدكتور محمد بن سعد الشويعر التي ألقيت في نادي مكة الثقافي بتاريخ الثلاثاء 15/ 08/ 1428هـ بعنوان (من الذاكرة: محطات في بدايات تعليم البنات في المملكة) والإشارة إلى أن من أهم الصعوبات التي واجهت تعليم البنات هو عدم توفر من يصلح للتعليم من السعوديات.

(1) انظر الخطاب الذي كتبه الشيخ محمد العبودي لصديقه الشيخ صالح العمري في سبيل الحث على تأليف الكتاب (التعليم في القصيم: 297)

(2) من رسالة كتبها حول هذا الموضوع، وقد أدرجتها في الوثائق.

عبدالله السليم قصة مدرسة الرياض التي تأخرت كثيراً، وأنها بعد أن بُنيت بقيت فترة سنتين تصفق أبوابها، فاصطحب الملك مجموعة من العلماء ومن أهالي الرياض في زيارته إلى القصيم، وبعد أن اطلعوا على تحقق التجربة التعليمية الحكومية في بريدة، انخفض مستوى الممانعة عندهم، وانتقلوا لاشتراط آخر، فقالوا: «هذه بريدة فيها السليم، وآل السليم نعرفهم في معتقدهم وفي إخلاصهم لهذه الدولة، فإذا جلب لنا ابن السليم من مدرسة القصيم ما عندنا مانع[1]»، وهذا سبب يكشف التأخر الكبير الذي حدث في مدينة الرياض في قبول تعليم الأولاد إلا بعد أن رصدوا التجربة وخبروها.

إذاً، فالممانعة منهج دفاعي، يستخدمه رافضو الجديد بوصفة وسيلة للحفاظ على المواقع المكتسبة أو الحاليَّة، وهي وسيلة تفتقر إلى مقومات التجديد أوالمغامرة، لأنها تلجأ إلى الأسهل والأبسط، ولم تتجاوز الرفض إلى تقديم البديل، أومحاولة البحث عن المناطق المشتركة والبناء التراكمي فوقها، لأنَّ هذا المنهج لايستصحب سيرورة التاريخ وتحولاته، ويشعر أنَّ بقاءه وبقاء ذوات أصحابه رهن بهذا الواقع، وأنهم غير قادرين على التواؤم مع غيره، ولذا يرفضون أي جديد، ويتعلقون بمكتسباتهم الخاصة، ومنافذ التأثير التي حققوها، وفي سبيل ذلك يجاهدون من أجلها، وهو ما تتكرر نماذجه باستمرار، ففي جميع النوازل الحضارية نجد العقل المؤدلج أوالعقل الساذج يبحث عما يرضي مسلّمات واقعه، لا ما يرضي العقل المنطقي، وتسميته هنا بالعقل افتراضية ومجازية، ولك أن تتدارس المواقف الشرعية والفكرية التي يقدمها بعض العلماء كفتاوى في مستجدات الحضارة، والحكم بأنها إما واجبة حتماً، أو أنها تتناقض مع حب الدين، أو اعتبارها من المصائب الكبرى، وهي آراء تستند إلى فهم خاص للنص الشرعي، وأبعاد ثقافية تكوّن منها وعليها ذهن المفتي، وكأنَّ المفتين حينها يريدون المحافظة على الواقع كما هو فقط، ولايقدمون للمتلقي والمستفتي بديلاً أومخرجاً من مأزق واقعه، فالاختلاف الشرعي المنصبُّ من السماء الفضائية من شتى الدول والمدارس الفقهية يتطلب وعياً من المفتي المقيم أوالمحلي.

وقريباً من هذا الفضاء ما صنعه الشيخ أبوالحسن الندوي في مسألة مسجد البابري، إذ يقع المسجد الإسلامي التاريخي في أرض هندوسية، وقد تداعى

---

(1) كنت مع عبدالعزيز: 289، 305.

الهندوس لهدمه، بحجه قيامه على أنقاض آلهتهم، ولديهم السند القوي، وهو وقوع المسجد في أرضهم، وعددهم الكبير، والدولة التي تمثلهم، والأقلية المسلمة الضعيفة، والمؤشرات تقطع بأنه سيهدم، ومن هنا أفتى الندوي وطالب بتحويل المسجد إلى رمز تراثي في الهند، لأنه بذلك. وفق القوانين والأنظمة الهندية. سيكفل له المحافظة الرسمية، وألا يتجرأ أحد على التأثير فيه بسوء، ويتاح المسجد للطائفة التي تنتمي إلى تاريخه. وهم المسلمون. للصلاة فيه في المواسم الكبرى كالأعياد، وكذلك استقبال الضيوف الكبار من المسلمين فيه، وكان المقصد الأكبر للندوي ألا يهدم المسجد، فقام ضد الندوي منْ رماه بالتخلي عن الدين، وأنه إنما طالب بتحويل المسجد إلى تراث سياحي، فتوقف الندوي عن وساطته، وهُدم المسجد.

ولعل من النماذج التي اجتهدت في مقاربة تعليم البنات من خلال واقعته الجديدة التي تمثلت في القرار الملكي بدمج الرئاسة العامة إلى وزارة التربية والتعليم، ما كتبه الشيخ سلمان العودة، في إحدى مقالاته، فقال بعد أن أكَّد أن نجاح تعليم المرأة بسبب أنّ الناس لم يكونوا ليسلموا فلذات أكبادهم وزهرات حياتهم إلا لمن وثقوا بعلمه ودينه وتقواه ثم طالب بتدارك القرار وتعديله:

«وليس هذا أول قرار يتدارك لتحقيق المصلحة الأهم والأعم، وسواء تم ذلك أم لم يتم فلابد من التأكيد على مايلي:

1- التأكيد الصارم على الاستمرارية والديمومة في المحافظة على النظام الأخلاقي في الرئاسة وتعليم المرأة، وتعزيز ذلك بالقرارات والتعميمات التي تمنع أن يفهم أحد من قرار الدمج رسالة خاطئة.

فالضبط الأخلاقي في التعليم، وتعليم البنات، بل والمجتمع هو جزء صلب من كيان هذا المجتمع ولحمته يجب ألا يسمح لأحد بالمساس به، وإلا كان كالذي يخرق السفينة ليغرق أهلها.

2- تعزيز الضمانات القائمة بعدم حصول التخوفات المتداولة في الأوساط، والمعبرة عن احتمالية تغيير نمط تعليم المرأة، أو دمج التعليم، أو التغيير في المناهج .

ومن حق الناس أن يطمئنوا على أولادهم، على مستقبلهم .

3- الالتزام بالتقليد التاريخي القائم على خصوصية تعليم المرأة وإسناده

للمشهود لهم بالدين والورع والتقوى والأمانة، مع الخبرة والضبط الإداري .

فإن هذا أحد الأسس التي قام عليها تعليم المرأة منذ قام، وقد كان أول المشرفين على هذا الجهاز هو سماحة المفتي العام الشيخ / محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله تعالى.

4- التفكير الجادّ في تنويع الوسائل الإعلامية التي تمكن الجميع من التعبير عن آمالهم وتطلعاتهم ومخاوفهم، فإن من أعظم ضمانات وحدة المجتمع واستقراره أن تملك شرائحه وفئاته حق التعبير الرشيد عن وجهة نظرها بعيداً عن المصادرة والإقصاء[1]».

وبعيداً عن تحليل الموقف الكامل تجاه هذه القضية، وما قاله الشيخ فيها، وقريباً من المنهج في هذا المقال، ألحظ ظهور فكرة أقرب إلى الاستثنائية في سياق الخطاب الذي ناهض فكرة الدمج، وهي فكرة المطالبة بالتمسك بالواقع السابق، وإنْ لم يتمّ ذلك؛ فالمطالبة بوسائل محددة لضبط المستقبل، وهو خطاب يفترض المصالحة مع الواقع، وينحاز للإرادة الرسمية، ويستطيع أن يتواءم مع المستجدات، ويملك أن يجد في مسلماته ما يكفل له التعايش مع مختلف الوقائع بمنهجية استشرافية، وأما ملامحه الأخرى فهي مماثلة لما سبق تحليله وتأويله.

لقد تأخر تعليم البنات عن البنين ربع قرن كي يستوعب المجتمع فكرة تعليم البنين، وقد أتاحت حركة الإعلام المطالبة بتعليم البنات تمهيداً للحكومة لإقراره، وحين تم إقرار تعليم البنات، حدثت الممانعة القوية، ولم تمض هذه الفتنة سريعة وعابرة لاذيول لها كما يُسطر ذلك بعض الراصدين، ولعل هدفهم تمرير الأمر دون إعادة القضية[2]، وإنما جاءت ردود عنيفة وقاسية، ولأنَّ هذه هي الحقيقة، فإن منْ يتجاهلها سيقع في التناقض، فنجد الرئاسة العامة لتعليم البنات تصف

---

(1) في موقع الإسلام اليوم

http://www.islamtoday.net/pen/show_articles_content.cfm?id=64&catid=38&artid=734

(2) انظر: تعليم البنات بالمملكة العربية السعودية: 87، عبدالملك بن دهيش، ط1، 1419هـ، القصيم والتطور الحضاري: 136.

هذا الحدث مرة بأنه سرعان ما اقتنع المعارضون[1]، ومرة تشير إلى الصعوبات والحوارات والمناقشات والردود[2]، وذلك هو مأزق الاجتهاد في مداراة الأخطاء، وأرى أنَّ في هذا عدم دقة، بل إنّ وصف المعارضة بالقوة والقسوة وربما العنف، هو قولٌ يصف حقيقتها، ويصف الجهد الكبير الذي قامت به الحكومة، والحرج الذي كانت تعانيه، فقد حدث في بعض المدن التي تقرر افتتاح مدرسة لتعليم البنات فيها أن شرع بعض الممانعين بالفوضى والشروع في التعدي ورمي سيارات الرئاسة بالحجارة[3]، ولذا فقد نجح بعض الدارسين في التقاط هذا المنحى، إذ «يكفي لندرك معنى الخطوة الجريئة في تعليم الفتاة أن نعرف أن بعض المدن في العربية السعودية قد عارض بشدة في هذا النوع من التعليم، وأن الدولة قد فرضته فرضاً من فوق، وفي بعض الحالات افتتحت المدارس بحماية القوة العسكرية[4]».

وقد أكّدت الرئاسة على أنَّ هناك من اعترض بقوة على مبدأ تعليم المرأة، بل «حاولت بعض المجتمعات الاعتراض بقوة على مبدأ فتح الدولة مدرسة للبنات في مناطقهم، وتشبّثت بقوة لدى الأمير فيصل. يوم كان ولياً للعهد ورئيساً للوزراء. ليأمر بإغلاق هذه المدرسة بحجة أنَّ أهل هذه البلدة جميعاً لا يريدون

---

(1) تعليم البنات في المملكة العربية السعودية: 21، الرئاسة العامة لتعليم البنات، 1412هـ.

(2) تعليم المرأة في المملكة العربية السعودية خلال مائة عام: 203، الرئاسة العامة لتعليم المرأة، إشراف الدكتور علي المرشد.

(3) انظر: محاضرة الدكتور محمد بن سعد الشويعر التي ألقيت في نادي مكة الثقافي بتاريخ الثلاثاء 15/ 08/ 1428هـ بعنوان (من الذاكرة: محطات في بدايات تعليم البنات في المملكة)، ويورد أحد الباحثين معاناة طالبات المجتمع العراقي وأسرهن إذ تعرضوا للعنات والشتائم والمضايقات وإلصاق التهم الشائنة واختلاق الأراجيف وإلقاء الحجارة على الطالبات (انظر: تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني: 177).

(4) التحدي الكبير: 199، نهاد الغادري، دن، 1966م، و" ماذكرته بعض الروايات الشفهية أو الكتابية من أن افتتاح بعض مدارس البنات في بعض المناطق كان بحراسة الشرطة أو تحت مظلتها، فهذه المظلة الأمنية إنما كانت تحرس فقط، ولاتقبض على من اعترض، ولم يتعدّ الأمر من الشرطة عن مجرد الحفاظ على الأمن وضمان عدم الاعتداء على العاملين لافتتاح تلك المدارس، ولم يتجاوز الأمر إلى اعتقالات أو خلافه" (الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود بحوث ودراسات: 491).

لبناتهم أن يتعلمن[1]»، وتنقل الرئاسة عن الأستاذ عبدالله العقل وجود منْ «قاوموا فكرة تعليم المرأة في بلدانهم مقاومة قوية وصلبة، وعارضوا فتح المدارس في بلدانهم معارضة وصلت إلى مستوى مقاومة فتحها، والتعريض بمن يسعى لذلك أو يعمل فيها[2]»، كما أشار الدكتور علي العمرو إلى «أنَّ هناك بعض المعارضين لتعليم البنات، وقد واجهت الرئاسة في الخطوات الأولى من بدايتها عقبات وصعاب حادة من معارضة المواطنين لتعليم البنات؛ بل ورفضه رفضاً باتاً تمثّل في بعض المناطق بالرد العنيف[3]».

وهي آراء تكشف عن الحدة في الممانعة، وأنها وصلت إلى الصلف أحياناً، وإلى الرفض للرفض أحياناً أخرى دون أن تصل إلى العنف العسكري أو العنف المنظم المنهجي، وهي بكل حال ممانعة تتكئ على بعد فكري، ولاتنبع من العناد فقط، وهذا ما يزيدها صلفاً، ولذا فالواقفون «على تكوين المجتمع السعودي وما يتجاذبه من تقاليد وآراء وتيارات قد دهشوا حقاً عندما رأوا أن المجتمع السعودي استطاع أن يخطو هذه الخطوة البعيدة الأثر والمعنى في هذا التاريخ المتقدم من تطور المملكة[4]».

---

(1) معجزة فوق الرمال: 824، تعليم البنات في المملكة خلال مائة عام: 217.

(2) تعليم المرأة خلال مائة عام: 214.

(3) المختار من محاضرات نادي القصيم الأدبي، (لمحات عن تعليم البنات بالمملكة العربية السعودية)، ط1، 1408هـ.

(4) معجزة فوق الرمال: 823.

الأكذوبة الكبيرة أو الغلبة للسائد..

إن تأمل الحالة الثقافية للمجتمع خلال تلك الفترة تؤكد للدارس صعوبة أن يصادف نبأ الإذن بتعليم البنات قبولاً مباشراً، وذلك أن مثل هذا النبأ سيوقظ في ذاكرة الكثيرين جذوراً من اللاوعي المنظم، وستستدعي الدعوة إلى تعليمها الدعوة إلى خروجها من البيت وبالتالي الخروج على الزوج، والزوج هو الدين، وبالتالي خروجاً على الدين نفسه، وما دام أنّ الدين قد أعطى الرجل حق القوامة على المرأة، وهي الآن ستخرج عليه وعلى الدين، فعليه أن يمنعها، وسيكون بذلك محققاً لتدينه الصحيح، وقادراً على التواؤم مع معتقداته، أو هكذا يتصور بعض الرافضين لتعليمها.

ويوقن الدارس بأن ما حدث من ممانعة إنما هو نتيجة طبيعية ومتوقعة، وقد استوعبها الجميع بمن فيهم مقاومو رفض التعليم، ووعوا الشروط التي يُراهن عليها الممانعون، ولذا نجد تصريح بعضهم بأنَّ مناقشة مثل هذا الموضوع جرأة وشجاعة[1].

والدين هو الأمر العميق والمسيطر على النفوس، ومن هنا، فقد قام الجميع بتوظيفه، واتكأ الرافضون على الصمت الذي تمارسه الأكثرية، أو تخضع له، وربما اعتمدوا بدرجة أكبر على قلق الجميع من الجديد، وحياة اللايقين التي تعصف بهم تجاه هذا الوافد، وهم بذلك سيكونون مستلبين تجاه من سيستخدم الوسيلة الأنجع.

واللافت أنَّ رفض تعليم المرأة واشتهار مدينة بريدة به، قد تُرك للحبكة الإعلامية التي لاتُعنى كثيراً بالتفاصيل، وإنما يهمها اللقطة أو(الخبطة) الإعلامية التي تكفل بترويج الموضوع وقراءته، أمَّا التناول الموضوعي فقد يَسلب . وفق

---

(1) العدد 6، الموافق 6/ 7/ 1379هـ، (حديث القصيم)، عبدالعزيز التويجري، ص 1.

الرؤية الإعلامية ـ شيئاً من البريق والصدى الإعلامي، وبذا يتحول الموضوع إلى النطاق العلمي، وتخفت فيه جوانب الإثارة والإدهاش، وهو ما كان بالفعل، إذ طُرق موضوع تعليم البنات في بريدة إعلامياً، فتم سكُّ الموضوع بشكل كبير، وأصبحت ممانعة أهل بريدة لازمة واحدة فقط.

والتحليل العلمي لمضامين المقالات التي واكبت هذه الفتنة يوفض بنا إلى حقيقة مهمة، وهي أنَّ الرافضين والممانعين كانوا يُشكِّلون الفئة الأقل، وأنَّ المطالبين هم الأكثر، وهم الغالبية العظمى[1]، وكافة المواطنين[2]، والسرور بتعليم البنات عمَّ كل مواطن[3]، والتفاؤل والأمل بتنفيذ هذه الخطوة الجبارة[4]، و«إن هناك مواطنين من نفس البلدة هم أضعاف الذين لم يعجبهم فتح المدارس، وهم بفارغ الصبر ينتظرون فتح هذه المدرسة للفتيات[5]»، ويرونها ضرورة وينادون بحقوق البنت ويقولون: «لِمَ نئدها حية في مقبرة الجهل؟![6]»؛ بل إنَّ الوجهاء من آل الراشد قاموا بتقديم «أحد بيوتهم في بريدة، وتأثيثه؛ ليكون مقراً لمدرسة البنات المزمع افتتاحها[7]»، ويطالب المؤيدون الممانعين ـ البعض وفق تسميتهم ـ بأن يرضخوا «تجاوباً مع رغبة الكثيرين وأمانيهم من جهة، وإدراكاً منهم للفائدة[8]»، لأن الخبر قد «أثلج صدورنا جميعاً[9]»، ويُخاطب عبدالعزيز التويجري أهالي مدينته بريدة بأنه قد فتحت مدارس البنات سوى «مدرسة بناتكم المسكينات، فقد جمدت بسبب رغبة بعض المعارضين كما تعلمون [10]»، وأوقفت فقُضي على الآمال العظام[11]، وأصابنا «الأسف الشديد لتجميد مدرسة

---

(1) العدد 36، الموافق 23/ 2/ 1380هـ، (حديث القصيم)، عبدالعزيز التويجري، ص 1.

(2) العدد 36، الموافق 23/ 2/ 1380هـ، (كلمة وكليمة)، ضحيان العبدالعزيز، ص 1.

(3) العدد 37، الموافق 1/ 3/ 1380، (كلمة وكليمة)، ضحيان آل عبدالعزيز، ص 1.

(4) العدد 45، الموافق 27/ 4/ 1380هـ، (مدرسة البنات في بريدة متى تفتح؟)، ب غ، ص 5.

(5) العدد 47، الموافق 12/ 5/ 1380هـ، (كلمة وكليمة ـ مدارس البنات)، ضحيان العبدالعزيز، ص9.

(6) العدد 49، الموافق 26/ 5/ 1380هـ، (تعليم البنت ضرورة اجتماعية)، أبوخالد، ص 3.

(7) العدد 50، الموافق 3/ 6/ 1380هـ، (آل الراشد)، ص 2.

(8) العدد 50، الموافق 3/ 6/ 1380هـ، (حول مدارس البنات)، سليمان الماضي، ص 11.

(9) العدد 33، الموافق 2/ 2/ 1380هـ، (منبر القصيم)، ص 6.

(10) العدد 57، الموافق 23/ 7/ 1380هـ، (أنقذوهن من وهدة الجهل)، عبدالعزيز التويجري، ص 1.

(11) العدد 51، الموافق 10/ 6/ 1380هـ، (كلمة وكليمة)، ضحيان العبدالعزيز، ص 1.

البنات ببريدة[1]»، والممانعون طائفة وفئة لاتُمثّل إلا نفسها[2]، وآلاف آلاف المواطنين ينتظرون الأمر بافتتاح مدرسة البنات[3]، ويُشير غانم الغانم إلى أن فكرة الرفض لمدارس البنات جاءت من شخص أوشخصين أوثلاثة، وعليهم أن يعقلوا ويُفكروا في الأمر، وأما مواطنو القصيم من الشرائح كافة فقد استبشروا جميعاً، وهم يُطالبون بافتتاحها باسم المجموعة الكبرى[4]. وقد شاركت في هذه الحملة النساء أيضاً[5]»، وقالت سارة بوحيمد: إن بعض الآباء في بريدة يعارضون الغالبية العظمى التي تريد افتتاح المدارس[6]، ولم تخل مطالبات الأكثرية من الاستعداء على القلة التي ترفض التعليم، فكتب عبدالرحمن الكريدا مقالاً عنونه بـ: هذه الأقلية لماذا نذعن لها؟، وهو يقول مخاطباً الملك فيصل ـ الأمير آنذاك ـ: «إنكم لو قارنتم الرسائل التي ترد بين مؤيدة ومعارضة لوجدتم أن المؤيدين أكثر بكثير من المعارضين[7]»، وقد وصلت مطالبتهم إلى مناقشة العدد، فوجدنا التلميح إلى عدم مناسبة المدرسة الواحدة لمدينة بريدة التي يبلغ سكانها حوالي مائة ألف نسمة، ومع ذلك يأملون بسرعة الافتتاح[8]، و«كم كان بودي أن يهلل الكبار والصغار لهذه الخطوة الجريئة التي أقدمت عليها حكومة صاحب الجلالة، لا أن يعرقلوا هذه الخطوة الجبارة ويصفوها بصفات لاتليق بذلك[9]»، وكانت كلمة الملك فيصل دالة بما فيه الكفاية إذ يورد الدكتور محمد الشويعر أن الملك فيصل قال للممانعين: «لدينا برقيات ومكاتبات أكثر منكم يرغبون في هذه المدارس[10]»، وهي إشارات قصدت حشدها لتكون دليلي لكسر هذا النمط

---

(1) العدد 56، الموافق 16/7/1380هـ، (منبر القصيم)، أبوعفان، ص 10.

(2) العدد 90، الموافق 2/4/1381هـ، (فتاة بريدة ألا يؤذن لها بعد أن تتعلم؟)، صالح العبدالعزيز، ص 3.

(3) العدد 112، الموافق 9/9/1381هـ، (هذه الأقلية لماذا نذعن لها)، عبدالرحمن الكريدا، ص 7.

(4) العدد 93، الموافق 23/4/1381هـ، (فتاة بريدة تناشد المسؤولين)، غانم الغانم، ص 3.

(5) العدد 22 ص 5، ع 33 ص6، (حديث المرأة)، 7/11/1379هـ.

(6) العدد 107، الموافق 3/8/1381هـ، (لاتمنعوا العلم عن فتياتكم)، ص 7.

(7) العدد 112، الموافق 9/9/1381هـ، (هذه الأقلية لماذا نذعن لها؟)، ص 7.

(8) العدد 45، الموافق 27/4/1380هـ، (مدرسة البنات في بريدة متى تفتح؟)، ب غ، ص 5.

(9) اليمامة العدد 236، الموافق 28/2/1380هـ، (لاتئدوا بناتنا في المهد)، محمد الفاتح.

(10) انظر: محاضرة الدكتور محمد بن سعد الشويعر التي ألقيت في نادي مكة الثقافي بتاريخ الثلاثاء 15/08/1428هـ بعنوان (من الذاكرة: محطات في بدايات تعليم البنات في المملكة).

الإعلامي الذي غيَّب الحقيقة، وملأ بالونة الظل ليتجاوز الأصل، وقد ظهر التأكيد على جماهيرية الرغبة في افتتاح المدارس في مقابل محدودية الرفض والممانعة، بل إنَّ الرغبة جاءت مصحوبة بالآمال والابتهاج والفرحة والاستبشار، ومع ذلك فإنَّ هذا لايمنع أن نكمل هذه الحقيقة بطرفها الآخر، وهو أنَّ الممانعين هم الأعلى صوتاً اجتماعياً، وهم الأكثر نفوذاً، ولذا فقد نجحوا في هدفهم، وبالفعل مُنع افتتاح المدرسة أوجُمِّد، وقد استخدمت في سبيل ذلك الوسائل المتعددة كالمنابر والرسائل والمقالات وغيرها كما سيأتي.

الإعلام والمنبر..

لابد أن أشير بداية إلى أنَّ المعالجة الإعلامية الصحفية لفتنة القول بتعليم المرأة تعد أنموذجاً راقياً من المعالجة الصريحة لفتنة تعليم البنات، ومناقشة عدد من الآراء المؤيدة والممانعة، والحرية في معالجتها، وظهرت في بعض نماذجها القسوة والحدَّة من الآخر، وهذه الحدة والقسوة إنْ كانتا مرفوضتين إلا أنهما دليل على نشاط الوسط الإعلامي.

وأول ما نلحظه في هذا السياق، أنَّ سياسة صحيفة القصيم وهيئتها التحريرية قد دخلت بصفتها طرفاً من أطراف القضية، ولم تتخذ صفة الحياد، ولذلك غابت رؤى المخالفين، وإنما كان أقصى ما نجده فيها هو ما يستعرضه الكتَّاب. ومن هنا نقول: إن مقالات صحيفة القصيم مع كل ما نُثني ونُسجّله لها، قد غاب فيها الرأي الآخر، ولا أظنَّ الغياب بمعنى أنها رفضت نشر مقالاتهم، لأنني أحسب أن رافضي تعليم المرأة يجدون في الصحيفة نمطاً ثقافياً ربما لايتفاعلون معه، وربما ظنُّوا فيه ظن السوء، وذلك تبعاً للموقف من الإعلام.

ولعل هذا الموقف لم يمنع أن تكون للممانعين رؤاهم ومقالاتهم في الصحف الأخرى، إذ نجد الإشارة إلى ذلك متناثراً في المقالات[1] والكتب[2]؛ بل إنَّ هناك من الحدة والقسوة ما ظهر في الردود بين الأستاذ رشيد الخالدي والشيخ محمد الحمدان[3]، وكانت قمة ذلك في رأي الشيخ عبدالله بن حميد معلقاً على إحدى المقالات في صحيفة القصيم[4]، وهي ردود اتخذت من

---

(1) اليمامة العدد 236، الموافق 28/2/1380هـ، (لاتئدوا بناتنا في المهد)، محمد الفاتح.

(2) الدرر السنية، 16/ 71، 92، وقد صرَّح الشيخ محمد الحمدان أنه يرد على مقال في اليمامة نُشر ردّاً على مقاله في الإسلام الغراء.

(3) اليمامة العدد 249، الموافق 1/6/1380هـ،(نقد وتوجيه)، الدرر السنية: 16/92.

(4) الدرر السنية: 16/72 .

المواقع الفكرية (الإعلام والمنبر) سبيلاً يكشف الصراع الثقافي بينهما.

ومن نماذج تفاعل الصحيفة ومتابعتها للحدث، ما قامت به من احتفاء بخبر تبرع آل الراشد بأحد بيوتهم، وتأثيثه ليكون مقراً لمدرسة بريدة للبنات[1]، وهذا الاحتفاء تمثّل بالشكر الذي قدموه، ومكان الخبر الذي وضعوه فيه، والمتابعة لهذا الحدث من الكتاب إلى أن تساءل ضحيان العبدالعزيز عن هذا البيت أين سيؤول؟ ومن سيستخدمه؟[2]، وذلك بعد تجميد افتتاح مدرسة البنات.

وأعتقد أن السقف العددي الكبير الذي امتلأت به الصحيفة من المقالات والأخبار والتعقيبات والردود هو شاهد على هذه العناية، فبلغ مجموعها قرابة الأربعين نصاً من أهالي بريدة وغيرهم، وهي كثرة لاتلفت المتصفِّح لأعداد الصحيفة بعد أن تكاملت فقط، ولكنها ملموسة في ذلك الوقت، فقد أشار بعض المتداخلين في هذه القضية إلى كثرة المقالات التي كتبت عن تعليم البنات[3]، والحق يوجب أن تتم الإشارة إلى أنَّها كثرة تجاوزت صحيفة القصيم، لتكون مسيطرة على الصحف جميعاً، وعلى رأسها: اليمامة. وقد تكاثرت الكتابات حتى أصبحت مما يؤرّخ به كما نجد ذلك في تاريخ الشيخ إبراهيم بن عبيد، إذ أشار في رصْده لأحداث ذلك العام إلى أنّ من المثقفين من طالب بإيجاد مدارس للبنات في صحيفة القصيم[4]، وهو ما دفعني في بحثي هذا لضم أبرز المقالات المنشورة في اليمامة والقصيم لكثرتها وملامستها للجُرح بشكل مباشر، ولتكون شاهداً على غيرها من الصحف، ولكونها غائبة ـ إلى حد كبير ـ عن المهتمين والمتابعين.

ومع أنَّ شهوداً كباراً لتداعيات فتنة القول بتعليم البنات ما زالوا يعيشون بيننا، وينعمون برؤية المرأة العالمة، إلا أنَّ القضية مازالت محفوفة بالخطر، والدخول فيها دخول في جحر الأفعى، فجزءٌ من القوى التي تدفع هؤلاء وأولئك أحسبها ما زالت تتربى على إرثهم، ولذا يتفادى بعض الشهود وصف الواقع إلا قليلاً، وقد حاورت كثيرين كلهم يُصرحون بوفرة المعلومات وصعوبة القول

---

(1) العدد 50، الموافق 3/6/1380هـ، (أخبار الأسبوع)، ص 2.

(2) العدد 51، الموافق 10/6/1380هـ، (كلمة وكليمة) .

(3) العدد 35، الموافق 16/2/1380هـ، (فلنحيي ميلاد مدارس البنات)، عثمان شوقي، ص 13.

(4) تذكرة أولي النهى والعرفان : 5/ 240، 5/ 251، إبراهيم بن عبيد، مكتبة النور.

والشهادة، ونموذجهم اثنان؛ أحدهما، مسؤول كبير في تعليم البنات سابقاً، سألته فأجاب عن بعض الأسئلة، ورأى أنَّ منها ما لايقال على مستوى الصعوبة أو الاستحالة أيضاً، ورفض أن يتم نسبة ما قال إليه، والثاني، وهو عالم ينتمي بسبب وثيق إلى كبير العلماء في بريدة في ذلك الوقت، وهو ممن لهم يد ورأي في الممانعة، وكان أثناء الحوار يتلفت يميناً ويساراً ويهمس، وهذا وصف حقيقي لا مجازي، ثم طالبني ألا أورد اسمه ولا رسمه، ومن هنا فلم يكن التوتر والجو المشحون الذي سيطر على هذه القضية ليُحفظ ويقاربه الدارسون لولا العبارات التي سجَّلها هؤلاء الكتاب، والصيغة الإعلامية التي عالجوا من خلالها هذه المسألة.

يقول عثمان شوقي ـ وهو أحد كتاب صحيفة القصيم ومحرريها ـ: «رويداً رويداً احتدم الجدال في الصحف ما بين مؤيد ومعارض لهذه الأفكار، حتى امتشقت القلم بعض فتياتنا، وحصل [هكذا] المعركة الأدبية في الصحف، وخاصة في القصيم واليمامة[1]»، وأشار الكتاب إلى كثرة ما قيل في هذا الموضوع، وأنَّ الحاجة ما زالت تملي زيادة القول فيه[2]، وتتحدث الصحافة بعد افتتاح المدارس في البلاد بشكل عام عن تحطم الأوهام[3]، ورأينا الردود والتعقيبات على هذا الموضوع في تزايد، ومنها تعقيب سليمان الماضي على مقال ضحيان العبدالعزيز، ووصفه بالجرأة[4].

وقد واكبت صحيفة القصيم هذا الحدث، وقدَّمت رصداً شبه وثائقي عن أحداث قضية تعليم المرأة، فنحن نجد ـ على سبيل التمثيل ـ التساؤل العام: لم لا نقنع أنفسنا بمبدأ تعليم البنت؟[5]، ثم الإشارة إلى الاعتراف الحكومي بمبدأ تعليم البنت ورصد الميزانية له[6]، وصدور الإرادة الملكية لتعليم

---

(1) العدد 35، الموافق 16/2/1380هـ، (فلنحيي ميلاد مدارس البنات)، ص 13.

(2) اليمامة العدد 233، الموافق 7/2/1380هـ، (تعليم البنت ضرورة ولكن)، عبدالرحمن السدحان.

(3) العدد 26، الموافق 6/12/1379هـ، (تعليم البنت)، ص 1، وانظر الرد العنيف على هذا المقال من قبل فضيلة الشيخ عبدالله بن حميد في الدرر السنية: 16/72، ووصفه لهذا المقال بأنه يظهر تحسين ما قبَّح الله، ومخالفة ما شرعه.

(4) العدد 50، الموافق 3/6/1380هـ، (حول مدارس البنات)، سليمان الماضي، ص 11.

(5) العدد 5، الموافق 29/5/1379هـ، (حديث الثلاثاء)، علي المسلم، ص 1.

(6) العدد 26، الموافق 6/12/1379هـ، (تعليم البنت)، ص 1 .

المرأة[1]، وشكر الملك على مرسومه الملكي الكريم، والتطلع إلى سرعة الافتتاح[2]، والأمر بافتتاح مدارس لتعليم البنات وإعداد المعلمات[3]، والإعلان عنه في صحف الأسبوع وتصوير ابتهاج الناس[4]، والأسف على إسدال الستار على افتتاح المدرسة وتجميدها [5]، والندم على تجميد المدرسة[6]، ومشاركة الصحيفة لأسى كاتبة على منع مدرسة بريدة[7]، ونشر قصة إبداعية عن تعليم الفتاة[8]، والتغطية الواسعة الموجَّهة لحفل تشريف الملك لنتاج طالبات مدارس الرياض، وتصوير وقائع الحفل، والكلمات التي ألقيت فيه[9]، وتبرئة مسؤولي الرئاسة العامة لمدارس البنات من ذنب تجميد المدرسة، وأنهم بذلوا وسعهم لافتتح مدرسة بنات بريدة[10]، والاعتراف بنشاطهم مع أنهم لاقوا «بعض المتاعب والمشاكل، وتلقوا الكثير من العتب من بعض أصدقائهم وزملائهم في بريدة[11]»، والطمع «في استعادة نشاطهم من جديد لإقناع الجهات المختصة بضرورة فتح مدرسة تعليم البنات في مدينة بريدة[12]»، والمقال التذكاري بعد عام من افتتاح مدارس المناطق ومنع مدرسة بريدة[13]، ومناداة الفيصل أن يحل الوضع التعليمي للفتاة[14].

---

(1) العدد 57، الموافق 23/7/1380هـ، (أنقذوهن من وهدة الجهل)، عبدالعزيز التويجري، ص 1.

(2) العدد 33، الموافق 2/2/1380هـ، (منبر القصيم)، ص 6.

(3) العدد 35، الموافق 16/2/1380هـ، (فلنحيي ميلاد مدارس البنات)، عثمان شوقي، ص 13.

(4) العدد 36، الموافق 23/2/1380هـ، (كلمة وكليمة)، ضحيان العبدالعزيز، ص 1.

(5) العدد 51، الموافق 10/6/1380هـ، (كلمة وكليمة)، ضحيان العبدالعزيز، ص 1.

(6) العدد 47، الموافق 12/5/1380هـ، (مدارس البنات)، ضحيان العبدالعزيز، ص 9.

(7) العدد 56، الموافق 16/7/1380هـ، (منبر القصيم)، ص 10.

(8) العدد 60، الموافق 14/8/1380هـ، (البقاء للأصلح)، رشيد محمد، ص 5.

(9) العدد 73، الموافق 24/11/1380هـ، ص 2.

(10) العدد 47، الموافق 12/5/1380هـ، (مدارس البنات)، ضحيان العبدالعزيز، ص 1، العدد 90، الموافق 2/4/1381هـ، (فتاة بريدة ألايؤذن لها بعد أن تتعلم؟!)، غانم الغانم، ص 3.

(11) العدد 47، الموافق 12/5/1380هـ، (كلمة وكليمة)، ضحيان العبدالعزيز، ص 9.

(12) العدد 51، الموافق 10/6/1380هـ، (كلمة وكليمة)، ضحيان العبدالعزيز، ص 1.

(13) العدد 93، الموافق 23/4/1381هـ، (فتاة بريدة تناشد المسؤولين)، غانم الغانم، ص 3.

(14) العدد 112، الموافق 9/9/1381هـ، (هذه الأقلية لماذا نذعن لها)، عبدالرحمن الكريدا، ص 7.

ونفهم مما مضى أنَّ هذا الرصد جاء توثيقاً لمتغيرات تعليم المرأة والفتنة التي نشأت حوله، ويبدو لي أنَّ تعليم البنات ومدارسهن المختلفة هو قرار جاء استجابة لمتغيرات الحياة الرسمية والاجتماعية، ولم ينفصل عن الصحافة، وما مارسه الكتاب تجاه ذلك، أو أنَّ الصحافة كانت إيذان البدء به، ونحن نجد شيئاً من الإشارات إلى ذلك، فعثمان شوقي يقول: «منذ حين من الدهر، والصحف لم تنفك تنشر المقالات العديدة الصافية عن تعليم المرأة السعودية ... حتى امتشقت القلم بعض فتياتنا... وأخيراً، ولما أحس صاحب الجلالة الملك المعظم برغبة الكثير من أبناء شعبه الأمين في تعليم المرأه أصدر أمره الملكي الكريم بفتح مدارس عديدة[1]»، وهو ربط وثيق بين الحملة الصحفية للمطالبة بتعليم المرأة، والاستجابة الملكية لذلك، أو كأنَّ النشاط الصحفي تمهيد لهذا الاتجاه الحكومي، ولم تكن تلك الفترة مقتصرة على المطالبة، وإنما هي مناقشة وحوار بين أطراف واتجاهات واضحة في أغلب الصحف، وهو ما يدعو إلى ضرورة دراستها وتأملها.

وفي حيز صحيفة القصيم نجد ضحيان العبدالعزيز يكاد يكون بطل هذه القصة، فكتابته بلغت ست مرات، وكتابته هنا غالباً تميل إلى المنهجية في مناقشة هذا الموضوع، وإنْ لم تخل من ذاتية تبلغ به . أحياناً . إلى القسوة والحدة، وقد تمنَّى في خاتمة إحدى مقالاته أن تكون كلمته هذه هي الكلمة الأخيرة عن مدرسة البنات في بريدة[2]، ولكنَّه عاد من خلال موضوع يتصل بذلك ليعلن أسفه على تجميد الافتتاح[3]، ثم بدأ يكتب عن التعليم الأهلي[4]، وضرورة الإشراف عليه، وتطويره، ومتابعته، ولهذا تفسير ثقافي، وكأنه لجوء منه إلى فن المتاح والممكن، فحين لم تُفلح الدعوات إلى افتتاح المدرسة اجتهد في تأهيل المدارس الأهلية؛ لتكون منفذاً للراغبين، خاصة وهو «أب لأربعة أطفال؛ طفلين منهما في المدارس الأهلية، والآخرين منهما في المدارس الحكومية[5]»، ولئن كان هذا

---

(1) العدد 35، الموافق 16/2/1380هـ، (فلنحيي ميلاد مدارس البنات)، عثمان شوقي، ص 13.

(2) العدد 47، الموافق 12/5/1380هـ، (مدارس البنات)، ضحيان العبدالعزيز، ص 9.

(3) العدد 51، الموافق 10/6/1380هـ، (كلمة وكليمة)، ضحيان العبدالعزيز، ص 1.

(4) العدد 78، الموافق 7/1/1381هـ، (التعليم الأهلي)، ضحيان العبدالعزيز، ص 1، العدد 88، الموافق 18/3/1381هـ، (التعليم الأهلي مرة أخرى)، ضحيان العبدالعزيز، ص 1.

(5) العدد 78، الموافق 7/1/1381هـ، (التعليم الأهلي)، ضحيان العبدالعزيز، ص 1.

حدساً وتأويلاً لموقف هذا الكاتب، فإنَّ زميله عبدالعزيز التويجري كان أصرح بياناً في هذا الشأن، فقال: بعد تجميد المدرسة «يجب أن نجعل نفوسنا رادعاً، ومن ضمائرنا دافعاً وحافزاً، على تأسيس مدرسة أو مدارس أهلية؛ بدلاً من مدرسة واحدة، لتنهل بناتنا من رحيق العلم[1]».

ومما يلفت في الاتجاه الفكري للمقالات التي صاحبت قضية تعليم المرأة، أنَّها راوحت بين الكتابة بالاسم الصريح والمستعار، ولاشك أن اللجوء للاسم المستعار يحمل في رحمه مسوغات عدة، ومنها الحذر الذي يستبطنه الكاتب جرَّاء كتابته هذه، وموضوع كهذا يناقش مسائل خطيرة أومُلبسة، جدير بهذا الأمر. ومع أنَّ منهج الصحيفة أنها لاتنشر لاسم مستعار إلا لمنْ تعرَّفت عليه هيئة التحرير، وارتضت كتابته[2]، فإننا نجد منْ يصرِّح باسمه في الكتابة عن تعليم البنات يلاقي الثناء على شجاعته وجرأته الأدبية[3]، والسؤال هنا يتجه إلى التعرف على مستوى الطرح وصراحته وعمقه في المقالات المذيلة بالأسماء المستعارة، وهل نجح أصحابها بالدخول إلى معالجة التفاصيل التي يتهيبها غيرهم.

اللافت أنَّ هذه المقالات بقدر ما نجحت في الحديث عن هذه المواضيع الحساسة إلا أنها لم تصل إلى مرحلة فتح القضايا الأخطر، كسرد أسماء المعارضين، أو الوقوف على مسوغات رأيهم التفصيلية، أومتابعة مواقفهم الأخرى، أو محاورتهم شخصياً، وأصرح ما طُرح في هذه القضية هي المسائل التي طُرحت من قبل الأسماء الصريحة، كضحيان العبدالعزيز وعبدالعزيز التويجري.

وإذا كان طالبو افتتاح المدارس قد وظفوا الإعلام لخدمة هدفهم، فقد ركب الممانعون مركباً آخر، وهو ـ من خلال إشارات الكتَّاب ـ المنبر، فأدخلوا المسجد في صفِّهم، ولايخفى ما في هذا من توظيف للدين، ولأنِّي لا أجد لهم صوتاً في هذه الصحيفة، وهو موضع بحث وجدل معهم، فقد أشار أحد الكتاب إلى أنّهم أثّروا في «بعض أئمة المساجد مما دعاهم إلى الاتصال بالجهات

---

(1) العدد 57، الموافق 23/7/1380هـ، (أنقذوهن من وهدة الجهل)، عبدالعزيز التويجري، ص 9.

(2) انظر للكاتب : ملامح الاتجاه النقدي والأدبي في صحيفة القصيم (دراسة تنشر قريباً).

(3) العدد 37، الموافق 1/3/1380هـ، (كلمة وكليمة)، ضحيان العبدالعزيز، ص 1.

المختصة[1]»، ومنه ما يفهم من الشيخ المؤرخ إبراهيم العبيد إذ يقول: «إن الذين ذهبوا للمطالبة بعدم فتح المدارس ألزموا جماعة كل مسجد بجمع الدراهم وتوفير خيمة، وأنه تعهد بالخيمة والمال، ... وأما رأس الممانعة ضد تعليم البنات فهو أحد القضاة، وحصل معه شعبية عظيمة، وركب معه ثمانون سيارة، وثمانمائة رجل من الهيئات والمطاوعة والمؤذنين [2]»، وهو ما يؤكد عليه الدكتور محمد الشويعر من أن الممانعين قد نشروا آراءهم في المجالس والمساجد وخطب الجمعة وأثروا في الفطر المتدينة للناس وبالغوا في تهويل المفاسد باسم الغيرة على الدين[3]، ولاشك أنهم سيتحدثون من خلال المنظور الديني، وهو ما سينقلنا إلى المحور التالي، مع ضرورة التأكيد هنا على أني أثق بأن حركة الممانعة في مجملها . مهما كانت غير منطقية . إلا أنها كانت استجابة طبيعية لفهمهم ورؤيتهم، وهي نابعة من نوايا حسنة.

وهذا الانفتاح الإعلامي في معالجة هذه القضية، كان بمثابة التمهيد لافتتاح المدارس كما قلنا سابقاً، وهو طرح إعلامي سبق الإعلان عن الإرادة الملكية، أو مهَّد لها، ثم واكبها، واستمرَّ بعد توقف المدارس أو تجميدها، وهو يغزل أفكاره عنها، وليس صحيحاً أنه توقف بمجرد صدور الأمر الملكي[4]، وإنما بدأ يتوتر لتجدد المعارضة، ومن ثم لتجميد المدرسة.

وقد فسَّر بعض الدارسين هذا النفير الإعلامي بأنه إرادة رسمية وجدت فيه سبيلاً للتدرج في عملية التوعية بالهدف العلمي[5]، وقد يضاف إلى هذه السياسة أن إفساح المجال الإعلامي للمؤيدين فيه إيضاح قيمة تعليم البنات، ومناقشة أفكار الممانعين، والكشف عن حجم التيار المؤيد للاستئناس به، وهو ما كان بالفعل، وقد صرّحت الرئاسة العامة لتعليم البنات بأنه «كان لكتاب المقالة دورهم

---

(1) العدد 37، الموافق 1/ 3/ 1380هـ، (كلمة وكليمة)، ضحيان العبدالعزيز، ص 1 .

(2) من حوار الأستاذ محمد القشعمي مع الشيخ إبراهيم العبيد الواعظ والمؤرخ بتاريخ 19 /10/ 1422هـ.

(3) محاضرة الدكتور محمد بن سعد الشويعر التي ألقيت في نادي مكة الثقافي بتاريخ الثلاثاء 15/ 08/ 1428هـ بعنوان (من الذاكرة: محطات في بدايات تعليم البنات في المملكة).

(4) المرأة السعودية والتعليم: 14، الدكتورة فوزية البكر، ط2، 1417هـ.

(5) انظر الحركة الأدبية : 169.

وإسهاماتهم في ذلك، فلقد اشتركت الصحف في الجدل الدائر حول تعليم المرأة، ووقف كثيرون في هذا الموضوع موقف المصاول الصبور، المجادل بالحسنى، والآمل في الوصول إلى الغايات الشريفة السامية من تعليم المرأة[1]».

ومما مضى يتضح حجم النفير الإعلامي في رصد هذه القضية، ومتابعتها، وهو رصد يكشف الرؤية الفكرية السائدة إبَّان ذلك الوقت، فيقول حمد البعادي: «إن هذه الآراء تلقي ضوءاً على حقبة مهمة من تاريخ البلاد الاجتماعي، كما توضح طبيعة الظروف التي أدّت إلى نشأة تعليم الفتاة فيها، وتلك الظروف توضحها ـ إلى حد ـ ما طبيعة المواضيع المطروحة في مقالات تلك الحقبة[2]».

وهذه المقالات توحي ـ فيما توحي إليه ـ بارتفاع السقف في حرية القول المتاحة للكاتب، وأنَّ حاجة ثقافية كُبرى تدعو المؤسسات والأفراد لكي يفتحوا بوابة صحافة الأفراد لكي تتم قراءتها، فبقراءتها نقرأ نوافذها المعاصرة، ونقرأ جذور كثير من القضايا المعاصرة، بل إنك تجد في مناهج الكتاب ورؤاهم نسقاً تُفسّر من خلاله الأنساق المعاصرة والآباء الحقيقيين لكتابنا المعاصرين، وربما تصل إلى أنّ رموزاً كبيرة من كتاب المقالة قد عالجوا هذه القضية أوتلك ببراعة وصراحة تعوز كثيراً من المعاصرين.

---

(1) تعليم المرأة خلال مائة عام: 205.

(2) المرأة السعودية العاملة في التعليم العالي: 98، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1987م.

الدين والسياسة والاجتماع بين توظيفين..

اختبأت في مجالات فتنة القول بتعليم المرأة جذور دينية واضحة، واستخدم الجميع كل الوسائل التي توصل إلى غاياتهم، ولأنَّ الحديث سيتخصص بدرجة رئيسة في ما نُشر في صحيفة القصيم من مقالات، فإنه سيبحث في تفاصيل الأدلة التي استدعاها المطالبون بتعليم الفتاة، وسيُشير إلى ما تناثر فيها من إيماءٍ لأدلة الممانعين في غير هذه الصحيفة، ولعل أبرز ما يثير هو ما أقامه رشيد الخالدي من معادلة بين رأي محمد الفاتح في مقاله (لاتئدوا بناتنا في المهد) المنشور في صحيفة اليمامة ورأي الشيخ محمد بن حمدان في مقاله بعنوان (نقد وتوجيه) المنشور قي صحيفة راية الإسلام، وأن ما كان يراه ابن حمدان من أنه زندقة وخروج عن التقاليد ودعوة إلى الشذوذ الاجتماعي ودعوة إلى الإباحية ما هو إلا دعوة إلى الانطلاق والتقدم والعمل لمؤازرة الرجل، وهي الحقيقة الواقعية التي لا يرضاها ابن حمدان. كما يقول الخالدي[1] .، وهي موازنة تكشف عن عمق الاختلاف الثقافي بين الرأيين، وتشير ضمنياً إلى صراع فكري يختلف على المسلمات.

وقد تواطأ الجميع على الإعلاء من قيمة العلم، وتقديس الشريعة له، وقدموا في سبيل ذلك استدلالاتهم الكثيرة من واقع أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وكانت الدولة ممثلة بالرئاسة العامة لتعلم البنات أسبق إلى الوعي والحذر من مغبَّة تجاهله، فورد في بعض إعلاناتهم أنهم سيقومون بتعيين المعلمة التي تثبت استقامتها، لأنه «سيجري اختيار المدرسات ذوات المؤهلات قبل العام الدراسي المقبل، وستكون الأفضلية للمواطنة الصالحة[2]»، وهذا وعي سابق من

---

(1) اليمامة، 1/ 6/ 1380هـ، العدد 249، رشيد سلهوب الخالدي.

(2) العدد 35، الموافق 16/ 2/ 1380هـ، (إعلانات مبوبة)، ص 3.

المسؤولين بالشرط الاجتماعي ووجوب الحذر في مرحلة الإقدام على تعليم البنات، وهو وعيٌ رافقه الحذر في خطوات التأسيس ومراحله، ففي الاحتفال الذي أقيم بمناسبة تشريف جلالة الملك لحفل افتتاح المعرض العام لنتاج طالبات المدارس الحكومية يُصرح الرئيس العام لمدارس البنات بأنَّ البنت كانت محرومة من العلم، فاختيرت المدرسات الصالحات، و«نتقدم لجلالتكم شاكرين ومقدرين خطواتكم المباركة الدالة على ما تتمتعون به جلالتكم من ديمقراطية إسلامية[1]»، وهي عبارة تكشف المأزق الثقافي والحضاري لقائلها، فهو متعلق بالمنتج الغربي والثقافي الحديث، ومتابع للصيحات المعاصرة، ولكنه ينظر إليها من خلال نافذته هو، ومن هنا وصف المنهج السياسي بأنه ديمقراطي إسلامي.

وكان رأس هذه الاستجابات ما وجدناه في النطق الملكي الذي أعلن عن قرار الملك، فقال: «الحمد لله وحده وبعد، فلقد صحت عزيمتنا على تنفيذ رغبة علماء الدين الحنيف في المملكة في فتح مدارس لتعليم البنات العلوم الدينية، من قرآن وعقائد وفقه، وغير ذلك من العلوم التي تتمشى مع عقائدنا الدينية[2]»، وهو نطقٌ يحمل مؤشرات دينية واجتماعية أكثر مما يحمله من مؤشرات سياسية، فتعليم البنات الذي كان أمراً ملكياً بحتاً يأتي هنا ليتوسَّل بالديني على الديني، وبالاجتماعي على الاجتماعي، وكأنه استجابة لا للتوجيه الديني فحسب، وإنما لرجال الدين والعلم الشرعي خاصة، بالإضافة إلى ما تحمله ألفاظه من إيماءات تكشف عن النمط الفكري الديني، فرغبة علماء الدين هنا جاءت مقيدة بأنهم في المملكة، وليس بشكل مطلق، كما جاءت العلوم المستهدفة مقيدة، وليست مطلقة، وإنما هي العلوم الدينية، ونحن ندرك أن الرغبة قد صدرت من فئات المجتمع المختلفة، ولكن الاشتراط جاء من علماء الدين، وأن تعليم البنات غير النظامي معمول به في بيوت الوجهاء وغيرهم قبل صدور هذا الأمر.

وتصاحب مع حذر الدولة حذرُ الكتاب المطالبين بتعليم المرأة، فنجدهم يعنون ويُعلون من الاستدلال الشرعي، ومقالاتهم تنضح بذلك، «فالنبي وأصحابه لم يُنكروا على نسائهم أن يكنّ فقيهات، والصحابة والتابعون كانوا يروون الشعر

---

(1) العدد 73، الموافق 24/ 11/ 1380هـ، (أخبار الأسبوع)، ص 2.

(2) صحيفة أم القرى، السنة 36، الجمعة 21 ربيع الثاني 1379هـ .

عن النساء؛ فما بالنا في القرن العشرين ننكر تعليم المرأة[1]»، بل إنَّ المرأة ارتقت لتقول: إن الكتب السماوية جميعها تؤيد وتدعو إلى تعليم المرأة، وتنصفها وتعطيها حقها وتدافع عنها[2]»، وامتدَّ بعض الكتاب ليضم إلى ذلك الإشارة إلى أنَّ «حاجة العصر، وقواعد الاجتماع والعمران كل ذلك يشير إلى تعليم المرأة إشارة قوية يهتز لها العالم[3]»، ومن هنا فواقع التشريع الإسلامي ونماذجه تؤصل لتعليم المرأة.

وهذه المسوغات الدينية من الحكومة ومن المطالبين تأتي لتكون ردّاً ضمنياً على الممانعين الذين كانوا يُعلنون الممانعة والرفض خوفاً على العقائد والدين، ومن هنا تمّ توظيف الدليل الشرعي لبيان ذلك، فكانت الغاية الدينية حاضرة عند الطرفين، وكان اتكاؤهم على مرجعية واحدة، وهو ما يطرح إشكالية الفهم والوعي لأبعاد النص الديني ومقاصده، وأنه قد يوظف في سبيل الأغراض الشخصية، كما أنه قد يقع في أسْر الفهم الناقص أوالمتواضع أو غير المؤهل.

واتصل التأصيل الشرعي، بالتأصيل أو الاعتماد القانوني، فكانت مقالات الكتاب المطالبين بافتتاح مدارس البنات عامة وفي بريدة خاصة، تؤكد على ضرورة العمل بالإرادة الملكية، وذلك بعد الأمر بافتتاح المدارس، فجاءت المناداة بأن افتحوها تنفيذا للنطق الملكي[4]، وتطالب المرأة بالحق القانوني مستخدمة في ذلك الحجة السياسية، «نريد أن تُنفذ الإرادة الملكية التي اعترفت وأقرت بتعليم المرأة. نريد أن تنفذ سريعاً قبل أن يفوت القطار، أو يفوت أخوات لنا يتعطشن إلى العلم أكثر من تعطشهن للماء[5]»، وهو توظيف لحق المواطنة القانوني وحق الإنسان بشكل عام، كما ظهر في الكتابات الخلطُ بين الجانب الموضوعي والعاطفي، وذلك على مستويات متعددة، ومنها محاولة الاستقواء أو التوظيف للسياسي لخدمة الأهداف الخاصة أو المرحلية، فافتتاح المدارس كاشف عن «الروح النبيلة العظيمة التي يتمتع بها هذا الملك العظيم، والشعور

---

(1) العدد 5، الموافق 29/ 6/ 1379هـ، (حديث الثلاثاء)، علي المسلم، ص 1.

(2) العدد 22، الموافق 7/ 11/ 1379هـ، (حديث المرأة)، حصة الدبيخي وأخريات، ص 5.

(3) العدد 35، الموافق 16/ 2/ 1380هـ، (فلنحيي ميلاد مدارس البنات)، عثمان شوقي، ص 13.

(4) العدد 5، الموافق 29/ 6/ 1379هـ، (حديث الثلاثاء)، علي المسلم، ص 1.

(5) العدد 22، الموافق 7/ 11/ 1379هـ، (حديث المرأة)، حصة الدبيخي وأخريات، ص 5.

الكريم الفياض الذي يدفعه إلى عمل كل ما فيه خير هذا البلد وهذه الأمة[1]»، وعلى إثر التأخير في افتتاح مدرسة البنات في بريدة وشيوع بعض الأصوات التي تدعو إلى منعها، كتب ضحيان العبدالعزيز وقال: «إن ولاة الأمور سيقدرون الصالح العام، ويُنفذونه دون مجاملة لأحد أو مدارة، ولا أعتقد أن أحداً يجهل المصلحة العامة التي قدروها، والتي على إثرها أمروا بإيجاد تعليم البنات[2]»، ويستفرغ عبدالعزيز التويجري الوسع في الثناء على الملك والدعاء له، ويقول: «صدرت الإرادة الملكية الكريمة بمساواة الفتاة السعودية بأخيها في العلم والتعليم، وانتشالها من وهدة الجهل[3]»، ويقول عبدالله العقل في الكلمة التي ألقيت أمام جلالة الملك: إن تعليم الفتاة «لاقى صعوبات كادت أن تئده في مهده لولا جلالتكم وتصميمكم»، وهو الذي دعا الصحيفة بأن تصف جلالته بأنه ناصر الفتاة[4]، وتصفه صحيفة اليمامة بالرائد الأول الذي صدق شعبه، وأوفاه حقه الذي غمطه الماضي[5]، وبعد تجميد مدرسة بريدة يقول صالح العبدالعزيز: «باسمي، وباسم فتاة بريدة، وباسم أخواتي اللاتي يعشن في جهل خانق، وظلام حالك، أتقدم بالرجاء إلى حضرة صاحب الجلالة، وإلى الرجال المخلصين في مدارس البنات، وعلى رأسهم الرئيس العام لمدارس البنات بالإسراع بتنفيذ هذه الخطوة المباركة، وإلحاق هذه الفتاة المسكينة المحرومة من حق لايقلُّ في الأهمية عن حقّها في الوجود[6]»، ونجد في صحيفة اليمامة استحضار الحادثة التاريخية (وأد البنات)، ومحاولة من الكاتب في إثبات أن المجتمع يعيد إنتاج هذه الحادثة، فـ«وأد البنات لم يزل ساري المفعول في هذه الجزيرة العظيمة، ولكنها أخذت شكلاً آخر، غير طمس الجسد وإهالة التراب عليه، اتخذت شكل

---

(1) العدد 35، الموافق 16/2/1380هـ، (فلنحيي ميلاد مدارس البنات)، عثمان شوقي، ص 13.

(2) العدد 37، الموافق 1/3/1380هـ، (كلمة وكليمة)، ص 1.

(3) العدد 57، الموافق 23/7/1380هـ، (أنقذوهن من وهدة الجهل)، عبدالعزيز التويجري، ص 1.

(4) العدد 73، الموافق 24/11/1380هـ، (أخبار الأسبوع)، ص 2.

(5) اليمامة، العدد 193، الموافق 23/4/1379هـ، (إيمان بالمبدأ نحو تعليم البنت)، أبو نازك، ص1.

(6) العدد 90، الموافق 2/4/1381هـ، (فتاة بريدة ألا يؤذن لها بعد أن تتعلم؟!)، صالح العبدالعزيز، ص 3.

قتل النفس والروح، قتل الفكرة، قتل التعطش للعمل والمعرفة والعلم[1]»، وهو نقد عنيف لممانعي تعليم البنات، والكاتب في تشخيصه يجد للممانعين جذوراً تاريخية ثقافية، فهم امتداد لحركة الوأد الشنيعة، وإن اختلفت ماهية الوأد، من الجسد إلى الفكر والعقل، وهو الأخطر.

وحين ينتمي المطالب إلى بيئة المعارض نفسها؛ فإنه قد يجد مغمزاً يستطيع أن يوظّفه ليتجاوز به الديني والسياسي إلى الاجتماعي، وليجد فيه قوة تُحرِّك ما لم تُحركه الوسائل السابقة، وذلك يتجلّى في الحديث عن الأغلبية وقوى الضغط المدنية وحس المناطقية.

فأما الأغلبية، فهو ما تمَّ تناوله في ما مضى، وحشد الإشارات العديدة إلى كثرة المطالبين، وتصوير الممانعين بأنهم قلة ويمثّلون أنفسهم، ولايجدون بُعداً اجتماعياً يستندون إليه، وحين يتأخر افتتاح المدرسة، ويذيع أنّ ذلك بسبب المعارضين، يقول ضحيان العبدالعزيز متحدثاً عن المطالبين: «إنَّ هناك مواطنين من نفس البلدة هم أضعاف المواطنين الذين لم يُعجبهم فتح المدارس، وهم بفارغ الصبر ينتظرون فتح هذه المدرسة، ولهم من الحق في تطمين خواطرهم ورعاية شؤونهم مثل الذي لغيرهم من مطالبهم العادلة، ولأنهم لم يُطالبوا بشيء غريب عن هذه المملكة، وكلما طلبوه تنفيذ ما قررته الجهات المختصة[2]»، وهو إشهار للحق القانوني في تنفيذ رغبة الكل، لا أن تُنتهك حقوقهم استجابة للقلة، وهو ما يُكرّره المؤيدون، ويُلحظ في تضاعيفه توظيف الحس العاطفي في تدعيم هذه الرؤية وتأصيلها، وذلك في خضم التصريح بحق المواطن في تنفيذ المطلب العادل.

وأمَّا قوى الضغط، فهو ما سأخصُّ له المبحث التالي.

وأمَّا حسّ المناطقية، فهو الذي يتصل بالتنبيه على السبق الحضاري بين المدن السعودية، ومدن المنطقة بشكل خاص، ولذلك نجد الإشارة إلى حادثتين، أولاهما التذكير بصنيع أهل الخبر، وأنهم حين «علموا أنَّ مدينتهم لم تكن ضمن المدن التي قرر فيها فتح مدرسة للبنات عقدوا اجتماعاً فيما بينهم، وأسهم كل

---

(1) اليمامة العدد 236، الموافق 28/2/1380هـ، (لاتئدوا بناتنا في المهد)، محمد الفاتح.

(2) العدد 47، الموافق 12/5/1380هـ، (كلمة وكليمة)، ص 9.

واحد منهم بجزء من ما يتطلبه فتح المدرسة[1]»، وهو استشهاد على العزيمة والإصرار والاجتماع على حب العلم، وليس على التبرع بالمدرسة، لأنَّ أسرة الراشد فعلوا ذلك في بريدة ـ كما سبق ـ، وقد أشار إليه الكاتب في مقاله بشيء من السخرية المُرّة، فقال: «نحن بعد هذا لاندري ما سوف يكون مصير المدرسة التي قدمها آل الراشد ... هل ستنتظر مديرية تعليم البنات في أمر هذه المدرسة لعلها تفتح من جديد، أم ستعيدها إلى أصحابها[2]»، وذلك إثر قرار تجميد المدرسة بعد إهداء آل الراشد أحد بيوتهم لتكون مدرسة للبنات، وكررت الصحيفة ذلك على لسان عبدالعزيز التويجري حين طالب بالتبرع لإنشاء مدرسة أو مدرستين ـ كما يقول ـ، كما صنع «أهالي الخبر الواعين[3]»، وأحسب أنَّ مواظبة الصحيفة على نشر المطالبات، والإعلانات، والأخبار عن تعليم البنات، يتجاوز الوظيفة الإعلامية إلى الوظيفة الإصلاحية والتوعوية، وممارسة الضغط والشحن الإعلامي، وإيقاظ مشاعر الغيرة وأسباب الوعي الثقافي بين المدن والمناطق.

ويتجلّى حسّ المناطقية مرة أخرى في إثارة العميق من المشاعر، وهو القول بأنَّ مدن القصيم ستجتهد في المطالبة، وأنَّ «عدم فتح هذه المدرسة في مدينة بريدة سوف لايحرم منطقة القصيم الواسعة منها، فهناك عدد من المدن الأخرى في هذه المنطقة، وأهلها ـ دون شك ـ سيرحبون بفتح هذه المدرسة في مدينتهم[4]»، والمنتمي إلى القصيم يُدرك عمق المنافسة التي يُثيرها مثل هذا القول، إذ يمتلئ سكان القصيم بالتنافس الحضاري فيما بينهم، وقد ألمح هذا الكاتب قبل ذلك إلى أننا «لانشك أن كل مدينة من هذه المدن يتصف أهلها بما يتصف به أهل بريدة من غيرة على الدين وحب للخير، ومع ذلك فهم يقدرون ظروف البلاد وحاجتها إلى مثل هذه الأشياء[5]»، وهو تصريح بأنَّ محافظات القصيم كعنيزة والرس والبكيرية والمذنب ستُحقق ما منع المعارضون تحقيقه في

---

(1) العدد 51، الموافق 10/6/1380هـ، (كلمة وكليمة)، ص 11.

(2) العدد 51، الموافق 10/6/1380هـ، (كلمة وكليمة)، ضحيان العبدالعزيز، ص 11.

(3) العدد 57، الموافق 23/7/1380هـ، (حديث القصيم أنقذوهن من وهدة الجهل)، عبدالعزيز التويجري، ص 9.

(4) العدد 51، الموافق 10/6/1380هـ، (كلمة وكليمة)، ضحيان العبدالعزيز، ص 1.

(5) العدد 37، الموافق 1/3/1380هـ، (كلمة وكليمة)، ضحيان العبدالعزيز، ص 1.

بريدة، وهذه الوسيلة هي من أقوى الوسائل الضاغطة باتجاه السبق الحضاري والمدني، وهي رؤية تستثير حفيظة عامة أهل بريدة أو غيرها من المدن، فالمتدينون وغيرهم يشتركون في هذا الحافز ويولونه أهمية كبيرة، وإنْ كان مما يجب قوله والتأكيد عليه هنا: إن المنتمي دينياً لايتعلق بتراب قدر تعلقه بالفكرة، ولذلك وجدنا ـ سابقاً ـ الرغبة بالمحافظة على هذه المدينة من دخول مدارس البنات إليها إذا كانت عمَّت البلوى في المدن الأخرى.

وتأتي ثالثة وسائل المناطقية التي استثمرها المطالبون وأثاروها في وجه الممانعين، وذلك بعد البيان الشرعي والسياسي، أن أشاروا إلى أن مدينة بريدة ليست بدعاً دون المدن، فقد افتتحت المدارس في الرياض والحجاز والمنطقة الشرقية، فما أسباب الممانعين المنطقية، ليتم عرضها على ولاة الأمر ليتفادوا ضرر هذه المدارس بأجمعها[1]، وهذا نوع من التنزُّل مع الخصم، وهو درجة من درجات الجدال المنطقي القوي ـ كما سيأتي ـ.

والذي يرشح من هذه الاستخدامات الدينية والسياسية والاجتماعية أنَّ هناك اعتماداً من الطرفين على السعي في الخير، وهناك احتجاج من الجميع بالشريعة، ولجوء إلى السياسي والاجتماعي والمناطقي لتسويغ الأهداف الخاصة، ولذا ـ كما يقول المؤيدون ـ: لا نعرف الدافع لهذا الرفض «أهو الخوف على الدين ـ كما يذكرون ـ إن كان الدافع الخوف ـ كما يذكرون ـ فليطمئنوا، فقد أُسندت رئاسة هذه المدارس إلى شخص كبير يعتبره كل مواطن من دعاة الدين ومن كبار رجاله[2] »، ف«لماذا نحمل راية المعارضة، وفينا أكفاء أعدّوا عدتهم للأمر، وأقاموا صرحه[3]»، وهو استدراك مهم من قبل المؤسسة الرسمية تحفظ به موقفها، وذلك حين أوكلت رئاسة المدارس إلى رجل ينتمي إلى الجانب الشرعي، وقام المطالبون بتوظيف هذه الخطوة كوثيقة دفاع، فبعد أن أبانوا الرأي الشرعي والرسمي تعمقوا في موقفهم تجاه المعارضين، وأنهم إن كانوا يعتقدون أن ما قاموا به هو «طاعة لربهم وتقرب إليه، إلا أنَّ إقرار السلطات الدينية في هذه المملكة لهذا النوع من التعليم يجعلنا لانجد لهم العذر في تحدّيهم لفتح

---

(1) العدد 93، الموافق 23/ 4/ 1381هـ، (فتاة بريدة تناشد المسؤولين)، غانم الغانم، ص 3 .

(2) العدد 36، الموافق 23/ 2/ 1380هـ، (كلمة وكليمة)، ضحيان العبدالعزيز، ص 1.

(3) العدد 49، الموافق 26/ 5/ 1380هـ، (تعليم البنت ضرورة اجتماعية)، أبوخالد، ص 3.

مدرسة البنات في بريدة[1]»، وهي مرحلة من الاحتجاج القوي بالسياسي على الديني، فموقفهم نوع من التحدي فقط، وهم بذلك يستدعون المعادلة الدينية الأخطر، وهي التي تقضي بأنَّ طاعة ولي الأمر من طاعة الله، ولكنّ الممانعين ـ برأي المؤيدين ـ تحدّوا وكسروا أمر ولي الأمر، ولاشك أنه استخدام سياسي واضح، فهذا الخطاب يضمر عدداً من الدلالات العميقة المتعددة، فهو يشير إلى الجهات الدينية العليا في الدولة، وأنها قد أقرت هذا التعليم، وهذا ينقض الأساس الفكري لهذه الممانعة وأنها طاعة لله، فعلماء الدين الرسميين ـ صاحب السماحة المفتي الأكبر محمد بن إبراهيم هو المشرف على تعليم البنات ـ أقرّوا هذه الخطوة، والمؤيدون بذلك يصلون إلى قناعة واضحة، وهي أنَّ هذه الممانعة تمثّل نوعاً من التحدي فحسب.

واتهام المقاصد، وتحريك مسائل طاعة ولي الأمر، والقول بالمعارضة والتحدي، هي أمور لم تغب عن هذه الفتنة، حتى وإنْ حاول بعض الممانعين تخفيفها، كما يُصنّف عبدالعزيز التويجري حالة المعارضين بقوله: «نحن حينما نقول المعارضين، لانقصد أنهم عارضوا إرادة أب الشعب ورائد الإسلام سعود إلا عن حسن نية وقصد، وجهل لحقائق ما ندعو إليه[2]»، وواضح أن المباركة الرسمية والشرعية لافتتاح مدارس البنات توفض بالمؤيدين إلى عدم فهم مواقف الممانعين، ومن هنا وصفوها بالغموض[3]، وذلك لأنهم وصفوا مواقفهم بحب الخير وحسن النوايا، ولكنْ الأمور تغيرت بعد الأمر الملكي، وإسناد المدارس إلى رجال الدين، واستمرار الممانعين في مسلكهم؛ إذ تحوّل المؤيدون إلى حالة اللافهم أو الاتهام للمعاندين في مواقفهم ومقاصدهم.

وجاءت خاتمة هذا الجدل في حديث عبدالله العقل مخاطباً الملك سعود في الحفل المشار إليه سابقاً، فقال: إنكم بتوجيهاتكم وإشراف المفتي الأكبر «قد هيأتم لها الجو الذي يكفل لها الحفاظ على أخلاقها وتقاليدها، وكان هذا هو منطق أولئك المتخوفين من تعليم البنت خشية أن تزل بها القدم فتخلع الحجاب وتخرج من بيتها لتزاحم الرجال في مجالات العمل[4]».

---

(1) العدد 51، الموافق 10/6/1380هـ، (كلمة وكليمة)، ضحيان العبدالعزيز، ص 1.

(2) العدد 57، الموافق 23/7/1380هـ، (أنقذوهن من وهدة الجهل)، ص 1.

(3) العدد 90، الموافق 2/4/1381هـ، (فتاة بريدة ألا يؤذن لها بعد أن تتعلم؟)، صالح العبدالعزيز، ص3.

(4) العدد 73، الموافق 24/11/1380هـ، (أخبار الأسبوع)، ص 2.

صراع النفوذ والسير في الظلام..

تأخذ فتنة القول بتعليم المرأة ثوب الصراع والسجال بين القوى المختلفة ولكنه ظهر من خلال المرأة، وذلك لأن شأن المرأة قابل لتفعيل الشأن الديني والاجتماعي والاقتصادي، ويصبح مظهراً للاستدلالات، وتداخُل الجميع معه، والذين يخفضون أصواتهم بالصراع حول بعض القضايا سوف تعلو إنْ تحدثوا عن المرأة، وهم بذلك لايُناقشون قضية المرأة وحدها، ولكنهم يناقشون رؤاهم المتباينة وتصورهم للحياة، ويستخدمون وسيلة لذلك: المرأة، وكأنهم يُنتجون مفاهيمَهم ورؤاهم وعيونُهم وعقولُهم مشدودة إلى الخطاب الضد، فتأتي كتاباتهم ردة فعل لافعلاً مستقلاً.

وقد ظهر في الحراك الإعلامي الذي تداخل مع هذه الفتنة الاتجاهُ الذي يُراهن على المجتمع، فأصبح كل اتجاه يجتهد في خدمة مصالحة وإثبات سلطته ـ ربما بشكل خاص ورئيس ـ، وتحولت الرؤية من قضية عينية إلى الإطار الرؤيوي العام للحياة، وهو ما يدل على الوعي الاجتماعي، أو على طبقة من طبقاته.

وهي إشكالية تضيء المفهوم الأساسي الذي يقوم عليه الخطاب كاملاً، وأنَّ الاحتقان الذي رافق هذه الفتنة لم ينبع بدرجة أساسية من موضوعها فحسب، وإنما نبع من الإسقاطات التي صاحبته، فاتهام النيات، والخوف من المستقبل، والتحذير من صراع الأفكار والجبهات الإعلامية، وغيرها، أصبحت مما يتمّ استخدامه أو إنتاجه لخدمة المواقف الفكرية المختلفة، وقد وجدنا من الكتاب من يُصرّح بأنّ «القضية الآن ليست قضية تعليم الفتاة؛ بقدر ما هو خلق المجتمع الصالح المتكافئ، وخلق هذا المجتمع المتكافئ لايتأتى إلا بتعليم الفتاة[1]»، أي

---

(1) اليمامة العدد 236، الموافق 28/ 2/ 1380هـ، (لاتندوا بناتنا في المهد)، محمد الفاتح، وينقل الأستاذ محمد القشعمي عن أحد الكتاب قوله : أجل لقد دخلنا معركة تحرير المرأة، سنحرر نصفنا الآخر، وسنحطم القيد من حول أمهاتنا وأخواتنا وزوجاتنا وبناتنا، أسوار الظلام =

إنَّ بعض المؤيدين كانوا أشبه بالحزب الحضاري الذي يطرح مشروعه الإصلاحي، وهم بذلك يستهدفون خلق الحراك الثقافي والاجتماعي، ويجدون في المرأة نقطة البدء في هذا، ولذا وجدنا التأكيد من بعض المطالبين على ضرورة المبادرة في القفزة الحضارية، وأنّ النهضة لاتحتاج إلى التمهل، وإنما لابد من الوثب، و«أن نعمل عمل السنة في يوم، وعمل اليوم في ساعة، حتى نعوض ما فات[1]»، وقريباً من ذلك الردُّ على من يطالب بالتأني لظروف البدايات «بأننا حقيقة لا نزال في البداية، ولكننا لانريد أن نظل في البداية[2]»، وهي رؤى تستبطن ضرورة الاستباق الحضاري، وأنّ البداية يجب أن تكون من حيث انتهى الآخرون، مع تأكيدهم على ضرورة الالتزام الديني، وهو ما لم يشفع لهم عند الممانعين، بل إنَّ رؤاهم وتأكيدهم على البعد الحضاري والنهضوي المتسارع، وتوصيفهم للمخاوف التي تقف أمام تعليم البنات بأنها عقبة كأداء، كانت أموراً دفعت فضيلة الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله إلى أن يصف هذه الكلمة بأنها أقلقت النفس، ففيها تحسين ما قبَّح الله، وهي صريحة بشن الغارة على رجال الدين[3]، وهي خطابات ثقافية متضادة تعلن عن نفسها إما بالتلميح أو بالتصريح.

ولئن كان الصوت الأقوى هو للممانعين، وذلك لأنهم من طبقة العلماء

= التي قبعت خلفها آلاف السنين (مجلة رؤى، العدد38 الموافق 23 يناير، نطالب بالتحرر ولا ندعو إلى الانحلال، ص69).

(1) العدد 26، الموافق 6/ 12/ 1379هـ، (تعليم البنت)، ص 1.

(2) اليمامة العدد 273، الموافق 22/ 11/ 1380هـ، (حول التعليم في مدارس البنات)، عبدالملك الصحابي، ص8.

(3) الدرر السنية: 16/ 72، ويشير الشيخ حمد الجاسر إلى أن نظرة علماء الدين إلى المدارس الحديثة ليست خاصة بهم، بل تكاد تكون عامة لدى العلماء وغيرهم (من سوانح الذكريات: 2/ 667)، ومهم هنا أن أورد كلمة تكشف الموقع الحقيقي للشيخ ابن حميد في المجتمع إذ يقول الأستاذ منصور النقيدان عنه معلقاً على إحدى مداخلات القراء لمقالة من مقالاته : كان ابن حميد أميراً في إهاب قاض وفقيه.كان أقوى من كل الأمراء الذين تواجدوا طوال العشرين عاماً التي قضاها في بريدة وكان تاجراً وفوق ذلك داهية من دهاة الجزيرة.كان أنموذجاً غير تقليدي، لقد أحدث إرباكاً في قانون العلاقة بين الأمير والشيخ، بين التاجر والمطوع. لهذا يقال إن فهد العلي الرشودي أشار على الأمير عبدالله ابن فرحان بعد وفاة قاضي بريدة عمر بن سليم أن يحرص على أن يتولى محمد بن عبدالله بن حسين القضاء بدلاً من ابن حميد (http://www.burnews.com/articles.php?action=show&id=646).

وتداخل معهم بعض التجار وطائفة من العامة، إلا أن ذلك لم يمنع أن يتداخل المؤيدون معهم، وأن يجتهدوا في سلوك عدد من الطرق لإيصال صوتهم، ومن ذلك أن طائفة من المؤيدين قاموا بالخطوة نفسها التي قام بها الممانعون، فذهبوا إلى الملك لمطالبته بتعليم البنات في بريدة؛ بل إنهم ذهبوا في الفترة نفسها التي كان الممانعون هناك، ويقول الأستاذ محمد البشر أحد وجهاء بريدة المعاصرين وممن شهد تلك الفترة: «كنا نحن الشباب في وقتنا نسعى ونتصل طالبين التعجيل بافتتاح المدرسة، حتى إن وفداً منا ذهب لمقابلة الملك ، وهم الأستاذ علي بن عبدالله الحصين والأستاذ عبدالعزيز بن محمد اليحي والأستاذ علي بن عبدالعزيز السويد، وقد جلسوا في الديوان الملكي ورئيسه حينذاك الأمير محمد بن سعود الذي طمأنهم بأن المدرسة سوف تفتح، ومن يرغب فيدخل ابنته، ومن لا يرغب فلن يكره. أثناء ذلك دخل المشائخ للديوان فسلم عليهم الشباب، قالوا بعد قليل: خرج إليهم الأمير محمد، وقال: إن سيدي أمر بتأجيل افتتاح المدرسة هذا العام[1]»، ويروي أحد المؤيدين طرفاً من هذه القصة، فيقول: كانوا بمكتب الملك سعود للمطالبة بتعليم البنات فدخل المشائخ الممانعون في الوقت نفسه، وأسقط في يد الحصين وزملائه، فقال لهم المشائخ: لماذا أنتم هنا؟ فقال الحصين: نحن جئنا لموضوع آخر، وذلك خوفاً من سلطتهم، وكان المسؤولون قبل مجيء المشائخ قد أخبروهم بافتتاح المدارس وأن يدخلها من أراد وألا يجبر أحد، وبعد أن جاء المشائخ عرضوا على الملك رؤيتهم، فتقرر عدم افتتاح المدارس في هذه السنة، وهي رواية . مهما كانت موقفنا منها . تضيء جانباً في هذه القضية، وهو وجود صراع علني بين الأطراف، وأن ممثلين واضحين له في كل اتجاه، كما تكشف ضعف الموقف الاجتماعي الذي يتكئ عليه المؤيدون.

وحين تتناقض المصالح فلابد أن يستعين كل طرف بما يكفل له الفوز بالثمرة من الاستدلالات والنصوص وغيرها، ولئن أكَّد بعض المؤيدين على استصحاب النية الحسنة عند المعارضين، وأنَّ قصدهم الخير[2]، واجتهاداتهم ونواياهم حسنة[3]، ولعل ذلك عائد إلى أنهم من أعيان البلدة وبعض

---

(1) من رسالة كتبها حول هذا الموضوع، وتجدها في الوثائق.

(2) انظر : العدد 37، الموافق 1/ 3/ 1380هـ، (كلمة وكليمة، ضحيان العبدالعزيز، ص 1.

(3) العدد 50، الموافق 3/ 6/ 1380هـ، (حول مدارس البنات)، سليمان الماضي، ص 11.

الأهالي[1]، فإنَّ ذلك لم يمنع غيرهم أو أنفسهم أن تتحول مواقفهم بعد التجربة ومراحل الكتابة عن الموضوع والإقناع ومباركة ولي الأمر والمفتي الأكبر للمدارس إلى اتهام صريح لأولئك الممانعين بعدد من الاتهامات ـ كما سيأتي ـ.

* * *

وتشكل الرؤى المحافظة حافزاً للممانعين سواء انطلقت من أبجديات الدين أوغيره، وأما المؤيدون فتحفزهم رؤاهم التقدمية، وما ينتظره منهم المجتمع، أو ما يطالبون به، وتمثيلهم لأفق التوقّع الثقافي، كما وجدنا سارة بوحيمد تطالب «الأفراد المثقفين من أهالي بريدة أن يفتحوا أذهان هؤلاء الآباء[2]»، وأن يجتهدوا ألا تُترك البنات لِتحكُّم آبائهن في أرائهم الخاطئة.

وقد لجأ الجميع إلى تدعيم آرائهم بالشرع والمنطق ووعي ولاة الأمور، فبلغت القضية موضع المفاصلة، وحين وجد المؤيدون أنّ الدولة قد استجابت لآراء الممانعين أو جاملتهم، ولم يجدوا في رأي المعارضين ما يقنع، قالوا: «إنَّ هذا الاعتراض لن تكون له إلا نتيجة واحدة، وهي وجود الخلاف والفرقة بين أهل هذه المدينة[3]»، وهذا احتجاج بالقانوني على السياسي، وتخوف من الآثار الاجتماعية وتحذير منه، حيث يتأسَّف المؤيدون على موقف التريُّث الذي ظهر به المسؤولون تجاه الممانعين، «فإنها بكل أسف تلقى من المسؤولين آذاناً صاغية، وقلوباً واعية، وتجاوباً على حساب المصلحة العامة[4]»، وهو تخوُّف وقلق يبديه المؤيدون تجاه هذا الأمر، والمثير أنه تخوف يتم إعلانه في صحيفة سيارة.

وقد تم استقبال خطاب المؤيدين وقراءته وفق معايير الحُرمة والإباحة الشرعية، ورأينا كيف تم تصنيف إحدى المقالات المطالبة بتعليم بالبنات، وهي كلمة القصيم الرئيسة في العدد السادس والعشرين، بأنه «يظهر منها تحسين ما قبح الله، ومخالفة ما شرعه، وصريحة بشن الغارة على رجال الدين، حيث سماهم عقبة كأداء[5]».

---

(1) اليمامة العدد 308، الموافق 8/ 8/ 1381هـ.

(2) العدد 107، الموافق 3/ 8/ 1381هـ، (لاتمنعوا العلم عن فتياتكم)، سارة بوحيمد، ص 7.

(3) العدد 36، الموافق 23/ 2/ 1380هـ، (كلمة وكليمة)، ضحيان العبدالعزيز، ص 1.

(4) العدد 90، الموافق 2/ 4/ 1381هـ، (فتاة بريدة ألايؤذن لها بعد أن تتعلم)، صالح العبدالعزيز، ص3.

(5) الدرر السنية: 16/ 72.

وهذا الحراك والصراع بين التيارات هو ما زاد التوتر الاجتماعي، وكانت آراء بعضهم سبيلاً لإيجاد ردَّة الفعل الأعنف، فاتجهت مواقف المؤيدين إلى التصعيد، فوصفت مواقف الممانعين بأن لهم بعض الاعتبارات الاجتماعية، ويقومون باستغلال الفرص[1]، وهم «أهل النفوذ[2]»، وأنَّ مستقبل فتياتنا بيد أُناس «أوجبوا على أنفسهم تجاهل الحقائق والشعور بالمصلحة العامة[3]»، ووجدنا محمد الفاتح في صحيفة اليمامة يؤكد على أن منع تعليم البنات هو «فكرة إجرامية لم يزل المطبّلون والمزمرون والرجعيون يُغذّونها بكتاباتهم المسمومة[4]»، وهو خطاب متحول ودالٌ، ففيه الانتقال من حسن الظن بالرأي الآخر، والاجتهاد في إقناعه، إلى اتهامه، والطعن في سلامة نواياه ومقاصده، ولذا فقد تكونت ملامح التيارات المتضادة بشكل واضح، ولاشك أن أسلوب الكاتب هنا هجومي مصادم حيث يصف رؤية الممانعين بالإجرامية وأصحابها بالمطبلين والمزمرين والرجعيين.

وقد تواترت هذه المواقف الإعلامية الضاغطة باتجاه نقد مواقف الممانعين وتحليلها، ومحاولة التعمق في فهم واقعهم وأسبابهم، حتى رأينا أعلى هذه المواقف هو وصف مواقف الممانعين بأنها جاءت إرضاء للعواطف والشهوات كما «اشترك في هذا الموقف أيضاً أناس عرفوا بمقاصدهم الانتفاعية، وخوفهم على سلطاتهم ومصالحهم الإقطاعية، ويهمنا هنا أن نقول لهؤلاء الناس: إنَّ مقاصدهم أصبحت مكشوفة، وإن الناس قد أصبحوا على درجة من الوعي قد تُضيّع عليهم فرصة السير في الظلام، وفي كل مناسبة تحاول فيها هذه المدينة أن تخطوا أو تلحق بشقيقاتها تبرز هذه المجموعة الضئيلة من الناس على المسرح الاجتماعي مظهرة معارضتها في عناد وإصرار[5]»، وهو نص أشبه بالوثيقة التاريخية، لأنه يشير إلى ما لم يُشر إليه غيره، فهو يتكلم عن الثابت والمتحول

(1) العدد 37، الموافق 1/ 3/ 1380هـ، (كلمة وكليمة)، ضحيان العبدالعزيز، ص 1.

(2) العدد 112، الموافق 9/ 9/ 1381هـ، (هذه الأقلية لماذا نذعن لها؟)، عبدالرحمن الكريدا، ص7.

(3) العدد 93، الموافق 23/ 4/ 1381هـ، (فتاة بريدة تناشد المسؤولين)، غانم الغانم، ص 3.

(4) اليمامة العدد 236، الموافق 28/ 2/ 1380هـ، (لاتئدوا بناتنا في المهد)، محمد الفاتح.

(5) العدد 90، الموافق 2/ 4/ 1381هـ، (فتاة بريدة ألايؤذن لها بعد أن تتعلم)، صالح العبدالعزيز، ص 3.

من المواقف، فموقف الممانعين الحالي المتحول في رفضهم تعليم المرأة يأرز ويتكئ على موقفهم الثابت والمستمر في رفض النمو الحضاري والعناد والإصرار في سبيل تحقيق مصالح شخصية يستخدمون في سبيلها حس التدين أوالمحافظة أو غيره كما يرى هذا الكاتب، وكأنهم ينطلقون من قاعدة ثقافية محددة ترفض التناغم مع الجديد أياً كان، وتستخدم في سبيل هدمه ونقضه ما أمكنها من الوسائل، والنظر في منهج الممانعين يتضح أنهم «كانوا يتقبلون كل جديد باعتباره بدعة في الدين من دون تمييز بين ما هو مستحدث من أمور الدين وثوابته، وبين ما هو من قضايا الحياة وأساليبها القابلة للتجديد من دون المساس بالثوابت وجوهر الدين في عقائده وأحكامه[1]»، وهو موقف ثابت على مستوى النظرية متجدد على مستوى التطبيق، ولذا ولدت له نماذج وإفرازات باختلاف الزمان والمكان.

ومن الاستدعاءات التاريخية التي أشهرها المؤيدون بوجه الرافضين، وحاولوا استخدامها لكشف الأبعاد المخفية من مواقفهم العامة، وخاصة موقفهم من تعليم البنات، التعليق على رفض إنشاء بلدية بريدة والمدرسة العسكرية والتوقف حيال الألعاب الرياضية، فقد «وجدت معارضة لفتح المدرسة العسكرية، بل وأغلقت المدرسة العسكرية بعد فتحها، ثم وجدت معارضة للألعاب الرياضية، ولكن هل أجدت تلك المعارضة؟ فقد عادت المدرسة العسكرية كأقوى ما تكون، بل إنَّ المدرسة العسكرية قد تطورت، وأصبحت ثانوية لإقليم القصيم كله، كما أنَّ الرياضة قد استقرّت، ومارسها أبناء البلاد على أوسع نطاق[2]»، ويُكرر ذلك مرة أخرى، فيقول: «لعل القارئ يعرف أن هذا الإجراء الذي سقته له ليس الأول من نوعه الذي يحصل في مدينة بريدة بفضل بعض أبنائها، فقد عارض بعض أبناء بريدة المدرسة العسكرية عند افتتاحها مما أدى إلى نقلها إلى إحدى مدن القصيم الأخرى، إلا أن أهالي بريدة تراجعوا فيما بينهم، وطالبوا بإعادة المدرسة من جديد، فأجيب طلبهم وفتحت لهم مدرسة أخرى[3]»، وهو

---

(1) لمحات عن التعليم وبداياته: 138.

(2) العدد 36، الموافق 23/ 2/ 1380هـ، (كلمة وكليمة)، ضحيان العبدالعزيز، ص 1، وانظر العدد 37ص1.

(3) العدد 51، الموافق 10/ 6/ 1380هـ، (كلمة وكليمة)، ضحيان العبدالعزيز، ص 1.

دليل يكفل للمطالبين بإيقاظ جذور الممانعة الثقافية المتكررة ونماذجها عند الجمهور والمتلقي، ليكشف له ديدن المعارضين، وهو منهج جدلي يمارسه المؤيدون في سبيل إسقاط حجج الممانعين والانتقال إلى مرحلة إقناع المتلقي، إذ «ليست هذه الفكرة هي الأولى التي تحظى بهذه المعارضة من قبل هؤلاء الناس، فلقد وقفت هذه الجماعة في سبيل إنشاء البلدية، والتي تحققت هذه الأيام ولله الحمد[1]»، فالمؤيدون يجدون في التاريخ سبيلاً لنقد تجربة الممانعين ذاتها، وأنها تجربة تسير في الطريق المعاكس لقرار ولي الأمر ـ أولاً ـ، ولنهضة المجتمع بشكل عام، ومن هنا نشبت الفتن، ولكن حركة النهضة أقوى من ممانعتهم.

وبتوصيف مقارب يتضح مما سبق أننا لم نكن في مواجهة بين تيارين؛ إسلامي وغيره، وإنما نحن أقرب إلى أن نكون بين تيارين؛ مدني وتقليدي، وامتلك المدني وسائله المتطورة والحضارية، وافتقدها التقليدي، مع استصحاب الفريقين للدليل الشرعي، وممكن أن يقال: إنَّ التقليدي يُراهن على الماضي والثبات على النمط والسائد، ويراهن المدني على المستقبل والنمو الحضاري؛ بل إنَّ تصريحاً قاطعاً يتصل بشأن رفض أهالي بريدة لإنشاء بلدية في مدينتهم، وأنَّ السبب هو «بعض أبنائها الذين يقفون في وجه كل جديد مهما كان ذلك في خدمة هذه المدينة وتطويرها[2]»، فالرفض مبني على ثقافة الخوف من الجديد، والرهبة من مستتبعاته عند هؤلاء القلة، ولكن المدهش هو أنَّ في رفض تعليم البنات تم وصف الرافضين بالانتهازيين والنفعيين والإقطاعيين، مع عدم التصريح بنوعية هذه الانتهازية والانتفاعية، إلا أنني أجد في شأن بلدية بريدة وضوحاً كبيراً، فجاء التساؤل على لسان أحد المؤيدين بقوله: «لا أعرف ما هو الدافع الذي حدا بأولئك الأخوان إلى المعارضة في تأسيس البلدية في مدينتهم؟! أهو الخوف من رسم بسيط يفرض على حانوت مقابل حراسته، أم الكراهية أن يروا بلدهم نظيفة منظمة أم ماذا؟[3]»، وهي استدلالات تكشف هذا البعد، وتنقل لنا شيئاً من أجواء الخصومة فيه.

---

(1) العدد 90، الموافق 2/ 4/ 1381هـ، (فتاة بريدة)، صالح العبدالعزيز، ص 3.

(2) العدد 35، الموافق 16/ 2/ 1380هـ، (بريدة)، ضحيان العبدالعزيز، ص 1.

(3) المرجع السابق، ويشير الشيخ عبدالعزيز المسند ناقلاً عن والده شيئاً من طبائع المنتفعين في=

وإذا كانت هذه المقالات قد لاتفصح بتفصيل الأسباب في الممانعة، فإني أجد في خصومة التيارات رغبة في إثبات الذات، وطمعاً في ثبات الأوضاع التي تكفل باستمرار منهج الممانعين وحضورهم، وتشوقاً إلى تغيير الأوضاع الذي يكفل للمؤيدين تحقيق أهدافهم ورؤاهم، أقول ذلك، مع أن من الباحثين من تجاوز ذلك، وفسر الانتهازية التي حدثت في التعليم النظامي ـ الأولاد خاصة ـ بشكل آخر، فالقول بوجود مصالح شخصية ونفوذ ذاتي يؤكد عند الدكتور عمر العمري بأن بعض المعارضين كانوا من أصحاب المصالح الخاصة من بعض القائمين على التعليم التقليدي، ولذلك كانت معارضتهم للتعليم النظامي الحكومي ومطالبتهم ببقاء نظم التعليم التقليدي لم تكن مبنية على أسس علمية راسخة بقدر ما كانت في الأصل دفاعاً عن مصالحهم الخاصة[1]، فالمصلحة الشخصية هي المقوم الرئيس لذلك، ولم تكن المسألة عند هؤلاء (البعض) مسألة موقف أو بعد فكري أو مبدأ، وإنما كانت مصالحهم الذاتية هي موجهاتهم الفكرية، وبعبارة أوضح، كانت قيمتهم ووجاهتهم في التعليم التقليدي ستتأثر بالتحول إلى التعليم النظامي، وهو ما فرض عليهم هذا الموقف الرافض، ولعل هذا هو ما يفسر ما يقال من أن بعض المعارضين لتعليم البنات قد قام بتأجير بيته للمدرسة حين أقرت، وهذا تصرف يمكن فهمه على طرق عدة، ومن بينها ما يتصل بفكرتنا هنا.

* * *

وقد حضر الحس الشرعي عند المؤيدين بشكل كبير، فاستشهاداتهم ومسوغاتهم لم تخل من الهدف الديني، بل إنها تؤكد عليه، وتنطلق منه، وذلك على مستوى المسؤول والمطالب.

فأمَّا المسؤول، فقراره الأول هو تعيين من ينتمي إلى المؤسسة الدينية، وذلك وعي من قبل ولي الأمر، حيث استبطن فكرة المعارضة، أوأنه لم يتجاهل

= قضايا أخرى، فيقول: في عهد ولاية الشيخ عبدالله بن حميد قضاء القصيم بين عامي 1365هـ و1380هـ كلفني بتحديد مقبرة شمال بريدة تقع في طريقي من الشماس إلى بريدة، وقد درَسَت، فاعتدى عليها ناس وبنوها، فاشتكى غيورون، وصارت قضية كلفت من الشيخ ببيان رأيي، فعارض المنتفعون وسفهوا رأيي" (الشيخ المسند علم وعمل: 28، د.غادة المسند، دار المثل، ط1، 1426هـ).

(1) الشيخ عبدالله بن سليم: 68، د.عمر بن صالح العمري، نادي القصيم الأدبي، ط1، 1420هـ

إمكانية حدوثها، فجعل الرئيس العام رجلاً شرعياً، أو رجل دين بالمفهوم الحديث[1]، وهو حلٌّ استباقي، أو هو تكتيك استراتيجي واضح، وهو ما

---

(1) وقد استمر هذا الحل التوافقي أوالمرحلي، بتولي القضاة ورجال الدين والرجال المحافظين لهذا القطاع، ونتذكر الآن الموقف الشديد الذي أبداه التيار الديني إبان قرار ضم تعليم البنات إلى وزارة التربية والتعليم (أي خروج هذه المدارس من الإشراف الديني المتعارف عليه)، وهي فتنة واضحة الملامح، خاصة لمن تابع أحداثها، وقارب الخطاب الدعوي الذي رافقها، إذ يشير وزير التربية والتعليم السابق الدكتور محمد الرشيد أنه أكَّد مراراً أنه لا اختلاط بين الطلاب والطالبات، وأنّ الدمج إداري فقط، وكان من أطرف مسوغات الدمج أنَّ تاريخ ولادة أحد الملوك كان يرِد بتاريخين مختلفين في مناهج الطلاب والطالبات، ومع ذلك تعرَّضتُ. كما يقول الرشيد. لمحنة شديدة، واتهمتُ بأنني غررت بالحاكم ليكون هذا الدمج، وأنني ممن لاتبرأ بهم الذمة (قناة العربية برنامج إضاءات بتاريخ25/ 8/ 1428هـ، مسيرتي مع الحياة: 444، 447)، ولاشك أنها إشكالية تجد لها جذوراً في قضيتنا محل الدراسة الآن؛ بل إنها ناتج طبيعي ومباشر لتلك المرحلة، إذ يُصرح مفتي البلاد السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم بقوله : تعرفون أن هذه جهة - أعني تعليم البنات - متعين اتحاد مرجعها وتفرد مغزانا نحن والمشائخ (فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ص 213، جمع محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة، 1399هـ)، ويقول الشيخ العودة تعليقاً على حريق مدرسة البنات في مكة، والذي على إثره تمّ الدمج : وما نجح تعليم المرأة إلا لهذا، فلم يكن الناس ليسلموا فلذات أكبادهم وزهرات حياتهم إلا لمن وثقوا بعلمه ودينه وتقواه (http://www.islamtoday.net/pen/show_articles_content.cfm?id=64&catid=38&artid=734)، ويقول وزير التربية والتعليم السابق د.محمد الرشيد: استمر القائمون على تعليم البنات من أصحاب الفضيلة والقضاة والفقهاء، وظن الناس أنه لابد أن يكون عليه أحدهم، ففاجأهم أن يُسند إلى شخص ليس متخصصاً في العلوم الشرعية (قناة العربية برنامج إضاءات بتاريخ25/ 8/ 1428هـ)، وهي مواقف ما زالت غائمة في الاستجابة الشعبية، ولذا فإنها تطرح سؤالاً حول صحة محاكمة الموقف السياسي إلى الرؤية الأخلاقية أوالدينية، وهل يصح منطقياً أن تُحاكَم لحظاتنا المعاصرة إلى آفاق المواقف السياسية الماضية، مع وعينا بتبدّل الرؤية والموقف من الحياة والأشخاص، ويبقى التنبّه إلى خطورة استعادة الأمر بوصفه عقداً بين طرفين، واشتراطاً من أحدهما على الآخر، إذ لايشترِط إلا الأقوى والأقدر، وعلى غيره أن يخضع لهذا الشرط، وهو موقف. مهما أيقنّا بدقته أوعدمها. يحمل خطورته في رحمه، إذ سيكون السؤال على المطالِبين به ثقيلاً، ويتصل بماهية الموقف الذي سيتخذونه إن آمنوا بفكرة الشرط، وما يستتبع ذلك؟ وقد غاب عنهم أنَّ من سياسات الملك والحكمة التوافقية المرحلية والتنزُّل مع الخصم إلى ما لا يضرّ في أبهة الملك، وأنَّ مشاريع الإصلاح الكبرى. كالتعليم. ستواجه بداياتها، ويدرك القائمون عليها أهمية الانحناء للعاصفة ريثما تمرُّ، وقد يطلقون أو يكتبون عبارات في سبيل ذلك لضبط الأفق التاريخي والمهاد الثقافي للقضية.

استخدمه المؤيدون . كما سيأتي .، وقد ظهر التوجه الديني الحذر على لسان الرئيس العام السابق لمدارس البنات، وذلك في تسمية المدارس بـ«المدارس الدينية، والسير بها في طريق ممهد ومحفوظ عن جميع المخاطر والمزالق التي وقعت فيها بعض البلدان العربية، وإن الطالبة في هذه المدارس التي يُشرف عليها المفتي الأكبر أضمن لسلامتها منها لو بقيت في بيت أهلها تتقاذفها الأفكار السوداء[1]»، ويؤكد عبدالله العقل في كلمة المدارس التي ألقيت أمام الملك بقوله: أنتم تفتحون «مدارس النور والمعرفة، لتتربى فيها الفتاة تربية صالحة، فتعرف كيف تعبد ربها على هدى وبصيرة، وتعرف كيف تدلل زوجها، فتكون له سكناً من الوحشة وملاذاً من الوحدة، ودافعاً له لأن ينتج ويبدع، وتعرف كيف تكون مدرسة لبنيها تزرع في نفوسهم بذور الحب[2]»، وهو تأصيل للمدارس بصفتها الدينية والأخلاقية.

وأمّا حضور الحس الشرعي عند المؤيدين، فقد تجلّت عند أغلبهم نبرة الدليل الشرعي، والاعتماد عليه لتسويغ المطالبة، فتواتروا على الإشارة إلى إسناد الإشراف على المدارس إلى رجل شرعي، واتخذوا ذلك مسوغاً يجب أن تتهاوى معه كل المحاذير والمخاوف، فقد «أسندت هذه المديرية إلى فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن ناصر بن رشيد[3]، وهو من علمائنا الأفاضل المشهورين بالعفة والنزاهة التي نؤمل أن تساندها الخبرة والدقة والسرعة التي يتطلبها هذا الأمر[4]»، والتعليم كله يجري «تحت إشراف من عرفوا بالتقى والأمانة والصدق

---

(1) العدد 73، الموافق 24/ 11/ 1380هـ، (أخبار الأسبوع)، ص 2.

(2) المرجع السابق.

(3) يترجم الشيخ عبدالله البسام للشيخ عبدالعزيز بن ناصر بن رشيد بأنه من مواليد الرس لعام 1333هـ، وطلب العلم على الشيخ محمد بن إبراهيم وعبداللطيف بن إبراهيم، ووعظ ودرس في المسجد الحرام، وعهد إليه القيام بهيئة الأمر بالمعروف، ودرس في المعهد العلمي السعودي بمكة، وأصبح عضوا في هيئة تمييز الأحكام الشرعية، وتولى القضاء في بلجرشي وتربة، وأصبح عضوا دار الإفتاء، كما أنه أسّس . بعبارة الشيخ البسام . مدارس البنات وعين رئيساً لها، وهو من ذوي الاطلاع الواسع في العلوم الشرعية، ومن مؤلفاته كتاب عدة الباحث في أحكام التوارث وكتاب التنبيهات السنية في شرح العقيدة الواسطية وكتاب إفادة السائل إلى أهم الفتاوى والمسائل، وقد توفي عام 1408هـ (علماء نجد في ثمانية قرون: 3/ 531).

(4) العدد 26، الموافق 6/ 12/ 1379هـ، (تعليم البنت)، ص 1.

والإخلاص مما لا يدع مجالاً للشك والتخوف[1]»، وأحسب أنَّ هذا الخطاب إنما يتجه إلى عامة الناس ليقنعهم بسلامة المنهج التعليمي، أما الممانعون فإنهم اتخذوا مواقفهم المبكرة في هذا الشأن، ثمّ عززوها بعد السنة الأولى من التجربة.

واللافت أنَّ هذا الحل الاستباقي الذي يُشهره علماء الدين لتأكيد إسناد تعليم البنات إليهم إشرافاً ورعاية، وأن بدايته منوطة بموافقتهم، هو حلٌّ واجه النقد الشديد من قبل بعض الممانعين منذ السنة الأولى، فمع أنه قرار من ولي الأمر، إلا أنَّ استقبال العلماء له كان متفاوتاً، إذ يقول أحد كبار العلماء معلّقاً على تعيين عالم شرعي في رئاسة المدارس بأنهم «جعلوها منوطة بالمشائخ، وقد عينوا برياستها شيخاً منهم، مؤملين فيه السير بمدارس البنات على الهدف المنشود، ولكن يا للأسف[2]»، ولا شك أن عبارة (شيخ منهم) هي العبارة النجدية التي تومئ إلى استهجان هذا التعيين، والسخرية منه، وهو نصٌّ يكشف عن عدم موافقة طائفة من المشائخ على هذا النمط من التعليم، وأنهم لايجدون في الشيخ المعيّن من قبل الدولة مثالاً يتفقون عليه، وإنما هو وسيلة لتسويغ المدارس وتسويقها، بدليل أن السَنَة الأولى كشفت عن تبدّل الحال وسوء الأمر. كما هي عبارة هذا الشيخ في توصيف الواقعة، وسيأتي تفصيل الأسباب.، واللافت هنا أن الشيخ محمد بن إبراهيم ينص صراحة في إحدى فتاواه بقوله: من محمد بن إبراهيم إلى حضرة فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن الشيخ عبدالله بن حسن وزير المعارف السلام عليكم ورحمة الله وبعد: فضيلتك يعرف أصل ما أذن فيه من تعليم البنات في المملكة واختيار الشيخ عبدالعزيز بن رشيد لرئاستها أن ذلك من قبلنا، وعن علم واتفاق من المشائخ معنا، وذلك على أسس موجودة ومعلومة معروفة، مغزاها

---

(1) العدد 50، الموافق 3/ 6/ 1380هـ، (حول مدارس البنات)، سليمان الماضي، ص 11.

(2) الدرر السنية، 16/ 79، ولعلنا من خلال هذه الرؤية نستطيع أن نفهم موقف هذا الشيخ الفاضل من مدارس الشيخ عبدالله القرعاوي للبنات في الجنوب؛ إذ أثنى ودافع عن أهميتها وضرورتها (اليمامة العدد 88، الموافق 23/ 12/ 1376هـ،مدارس البنات)، وإذا كان الشيء بالشيء يذكر، فإن أحد الدارسين يشير إلى أن المعلمة الفاضلة التي افتتحت مدرسة بجهودها الوحيدة للبنات المسلمات في العراق في 1918م أثير حولها كثير من الأباطيل والضلالات (تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني: 166).

الحيطة على البنات وأن لا يتسرب إليهن من الفساد وأسبابه ما تسرب إلى البلاد الأخرى[1].

* * *

وتفاوتت مسوغات المطالبين بتعليم البنات، ومنها: الحديث عن الزواج، وأنَّ عماد قيامه واستمراره هو تعلم الزوجة، ولذا وجب تعليم البنات، و«إنَّ عدم الرؤية وعدم التعليم هما سبب كثرة الكوارث في مجتمعنا، فكثرة الطلاق وكثرة الخلافات في الأسرة الواحدة وكثرة العوانس، ما هي إلا غراس جهلنا بحق المرأة في الحياة... نريد منها أن تتعلم فنون الطهي والفنون المنزلية الأخرى، نريد منها أن تقرأ وتكتب وتشارك في الآراء والأفكار[2]»، وقد تناسلت هذه الأفكار وتكاثرت حتى وجدنا عثمان شوقي يشير إلى كثرة المقالات في هذا الصدد، ووجهات النظر، وأنه قد «ذهب بعض الأدباء والكتاب إلى أنَّ زواج كثير من الشباب السعودي من غير السعوديات، كان عامله الأول: جهل المرأة السعودية[3]»، وهو توظيف للشأن الاجتماعي في نقض الشأن الاجتماعي، أو هو حرب الاجتماعي بالاجتماعي، فما دام مؤيدو تعليم البنات ينقضون القول بأنّ رفض تعليم البنات هو رفض شرعي، فيؤكدون بأنه خضوع للعرف وللفهم الاجتماعي، ولذا ينتقلون إلى الحجاج في الفهم الاجتماعي، فحياة المجتمع قائمة على الزواج والتكاثر، كما قاموا بتوظيف هذا المؤثر الكبير في حياة المجتمع، وليشيروا إلى أنّ عدم تعليم البنات هو سبب العنوسة، وكذلك نجد العناية بهدف تعليم البنات عند المؤيدين، وأنه يتم «بتعليمها أمر دينها ودنياها، وتثقيفها الثقافة الإسلامية الصحيحة[4]»، و«مبادئ الإسلام الحنيف[5]».

وقد تناغمت المرأة مع ذلك كله، فوجدنا تأكيد النساء بالقول: «نحن وإنْ لم نُرد اليوم أن نكنَّ فارسات كضباط وجنود في الجيش، ولامهندسات

---

(1) برقم وعنوان : (4571- يختبرهن إناث ولا يختلطن مع الذكور).

(2) العدد 5، الموافق 29/ 6/ 1379هـ، (حديث الثلاثاء)، علي المسلم، ص 1.

(3) العدد 35، الموافق 16/ 2/ 1380هـ، (فلنحيي ميلاد مدارس البنات)، عثمان شوقي، ص 13.

(4) العدد 57، الموافق 23/ 7/ 1380هـ، (أنقذوهن من وهدة الجهل)، عبدالعزيز التويجري، ص 1.

(5) العدد 5، الموافق 29/ 6/ 1379هـ، (حديث الثلاثاء)، علي المسلم، ص 1.

ومخترعات، إلا أننا نريد فقط أن نتعلم لنعرف أمور ديننا ودنيانا . نريد أن نتعلم لنكن زوجات صالحات رشيدات، وأمهات حكيمات، لنخرج جيلاً قوياً في روحه بفضل تربيتنا المثلى له[1]»، وهو ما يؤكد عليه آخرون، ويجعلون منه نتيجة منطقية لذلك، «فإذا كانت الأم متعلمة، عرفت كيف تقوم بتوجيه أبنائها، وترشدهم إلى الوجهة الصحيحة[2]»، وهو استمرار لمحاججة الاجتماعي بالاجتماعي، فإذا كان الزواج هو العتبة الأولى؛ فإن ما يرشح منه، وهم الأولاد، يشكّلون العتبة الثانية، فمن يُربي أولادنا إلا الأمهات المتعلمات؟!

ولم تنفصل هذه الاستشهادات والمسوغات عن إشهار ضرورات الوطنية[3]، وحاجة العصر، وقواعد الاجتماع والعمران[4]، وأنها تقتضي تعليم المرأة وتثقيفها.

وهي رؤى تكشف عن حضور الرؤية الدينية والاجتماعية والتربوية في سياقات المطالبين والممانعين، ولم يكن المطالبون بأقلَّ من غيرهم، وإنّ كانت تفهم بعض مقولاتهم بصفة تسويغ مشروعهم وتأصيله ـ كما يقال ـ، فالأستاذ عبدالرحمن السدحان بعد أن يُحذر من عواقب التأخر في تعليم البنات، ويطالب بتسريع هذا المشروع الحضاري، يقول: «إننا لانريد منها أن تتبوأ المراكز أو تشغل المناصب، فليس هذا الميدان ميدانها، وإنما ميدانها الحقيقي هو البيت»، ويؤكد في المقال نفسه على هذه الرؤية فيقول: «إنْ كان تعليمها سيتخذ وجهة غير هذه الوجهة ومبادئ غير هذه المبادئ فلا حاجة لنا به وما أغنانا عنه. إننا لانريد أن تمثل فتاتنا نفس الدور الذي سبقتها إليه أختها العربية في الأقطار الأخرى، لانريد أن تخوض التجربة ذاتها، تلك التجربة التي جردتها عن دينها وعن مبادئها[5]»، فالحذر من المستقبل الذي قد يجرُّه مشروع التعليم موجود عند طائفة من المؤيدين، وليس منحصراً عند الممانعين، ولكنه حذرٌ لم يمنعهم من

---

(1) العدد 22، الموافق 7/ 11/ 1379هـ، (حديث المرأة)، حصة الدبيخي وأخريات، ص 5.

(2) العدد 49، الموافق 26/ 5/ 1380هـ، (تعليم البنت ضرورة اجتماعية)، أبوخالد، ص 3.

(3) العدد 57، الموافق 23/ 7/ 1380هـ، (أنقذوهن من وهدة الجهل)، عبدالعزيز التويجري، ص 9.

(4) العدد 35، الموافق 16/ 2/ 1380هـ، (فلنحيي ميلاد مدارس البنات)، عثمان شوقي، ص 13.

(5) اليمامة العدد 233، الموافق 7/ 2/ 1380هـ، (تعليم البنت ضرورة ولكن)، عبدالرحمن السدحان.

المطالبة، وأن يؤكدوا على أنَّ تعليم البنت ضرورة قصوى، مع أهمية وضع الضوابط لذلك.

وقد وجدت خيطاً من المؤيدين غالى في مطالبته بصفة الإسلامية في تعليم البنات، حتى صرتَ تشكُّ في انتمائه إلى فريق المؤيدين وفق توصيفهم السابق، وجاء رأيه تعليقاً على تعليم البنات بشكل عام، وليس خاصاً بمعركتها في بريدة، وتبدأ صراحته من عنوانه، وفيه (لنثقف الفتاة دينياً أو تبقى في البيت)، ويطالب كاتبه عبدالسلام هاشم حافظ بأن نُعلم «الفتاة ونثقفها الثقافة العالية عن طريق العلوم الدينية؛ ثقافة تشد من مداركها ... إن هذا لايتحقق إلا بالتهذيب الديني المتكامل، أي أن يكون تعليم المرأة دينياً لاعقلياً. نؤيد هذا، ونحن نلقي نظرة واسعة على ما أصابته المرأة من تعاليم فجة، وانطلاقات إباحية في البلدان الأخرى[1]»، ولاشك أنَّ المصير المنحرف أخلاقياً، أو الحذر من المصير المخالف للسائد في بعض البلدان إبان ذلك الوقت هو أمر مفهوم ومتوقع، ولكنَّ سلب صفة العقل من تعليم المرأة، والمطالبة بتعليمها دينياً فحسب، هو أمر يشير إلى وجود التناقض ما بين الدين والعقل بشكل عام، أو أنه يريد من تعليم البنات صناعة ملكة الحفظ والتلقين والاستجابة، وقتل ملكة الطموح والعقل والتأمل، وقد يكون هذا ناتجاً من رغبة الرجل بامتلاك المرأة، لأنَّ بوابة المرأة إلى الاستقلال الإيجابي هو أن تستعيد عقلها من مصادرة الآخر، وحينذاك يكون في

---

(1) العدد 9، الموافق 27/ 7/ 1379هـ، ص 9، ولعل مما يتداخل مع هذا السياق الذي يؤكد على التعليم ويربطه بالمنزل وعدد من الأطر، ما نقله الشيخ صالح البليهي في كتابه (يا فتاة الإسلام اقرأي حتى لا تُخدعي ص175.174) من قول مي زيادة: يصيحون علموا المرأة لتستنير، وأنا أقول: علموا المرأة ليكون لها شرف الرجوع إلى داخل المنزل، ثم يعلق الشيخ البليهي بقوله: "أجادت وأفادت، والحق مقبول ممن قال به، وهذه الكلمة نشرت في أحد أعداد المجلة المعروفة بسيدته، وسيدته مجلة خبيثة"، ولايخفى ما في هذه الإحالات الفكرية التي حملها خطاب الشيخ رحمه الله من معاني، ولعل كلمة عبدالسلام حافظ تذكر بما ينقله تقي الدين الهلالي من أن المذهب الأول من مذاهب العلماء في تعليم المرأة هو الذي يرى عدم تعليمهن أكثر من قراءة المصحف بدون فهم" ينظر: رسالة في تعليم البنات وتربيتهن للهلالي (http://www.al-sunna.net/articles.php?ID=506&IDS=506&do=view&cat=95)، واللافت هنا هو التنصيص على أن تعليم القرآن الكريم يتم عند أصحاب هذا القول دون فهم ووعي بمعانيه، وتلك مغبة الغلو، إذ فيه مخالفة لصريح قول الله: ﴿ أفلا يتدبرون القرآن﴾.

وسعها أن تستعيد بقية كيانها، لذلك أجد أنَّ رؤية هذا الكاتب لاتختلف من حيث النوع عن رؤية الممانعين، وإنما تختلف من حيث الدرجة فقط، فهذه المقولة تقع بالضد من مقولة المطالبين بتعليم المرأة، لأنهم يؤكدون على أن الممانعين حين حرموا فتاة بريدة من حقها في التعليم فإنهم سلبوها «حقها في الحياة[1]»، وهو يعادل «القضاء على روحها[2]»، وهو استعمار مقنع[3]، وحاصروها في أن تبقى «آلةً لإنتاج الأطفال[4]»، واللافت أنَّ هذه الرؤية لاتأتي من مدينة من مدن نجد التي توصف بالمغلقة، وإنما هي رؤية مولودة في الحجاز، وهي المنطقة الأسبق في تعليم البنات، والأكثر انفتاحاً على الآخر والوافد الحضاري؛ بل إنها المنطقة التي تنفتح على الدنيا كلها لظروف العمرة والحج، وهو ما يؤكد أنَّ هذا الموقف ثقافي رؤيوي، وليس مناطقياً صرفاً، فهو ناتج ثقافي لاجغرافي.

و قد نُشر هذا المقال في صحيفة قريش، وأُعيد نشره في القصيم، ولاشك أنَّ فكرته صادمة، وخاصة عنوانه، وبعض مفرداته، ولذا فقد كان ردُّ سعود الضويحي في صحيفة اليمامة عنيفاً على المقال في نشره الأول في قريش، ومما قال: «إن هذا المقال دعوة صريحة إلى عدم تعليم المرأة، وبقائها في البيت، وقفل المدارس المفتوحة حالياً، متحدياً بذلك قرار جلالة الملك المعظم... لانريد خطيبات مساجد أوقاضيات محاكم، وإنما نريد مربيات متخصصات في علم النفس وإدارة المنزل؛ ليُنشئن جيلاً قوياً[5]»، ثم يطلب الضويحي من عبدالسلام حافظ أنْ يرد ليكون بحث المسائل والقضايا أعمق وأكثر تفصيلاً، مع أنه في ردِّه هذا قد ألمَّ بأغلب القضايا المطروحة إبَّان ذلك، ولذلك فلم يُصنّف مقال عبدالسلام حافظ ضمن المؤيدين عندهم، مع أنه طالب بالتعليم، وذلك لأنه خصصه بالتعليم الديني، وأكّد على رفض التعليم العقلي، واللافت هنا أنَّ الضويحي حاول أن يكشف في ردّه أن مقال حافظ يخلُص إلى تحدي قرار جلالة

---

(1) العدد 90، الموافق 2/ 4/ 1381هـ، (فتاة بريدة)، صالح العبدالعزيز، ص 3.

(2) العدد 49، الموافق 26/ 5/ 1380هـ، (تعليم البنت ضرورة اجتماعية)، أبوخالد، ص 3.

(3) اليمامة، العدد 236، الموافق 28/ 2/ 1380هـ، (لاتئدوا بناتنا في المهد)، محمد الفاتح.

(4) العدد 107، الموافق 3/ 8/ 1381هـ، (لاتمنعوا العلم عن فتياتكم)، سارة بوحيمد، ص 7.

(5) اليمامة العدد 220، الموافق 29/ 10/ 1379هـ، (لانريدهن خطيبات مساجد ولكن مربيات)، سعود الضويحي، ص 10.

الملك، ويؤكد أنهم لايريدون إنتاج المتخصصات الشرعيات، وإنما يريدون متخصصات في الشؤون الأخرى التي بها يتكاملن مع أطياف المجتمع، ويجب هنا أن نعي أن هذه الفكرة تعد قضية لاتخصُّ المملكة العربية السعودية، وإنما لها نماذجها الأخرى، ولذا نجد في الأردن ـ مثلاً ـ التأكيد من قبل عدد من المختصين على «أن التعليم الفرضي أو الإلزامي في الإسلام ليس تعليما دينياً بالمفهوم الضيق كما يحلو للبعض أن يظن، بل تعليم متكامل متناسق[1]»، وهذا تأكيد على اتصال هذه الرؤية بالمنهج الذي تتبناه بعض الرؤى بعيداً عن إطارها الجغرافي.

ولابد في حديث كهذا أن نختم تحليل الاتهامات المتبادلة بين الطرفين، بالإشارة إلى أن فضيلة الشيخ عبدالله بن حميد حين دافع عن مدارس البنات التي أنشأها الشيخ عبدالله القرعاوي لم ينفصل عن حسّ الخصومة في هذه المسألة، ولم تغب مسائل الاستقطاب الحركي عن خطابه، فقال: «وقد حاول بعض المغرضين أن يُثيروا شكوكاً حول تعليمه البنات وفتحه المدارس لهن، وانتقده كثير من الناس، وقد فات هؤلاء المنتقدين أن الغرض الأسمى للشيخ القرعاوي هو تعليم البنات أمور دينهن وتوجيههن التوجيه الإسلامي ليعشن سعيدات بأخلاقهن وآدابهن مع التحفظ في الحجاب الذي يلزم به من هي في سن السابعة من عمرها[2]»، وهو دفاعٌ يدل على قدم المجاذبة بين الفرقاء، واعتبار المرأة وتعليمها مجالاً لذلك، كما يكشف عن مزايدة قديمة حول هذه المدارس مهما كان موقعها وشأن القائم بها.

---

(1) نحو صياغة إسلامية لمناهج التربية: 39، د.إسحاق فرحان وآخرون، جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية، ط2، 1400هـ.

(2) اليمامة، العدد 88، الموافق 23/12/1376هـ، (مدارس البنات)، ص 4.

العقل ومنطق الحجاج..

تكونت في مناهج المتداخلين مع فتنة القول بتعليم البنات عددٌ من اتجاهات الجدل والحجاج في سبيل تأصيل الرؤية، ودفع أقوال الآخر، وهذا هو ما يمكن أن نجده قد أخذ طريقين؛ أول باتجاه المسؤولين، وثان باتجاه الممانعين، وهو الأكبر.

فأما الذي يتجه إلى المسؤولين، فدعوة الجهات المسؤولة أن «تُحكّم العقل، والمنطق السليم، وتعمل في المصلحة والواجب الديني والوطني تجاه مدرسة بريدة التي وُقف في طريق إيجادها[1]»، وهو خطاب منطقي يأخذ في مناقشة المسائل النسبية، ويقوم على رفع لواء الأكثرية، وحقوق المرأة في التعليم، ويطالب بمساواتها بصفة المواطنة مع الذكور، «فهل يصحُّ وهل من الممكن أن يُحرم قسم كبير من الشعب تمثّله الفتاة يُحرم من حقه في التمتع بهذه الخطوة الكبرى، وحقه في التعليم أسوة بأخواتها في المدن الأخرى[2]»، وهو إشهار لوسيلة الديمقراطية في النظر إلى مطالب فئات الشعب، وأنَّ مدينة بريدة كغيرها من المدن، ومن هنا فقد تعددت المطالبات للمسؤولين «باسم المجموعة الكبرى من المواطنين، وباسم المساواة بين الفتيات، أن تنظر بعين الرأفة والاعتبار إلى هذا العدد الضخم من فتيات القصيم اللاتي ينظرن بأعين مغرورقة بالدموع، وقلوب ملؤها الأسى، ومشاعر فائضة بالحسرة لواقعهن المرير ومستقبلهن الكدر، الذي ترك التحكم فيه لأشخاص يسعون إلى إشباع آرائهم، مهما كانت أهدافها، وإن لنا في ولاة أمورنا وطيد الأمل[3]»، وهي رؤى تقدم مطالبها من خلال

---

(1) العدد 93، الموافق 23/ 4/ 1381هـ، (فتاة بريدة تناشد المسؤولين)، غانم الغانم، ص 3.

(2) العدد 90، الموافق 2/ 4/ 1381هـ، (فتاة بريدة ألايؤذن لها بعد أن تتعلم)، صالح العبدالعزيز، ص 3.

(3) العدد 93، الموافق 23/ 4/ 1381هـ، (فتاة بريدة تناشد المسؤولين)، غانم الغانم، ص 3.

الأسلوب العاطفي، وتُسقط آمالها على ولاة الأمر، وتستصحب الخوف على المستقبل الحضاري، فلا «يغيب عن بال كل مصلح أن هذا معناه تأخيرنا لسنين تطول وقد تقصر في عداد الزمن[1]»، ومن هنا تتأكد مطالبة ولاة الأمور بالتدخل لحل هذه الإشكالية، وهم المناط بهم هذا الأمر.

وحين جمدت المدرسة نافح المؤيدون، وقالوا: إن ولاة الأمور «وجدوا من الصالح . ولا أدري لمن ؟ . أن تُجمد مدرسة فتياتكم[2]»، وهو ضغط قوي تجاه المسؤولين رغبة في تحديد الصالح، وضرب على وتر التحديد الدقيق للمصطلحات، فما الصالح الذي من أجله جمّد ولاة الأمر افتتاح المدارس؟ ولاشك أنَّ هذا الأسلوب الحجاجي يكشف عن توتر في الخطاب، وعن حماسة مرتفعة في سبيل المطالبة والتأييد لافتتاح مدارس البنات، وإنْ كان يُخفي في داخله نوعاً من عدم الوعي بمقاصد ولاة الأمر، والحرج الذي يجدونه في مكابدة هذا الموضوع، أو أنه أسلوب يستخدمه المؤيدون للضغط في هذا الاتجاه مهما كانت الآراء ووجهات النظر، ويجتهد في تحقيق مطالبه من خلال كشف الواقع كما هو.

وأما المنطق الذي اشتغل بالرد على الممانعين، فقد أخذ وسيلتين، أولى بالرد على أسبابهم، وثانية بتوصيفها.

فأما الرد على أسبابهم واستخدام منطق الحجاج في سبيل ذلك، فقد تجلَّى سقفه في مساءلة قناعة الرجل بذاته وموقفه ومنهجه، فلماذا لم نُقنع أنفسنا بضرورة تعليم المرأة؟ «إنّ مركب النقص فينا معشر الرجال ليس في المرأة، وعقدة الخوف التي تحكمت فينا حتى منعنا المرأة من التعليم، ما هي إلا نسخة لعدم ثقتنا بأنفسنا . أولاً .، فلو وثقنا بإراداتنا، وعرفنا أنها تسوس المرأة سياسة صحيحة لما شححنا عليها بالمعرفة التي أُمرنا بها جميعاً[3]»، فهنا نجد إيقاظ الرجولة في الرجل ليدافع عن حق المرأة بالتعليم، وكأنَّ الواجب يقتضي الوعي بأنَّ رجولة الرجل وثقته بنفسه تمنعه من الخوف من تعليم المرأة، وهو اتجاه يدلُّ

---

(1) العدد 90، الموافق 2/4/1381هـ، (فتاة بريدة)، صالح العبدالعزيز، ص 3.

(2) العدد 57، الموافق 23/7/1380هـ، (أنقذوهن من وهدة الجهل)، عبدالعزيز التويجري، ص 9.

(3) العدد 5، الموافق23/7/1380هـ، (حديث الثلاثاء)، عبدالعزيز التويجري، ص 1.

على محاولة التمثل الثقافي الرشيد للموقف من المرأة، إذ يقوم بإعادة إنتاج العلاقة من وجهة نظر ثقافية، حيث تصبح العلاقة مع المرأة دليلاً ومعياراً على وعي الرجل نفسه، وكلما ارتقى الرجل في مستوى النبل والثقة، فإنه يعطي المرأة حقَّها الشرعي والحياتي الأكمل، ولعل في طبيعة التوصيف النبوي الكريم للمرأة ومنهجها في فهم الأشياء وحيز التعامل المتاح معها ما يومئ إلى شيء من هذا، ولذلك وصف المؤيدون آراء الممانعين ومسوغاتهم، بأنها الحكايات[1]، وأنها «الأساطير التي تعجب لها العقول المستنيرة، وتهريج وحكايات شبيهة بقصص ألف ليلة وليلة[2]»، وكان هناك مطالبة بالنهوض بشطري الأمة[3]، وألا يبقى نصف الأمة مشلولاً[4]، وأن نُعنى بتعليم نصف المجتمع[5]، وهي آراء صريحة في نقد الوضع الاجتماعي القائم آنذاك، وتعكس حرية إعلامية واسعة الأفق، لاتتكرر في كل حين.

ومن نماذج الحجاج الذي يدخل في أعمق القضايا مساءلة الثمرة التي يتخوف منها الممانعون، فالتعليم حرام عندهم: «بحجة أن الفتاة إذا تعلمت استطاعت أن تكتب، وإذا كتبت بعثت بالرسائل الغرامية إلى منْ تُحب[6]»، ولاشك أننا نعي بأن جِدَّة الحدث وقيمة المرأة وما وقع ويقع في البلدان العربية هي أسباب حاضرة في أذهان طائفة من الممانعين، وهي على مستوى التنظير أسبابٌ مشروعة ومؤدية للممانعة أوللقلق، ولكنَّ المؤيدين يطرحون حجتهم بصورة أخرى، فـ«هل ينتظر من فتاة محجبة ـ تمشياً مع مبادئ الإسلام الحنيف ـ أن تُطالب بمركز الرجل، وأن تحمل المقامات العالية بدلاً منه[7]»، فهم يطرحون التعليم بوصفه وسيلة للتمسك والمحافظة، وكأنهم يقومون بقلب معادلة الممانعين الذي يجدون في التعليم إلغاء للدين، ويريد المؤيدون أن يجعلوا من التدين

---

(1) العدد 57، الموافق 23/ 2/ 1380هـ، (كلمة وكليمة)، ضحيان العبدالعزيز، ص 1.

(2) العدد 57، الموافق 23/ 7/ 1380هـ، (أنقذوهن من وهدة الجهل)، عبدالعزيز التويجري، ص 1.

(3) العدد 26 الموافق 6/ 12/ 1379هـ، (كلمة القصيم تعليم البنت)، ص 1.

(4) العدد 5، الموافق 29/ 6/ 1379هـ، (حديث الثلاثاء)، ص 1.

(5) العدد 51، الموافق 10/ 6/ 1380هـ، (كلمة وكليمة)، ضحيان العبدالعزيز، ص 1.

(6) المسيرة التعليمية: 38.

(7) العدد 5، الموافق 29/ 6/ 1379هـ، (حديث الثلاثاء)، علي المسلم، ص 1.

وسيلة للمحافظة، أو أنهم يفرقون بين العلم الذي يُنادون به، والعلم الذي يتخوف منه الممانعون، فأصبحت نقطة الالتقاء بينهم هي الدين، ولكنها نقطة تنبع من طرفين، طرف يخاف من زواله، وآخر يهدف إلى تمكينه، أو أنه لايجد ما يؤثر في تمكينه.

وفي هذا السياق يأتي الأستاذ عبدالله العقل في كلمته أمام الملك ليكون أكثر عمقاً، وضرباً على وتيرة العقلانية في فهم الأمور والاسترشاد بها، فبعد أمر الملك بافتتاح المدارس ورعايته لها، وإشراف المفتي الأكبر، تُصبح الأخلاق والتقاليد في منَعَة من أن تُهزم، «وكان هذا هو المنطق في إقناع المتخوفين من تعليم البنت خشية أن تزل بها القدم، فتخلع الحجاب، وتخرج من بيتها لتزاحم الرجال في مجالات العمل، وما علموا ـ رحمهم الله ـ أن هذا ليس ذنب العلم، ولكنه ذنب البيئة والاجتماع، وحاشا أن يكون مجتمعنا الصالح وشعبنا المحافظ مدعاة لذلك[1]»، وهو نص منطقي من الدرجة الأولى، ومن يتأمل الخطاب يجد أنه لم يُكتب ليصل إلى الملك فقط، وإنما كُتب ليكون رسالة الملك إلى أولئك الممانعين، وهي رؤية تنفي أن يكون في العلم دعوة إلى ما يخالف الدين والأخلاق والتقاليد، وما يثبت فمردُّه إلى البيئة وليس إلى العلم، وكأنه خضوع من الممانعين لنظرية بافلوف، فهم شاهدوا العملية التعليمية للمرأة في البلدان المجاورة، وعلموا بوجود نماذج من التبدّل الأخلاقي والقيمي، فحكموا بأنَّ التعليم شرطٌ وبوابة وإذْنٌ مباشر لكل هذه المخرجات، فأرادوا «صدَّ الشر[2]»،

---

(1) العدد 73، الموافق 24/ 11/ 1380هـ، (أخبار الأسبوع)، ص 2، وهي فكرة تذكرنا بفكرة الشيخ تقي الدين الهلالي حين قال: "والحاصل أن تعلم الكتابة والقراءة لا يصير المرأة فاسدة ولا صالحة وحده، فإن كانت صالحة فإن تعلمها الكتابة والقراءة يزيدها صلاحا، وإن كانت تربيتها فاسدة فبتعلمها تزداد فسادا؛ لأن العلم بالقراءة والكتابة آلة صالحة للاستعمال في الخير والشر معا" ينظر: رسالة في تعليم البنات وتربيتهن لتقي الدين الهلالي http://www.al-sunna.net/articles.php?ID=506&IDS=506&do=view&cat=95
ويشير الشيخ محمد بن مانع إلى الفساد ليس من تعلم الكتابة، وإنما من الجهل وسوء التربية والإهمال ومخالطة الرجال (عقود الجمان في جواز تعليم الكتابة للنسوان: 55، شمس الحق العظيم آبادي، مراجعة وتصحيح محمد بن مانع، المكتب الإسلامي ـ دمشق، ط1، 1381هـ).

(2) العدد 90، الموافق 2/ 4/ 1381هـ، (فتاة بريدة ألا يؤذن لها بعد أن تتعلم؟)، صالح العبدالعزيز، ص 3.

ودفعهم لذلك «الخوف على العقائد[1]»، وغاب عنهم وجود عامل آخر في هذه المعادلة، يُشكل الدافع الرئيس، وهو ما يسميه الأستاذ عبدالله العقل بالبيئة والاجتماع، وأنَّ التربية والتحصين هما وسيلة المحافظة، ويستثمر الأستاذ أحمد محمد جمال هذه الفكرة ليردَّ بها على الذين يجدون الجهل للمرأة خيراً من العلم، بأنَّ عدم انتفاع بعض الفتيات المتعلمات بعلمهن، وانصرافهن عن الزوج والبيت والأولاد، «كل ذلك ليس مرجعه إلى العلم، وإنما مردُّه إلى الأفكار والنظريات المطروحة في المجتمع[2]»، فهو ناتج تربوي لاعلمي، وخطأ الدارسين والمسؤولين والآباء كبير جداً حين يعتقدون أن العلم بذاته يحمل السوء والفساد.

وأجدُ أنَّ كلمة الأستاذ عبدالله العقل السابق تشير إلى رأي أحد العلماء الكبار الذي رفضوا تعليم البنات بصيغته التي أقرَّت، وهاجموا المدارس، وزادت ممانعتهم بعد مضي سنة بسبب ملحوظاتهم الخاصة عليها، وكان يقول إن تمزيق الحجاب وكشف الساق والفخذ والرأس وفتح بيوت البغاء والسينما والرقص والخلاعة هو ناتج هذا التعليم المزعوم، ويقوم بالتعليق على تصريح الرئيس العام لمدارس البنات حول مناهج المدارس وأستاذاتها، فيقول: «إن هذا التعليم سبب لتمرد المرأة وخروجها عن تعاليم دينها، وآداب شرعها[3]»، فجاءت كلمة الأستاذ العقل لتفصل بين العلم والتربية.

وإلى شيء قريب من هذا أجد محاكمة الشيخ عطية سالم لرافضي تعليم المرأة بحجة ما قد يحدث للمرأة من مكاتبات لاتجوز، فهو يقول: «أما ما يُخشى عليها من الاتصال عن طريق الكتابة، فقد وجد ما هو أقرب وأسرع منها لمن شاءت، وهو الهاتف في البيوت، فإنه في متناول المتعلمة والجاهلة، والمدار في ذلك كله على الحصانة التربوية والمتانة الدينية والقوة الأخلاقية[4]»،

---

(1) صحيفة الجزيرة، العدد3622، 24 شوال 1402هـ.

(2) تعليم البنات: 44، أحمد محمد جمال، ويقيم إبراهيم الحجي معادلة منطقية تقضي بأنَّ كل مجتمع فيه مفاسد مهما كانت ثقافته، إلا أن مفاسد المجتمع الجاهل أضخم من المتعلم (اليمامة العدد 219، الموافق 22/ 10/ 1379هـ، وبناتنا).

(3) الدرر السنية: 16/ 80. 81.

(4) أضواء البيان: 6/ 94(التتمة)، محمد الشنقيطي وتتمته لتلميذه عطية سالم، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي. بيروت، ط1، 1417هـ.

وهي رؤية لاينجح كثير من المنتمين إلى الخطاب الإسلامي الفقهي في استيعابها، فضلاً عن القول بها والحث عليها، وذلك لأنها من أعمق النظر، ومن فقه الفقه، ووفق بيانها وأسسها تتضح كثير من المسائل النازلة، ويُصبح التعليم نوعاً من أنواعها فقط، فالحاسب والفاكس والهاتف الجوال والإنترنت وغيرها، هي ميادين لتطبيق هذه الرؤية، لأنَّ مخرجات الحضارة ونتائج التقنية محايدة إلى حدٍ كبير، وهي لاتمنحك شكلها وتلزمك بمضامينها، فأنت قادر لو استطعت أن تمتلك الحصانة وتعميق الرؤية الدينية الراشدة أن تتعامل مع الجميع وفق اشتراطاتك أنت.

ومما يقال هنا: إن ضبط هذه الرؤية، والاتكاء على المقاصد الكبرى للشريعة، والوعي بها، قد بلغ سقفاً بعيداً كان أعلاه عند المؤيدين لتعليم المرأة، وهو القول بأن المرأة العالمة المتعلمة مع الدين والتقوى أفضل من الجاهلة[1]، ومناداتهم بأنه لابد أن ننبذ «ما يتمسك به البعض من عدم تعليم البنات لأنه مفسدة، كلا. إن المفسدة في البقاء عليها جاهلة[2]»، على حين أنَّ هناك من الأطياف الإسلامية منْ تجاوز ذلك، إذ يرى محمد الفاسي - من علماء المغرب - في سبيل الرد على المتخوفين من مفاسد العلم أن المفاسد مهما كانت فمفسدة الجهل أعظم[3]، وهذا إطلاق لهذه المعلومة من تقييداتها، وهو ما يطرح مسألة الغاية من العلم، ومحاولة الفصل بين الشر العام والشر في الخير، وكيف تستطيع أن تفصل - دينياً وأخلاقياً - بين هذه المتلازمات؟

وهذا الارتباك في الموقف تجاه تعليم المرأة يُثير مسألة الارتباك الشخصي ثم القومي ثم الديني تجاه مستجدات الحضارة، وكيف تستطيع الإمساك بمفرداتها وعدم التخلي عن ثوابتك، وإشكالية القبض بيد واحدة على طرفي العصا، أو تصوير القضية بهذا المستوى من الإشكال، وقد تداخل مع هذه الرؤية باحثو التربية والأخلاقيات، فروى الدكتور مقداد يالجن أنه سأل عن إحدى المدن؟

---

(1) لمحات عن التعليم وبداياته :142.

(2) اليمامة، العدد 84، (حواء نصفنا الثاني)، شحاته أو الجدايل، 18/ 11/ 1376هـ.

(3) تعليم الفتيات : 12، محمد الفاسي، تحقيق الدكتور محمد بن عزوز، دار ابن حزم - بيروت، ط1، 1425هـ، وجاء في أضواء البيان (6/ 93) العلم من حيث هو خير من الجهل.

فقيل له: انتشر فيها الفساد، فسأل عن السبب، فقيل له: افتتحت الجامعة فيها، وروى أنه مرَّ بجوار سور في إحدى المدن، فسأل المرشد السياحي عنه، فقال: يتربى أكابر المجرمين بداخله، وبرعاية الدولة. إنه جامعة![1]، ويروي الشيخ علي الطنطاوي قصة الخِطاب الذي وصله بالبريد لرجل مستور صالح متمسك بالديانة مقيم على الفضيلة وله بنت ما انفكت تمشي في طريق الشر، ويقول الأب عنها: «إن سبب ذلك كله المدرسة أولا، والجامعة ثانياً، ويلعن البنات ويلعن المدارس التي علمتهن[2]»، وهي إشكالات تطرح أسئلتها العميقة عن الحقيقة العلمية والحقيقة الأخلاقية، وأثر كل واحد منهما في الآخر، وتوحي بضرورة إعادة الثقة في العلم، وأنَّ العلم مطلوب لذاته، مع الرفض للرأي الذي يجد في العلم نوعاً من المحظور، ولكننا نطالب بالعلم ونطالب بالتربية والتحصين، ومبدأ ذلك ومرجعه إلى أنَّ توظيف العلم للشر ينطبق على كافة العلوم، ولذلك جاء الوعيد الشرعي الشديد في حق علماء الشريعة والقضاة الذين يخونون الأمانة، وذلك مع أنهم إنما تعلموا علوم الشريعة، وهذا كاشف عن ضرورة الأخذ بالأشد الأسدّ في هذه القضية، وخاصة في هذا الزمان الذي انفتحت فيه أبواب الدنيا على هذا الانفجار المعرفي الضخم، ولم يعد المربي أوالأب أو المسؤول قادراً على استخدام الوسائل التربوية الساذجة، وإنما أنت بحاجة إلى الحصانة والتأصيل.

ولعل من أطرف أنماط الحجاج من قبل المؤيدين للممانعين، هو تحييد مدينة بريدة والاستشهاد بمدن المملكة جميعاً، وفي هذا تخفيف للخصوصية التي قد يدَّعيها بعض أهالي بريدة، أو التي تسكن في تصورات كثيرين عن أهالي بريدة، إذ إنَّ تعليم البنات سيكون للمملكة عامة، و«كل مدينة في هذه المملكة لاتخلو من جماعة كبيرة يعزّ عليها صيانة الدين وحمايته، فما هو الذي جعل بعض أهل بريدة دون غيرهم من المدن الأخرى يعترضون على تعليم البنت، ولصالح من هذا الاعتراض؟![3]»، فهذا احتجاج بالتدين والمحافظة على الممانعين، وذلك لأنَّ التدين سمة عامة في المملكة، ولايخصُّ بريدة وحدها،

---

(1) علم الأخلاق الإسلامية: 2. 3، د.مقداد يالجن، دار عالم الكتب. الرياض، ط2، 1424هـ.

(2) كتاب مع الناس: 136، علي الطنطاوي، دار المنارة للنشر والتوزيع. جدة، ط3، 1416هـ.

(3) العدد 36، الموافق 23/2/1380هـ، (كلمة وكليمة)، ضحيان العبدالعزيز، ص 1.

فلماذا يمتنع بعض أهالي بريدة عن الموافقة على تعليم البنات بحجة التدين، وهو عام في المملكة، وقد افتتحت المدارس، «وبدأت تستقبل بنات المواطنين في كل مدينة من هذه المدن التي رحب أهلها بتعليم بناتهم، وأعربوا عن فرحتهم الشديدة، ولم يعترض منهم أحد[1]»، ولاشك أنها مداخلة منطقية مهمة من قبل المؤيدين، لأنها تحتج بالكل على الواحد، وكأنها تستبطن الاتفاق الجمعي في المملكة على أهمية تعليم البنات، وفيه ردٌ ضمني على قوة نفوذ الممانعين في بريدة.

وحين يتشدد الممانعون في معارضتهم، ويؤصلون لامتناعهم بالخوف على البنات من هذا التعليم، ويتمسكون بحق مدينتهم بالرفض، يقول عبدالعزيز التويجري عن هذا: «إذا ما خشينا على بناتنا في بريدة على حدّ زعمهم، فيجب أن نخشى على جميع الفتيات السعوديات، وهذا هو ديننا السماوي وشرعتنا المحمدية، أما هذه التفرقة فليست من الدين في شيء، بل الدين ينبذها بعيداً عنه[2]»، وهي محاججة قائمة على هزّ قناعتهم بخصوصية مدينتهم دون غيرها، وتحريك لعنصر الجماعة والوحدة والوطنية، وأنَّ ما يجب في مدينة سيجب في الأخرى دون شك، وكان تلميحاً منه حين أشار إلى ضرورة الخشية على السعوديات جميعاً، لا على فتيات بريدة فقط، وكأنه إحراج للممانعين بالمناصحة والقيام بحق الدين تجاه بقية المدن، وأما ما يؤمن الكاتب به فهو أنَّ المدن فتحت المدارس وتجاوزت هذه الإشكالية، فالصعوبة أمام الممانعين، إذن، صعوبتان، صعوبة تتصل بافتتاح المدارس، وصعوبة تتصل باستحالة إقناع الجميع بما هم مؤمنون بضده، وهو أهمية تعليم المرأة، و«إننا نناشدهم أن يوضحوا السبيل التي على أساسها عارضوا هذه الفكرة، فإن كانت معارضتهم قد بُنيت على أسس قوية، وفي وجود المدارس شيء من اللبس؛ فإننا نرجو من أعماقنا أن يعرضوا على ولاة الأمر لإلغاء هذه المؤسسات بأجمعها، ويريحوا الناس من أضرارها التي يخشونها[3]»، وهذا رفع للقضية إلى سقفها الدلالي الأعلى، ورمي عنيف للكرة في ملعب الممانعين، فالمدن واحدة والخشية والخوف من الذنوب

---

(1) العدد 50، الموافق 3/6/1380هـ، (حول مدارس البنات)، سليمان الماضي، ص 11.

(2) العدد 57، الموافق 23/7/1380هـ، (أنقذوهن من وهدة الجهل)، عبدالعزيز التويجري، ص 1.

(3) العدد 93، الموافق 23/4/1381هـ، (فتاة بريدة تناشد المسؤولين)، غانم الغانم، ص 3 .

والمعاصي يجب أن يكون مطرداً لدى الجميع، ومن النصيحة للأمة أن يكشفوا حقيقة أسبابهم، ويناصحوا بها ولي الأمر، ليتم إلغاء المدارس من المملكة عامة.

وتأتي محاولات المؤيدين لتفسير مواقف الممانعين اجتهاداً في المقاربة، ومن ذلك القول بأنَّ تعليم البنات هو استجابة لقانون الوعي بالحاضر، وذلك «لكي يتوقع لفتيات البلاد الخروج من غياهب الجهل المطبق الذي عاشته أمهات هذا العدد الكبير من فتيات القصيم، ويوشك ـ إن لم يُتدارك الأمر ـ أن تعيشه فتيات المستقبل[1]»، فواقع الأمهات مؤسف من حيث الجهل الكبير بمتطلبات الحياة المعاصرة، وهو واقع يوفض إلى الطلاق والفقر والتربية السيئة للنشء، ولكي نرسم مستقبلاً زاهراً للأبناء، فعلينا الاهتمام بالفتيات أمهات المستقبل. وحين تنحسر فتنة القول بتعليم البنات عن الخضوع لرأي الممانعين، نجد الصحيفة تبرز من خلال مقالة أحد كاتباتها حقيقة أنه لابد أن يدرك الممانعون واجبهم الوطني «وكيف سيدركون هذا، إذا كانت أمهاتهم جاهلات قد تكتل الجهل على عقولهن، وغلّف أفكارهن بالظلام[2]»، فكانوا نتيجة طبيعية لهؤلاء النسوة، أي إنهم امتداد لعقلية الخرافة والجهل، ولن يجدوا دافعاً لتحطيمها، ولذلك أصبح الموقف ومناط الواجب على الدولة والطبقة المثقفة.

ونتيجة طبيعية للمحادّة والتنافس بين التيارات الممانعة والمؤيدة تتحول القضية إلى مناقشة مسألة الحقوق والواجبات، وأنَّ ما يطلبه الرجل والوطن من المرأة مبني على ما يُعطيه لها، وهي محاكمات عقلية صرفة، فـ«يا قوم، هل يصح أن نطالب الفتاة بما عليها من واجبات وننسى حقوقها؟[3]»، وهي مداخلة منطقية توجب قبول الآخر، خاصة إذا تمَّ استدعاء المقومات الخارجية للقضية، وهي المتمثلة في الظرف الاجتماعي والحضاري والزماني، فالبنات أكثر من الأولاد[4]، وهنَّ مطالبات بالإسهام في بناء الوطن كغيرهن[5]، ونحن في القرن

---

(1) العدد 93، الموافق 23/4/1381هـ، (فتاة بريدة تناشد المسؤولين)، غانم الغانم، ص 3.

(2) العدد 107، الموافق 3/8/1381هـ، (لاتمنعوا العلم عن فتياتكم)، سارة بوحيمد، ص 7.

(3) العدد 90، الموافق 2/4/1381هـ، (فتاة بريدة ألايؤذن لها بعد أن تتعلم؟)، صالح العبدالعزيز، ص 3.

(4) العدد 26، الموافق 6/12/1379هـ، (تعليم البنت)، ص 1.

(5) العدد 90، الموافق 2/4/1381هـ، (فتاة بريدة ألا يؤذن لها بعد أن تتعلم)، صالح العبدالعزيز، ص 3.

العشرين قرن التقدم والعلم وتعدد المدارس[1]، ولذا فالمؤيدون يستشرفون تسريع هذه الموافقة، وتنفيذها، وتجاوز عتبة المدرسة إلى فضاء المدارس المتعددة، والانتقال من حق التعليم إلى الحقوق الأخرى التي يكفلها الدين والنظام، وهي حقوق إنسانية ودينية واجتماعية للمرأة لابد أن يفي الأب والمجتمع وولي الأمر بها، ثم ينتقل بعد ذلك إلى مطالبتها بالواجبات، ولاشك أنَّ المطالبة بالحقوق لاتُفهم بشكلها السلبي، وإنما الذي يُعنى بنمو المجتمعات مطالب بأن يوفّر الحقوق وأبجديات الحياة للمواطنين قبل مطالبتهم بالواجبات، وهو أمر فلسفي يملي أولُه آخرَه، والمجتمع إنما يأخذ صحته العقلية والنفسية من اتساق مساراته كاملة.

وتفريعاً على مسألة الحقوق والواجبات، فقد اجتهد المؤيدون في تحقيق المساواة أو المطالبة بها، ورأوا أن النصوص الشرعية والفهم الديني تصبُّ في اتجاه أحقية المرأة بطلب العلم، وأنه قد قد عُطِّل، أو جُمِّد إلى حين، وذلك تبعاً لفهم الممانعين، ومن هنا تعددت المطالبات بالمساواة[2]، فالإسلام شرع هذه المساواة في طلب العلم، وأي تعطيل لها سيكون بمثابة تعطيل النص، مما يتناغم مع العقلية التي لاتتقبل تحقيق المرأة لذاتها وتفوقها.

ولأنَّ المسوغات والأدلة إن لم تقنع أحداً، ولم يفلح المنطق في تخفيف التوتر، ونزع الاحتقان بين الاتجاهات، لابد أن تصل مفاوضة الطرفين وجدالهما إلى حدود المفاصلة، وهو ما كان بالفعل، في فتنة القول بتعليم المرأة، فوقعت الواقعة، وبدأت تتشكل ملامح الفرقاء، وظهر مفهوم الحرية بوصفها أن تؤمن بما تعتقد دون أن تصادر رأي الآخرين، ولذا ظهر منهج جدلي آخر مع ممانعي تعليم البنات، فتعليم البنات، إذن، ليس إجبارياً، ومن حق منْ لايريده أن يمنع بناته منه، ولكنه ممنوع من استلاب حرية الآخرين وحقوقهم في تعليم فتياتهم، «إنَّ التعليم في هذه المدارس غير إجباري، فعلى الذين يتخوفون منه أن لايدخلوا بناتهم في هذه المدارس، وأن يحتفظوا بهن في بيوتهم[3]»، فلن تفرض الدراسة فرضاً على هذه الطائفة[4]، «مع أنّ أحداً لم يطالبها بإلحاق فتياتها بهذه

---

(1) العدد 107، الموافق 3/ 8/ 1381هـ، (لاتمنعوا العلم عن فتياتكم)، سارة بوحيمد، ص 7.

(2) العدد 93، الموافق 23/ 4/ 1381هـ، (فتاة بريدة تناشد المسؤولين) ، غانم العبدالله الغانم، ص3، اليمامة، 23/ 4/ 1379هـ ، العدد 193 ص4، محمد محمد الصاوي.

(3) العدد 47، الموافق 12/ 5/ 1380هـ، (كلمة وكليمة)، ضحيان العبدالعزيز، ص 9.

(4) العدد 50، الموافق 3/ 6/ 1380هـ، (حول مدارس البنات)، سليمان الماضي، ص 11.

المدرسة[1]»، وهي مواقف صريحة وواضحة، ولكنها جاءت في سياق الممانعة الشديدة، والرفض المتناهي، وتم التأكيد على أنَّ وفد الذين لايريدون تعليم الفتيات في بريدة حين جاء إلى الرياض لمقابلة المسؤولين الكبار، تمّ الرد عليهم بهذا المنهج، وهو أنَّ من حقكم الرفض، ولاسبيل لإجباركم، ولكنكم لستم مخولين بمنع الآخرين، وهي أساليب تدل على أنَّ الرأي أو القرار قد نضج، ولم تعد هناك مهلة وفرصة لمداولة الرأي في هذه القضية، ومن هنا وجب أن تتضح المسائل على هذا النحو، يقال هذا باعتباره درجة متوسطة باتجاه القول بإلزامية التعليم وإيجابيته، مع العلم أنّ هذا القول حين صدر من الجانب الرسمي إنما صدر بعد الممانعة الأولى وقرار التجميد.

ولم يكتف المؤيدون بهذا المستوى من الجدل، والوقوف عند هذا السقف من مفهوم الحرية، وإنما تراكمت تجاربهم ومواقفهم إلى أن امتدَّ المتداخلون مع هذه القضية إلى المطالبة بحماية حقوق البنات ضد آبائهن الممانعين، فتقول سارة بوحيمد: «أمر عجيب أن يمانع الآباء في بريدة افتتاح مدرسة للبنات في مدينتهم ... ومن واجب الأفراد المثقفين من أهالي بريدة أن يفتحوا أذهان هؤلاء الآباء[2]»، وهي مطالبة بأن يتقدم خطاب المؤيدين والمجتمع إلى نوع من الحصار ضد الممانعين تجاه بناتهم، وأنَّ هذه وظيفة إصلاحية توعوية على المثقفين أن يتحملوا واجب القيام بحقِّها، وهذا فهمٌ جديد لموقف المثقف ومفهوم الحرية، ودفْعٌ للمواقف باتجاه القول بإلزامية تعليم البنات، والتأكيد على أنَّ هذا القول غير خاضع لاختيارات الآباء والمسؤولين، بل هو حق واجب وملح، ولذا جاء هذا الموقف ليؤصّل إنقاذ حرية البنات من آراء آبائهن.

وقد ألمح أو تنبأ المؤيدون بمغبة هذا الامتناع عن تعليم البنات، فتخوفوا من تحوله من مصدر دال على المحافظة - بزعم القائلين به - إلى مصدر تندّر، وهي مرحلة الحجاج التي تتكئ على حسّ المناطقية الذي يكبر في مثل هذا الأزمان والمدن الصغيرة، فمهما كان دافع الممانعين هو الخير، «إلا أننا لانوافقهم على هذا الرأي، لأنهم بهذا العمل سيجعلوننا موضعاً للتندر بين

---

(1) العدد 90، الموافق 2/ 4/ 1381هـ، (فتاة بريدة)، صالح العبدالعزيز، ص 3.

(2) العدد 107، الموافق 3/ 8/ 1381هـ، (لاتمنعوا العلم عن فتياتكم)، سارة بوحيمد، ص 7.

طبقات المواطنين الآخرين، فتجد الكثير من المواطنين يتحدث بعضهم مع بعض قائلاً: إن أهالي بريدة رفضوا تأسيس بلدية في مدينتهم، وطلبوا عدم افتتاح مدرسة للبنات، وما إلى ذلك من أنواع التعليقات التي يود كل مواطن عدم سماعه لها في الوقت الذي لم نر فيه أحداً من أهل مدن المملكة عارض في مثل هذه الأشياء[1]»، وهو حديث بلسان المنتمي إلى بريدة، والقلق مما يمسُّ سمعتها، ومن ثمَّ كان قلقه أو تنبؤه أن تُصبح مضرباً للمثل على سبيل التفكّه والتندر، وذلك لأنَّ المصالح الشرعية والسياسية والحضارية والاجتماعية تقضي بضرورة تعليم البنات، وبعض أهالي بريدة يُمانعون، وهذا هو ما سيكون موضع تندُّر، فكانت أصوات الكتاب ـ ومنهم كاتب المقال السابق ـ أصواتاً تخوِّف من هذه العاقبة، وتُعلن في الوقت نفسه تعدد الأصوات المؤيدة، وهي أصوات تكسر حدة الإجماع المتوهم، وتُعلن بمطالبتها، ومهما كان تنبؤ الكاتب صحيحاً إلى حدٍّ كبير، إلا أنَّ عاقبة كتاباته وزملائه دفعت المؤيدين خارج مدينة بريدة إلى ملاحظة الفريقين، واستشعار هموم المؤيدين منهم، وتحفيز مواقفهم، كما رأينا مقالة سارة بوحيمد، أي إنها لحظت غرابة الرفض وعجائبيته لافتقاد المسوغات، وهو موقف يقترب من التندُّر، كما لحظت وجود الطيف المؤيد، ومنحته شرف القيام بهذا الواجب.

ولابد حين نتحدث عن هذا الموقف تجاه الممانعين أن نستشعر البعد المناطقي فيه، فهو قرعٌ لطبول حسّ المنافسة المدَنية، وهو ما لمحته وصُرِّح لي فيه من قبل بعض وجهاء مدينة بريدة المعاصرين من أنهم لايريدون إثارة هذا الموضوع، وذلك لأنَّ المنتشر إعلامياً أن جميع أهالي بريدة ـ دون غيرهم من أهالي المدن الأخرى ـ رفضوا تعليم البنات، وأنّ جميع أهالي المدن الأخرى قبلوه، وطالبوا به، وهو ما تنقضه هذه الدراسة، وأما هنا فيتضح أنّ العامل المناطقي كان حيّاً وما زال، وقد استخدمه الكاتب المؤيد لتعليم البنات ليزع به الممانعين ومنْ تأثر بهم.

وأمّا رأي المؤيدين وجهدهم في توصيف أقوال الممانعين، فبعد أن كان

---

(1) العدد 37، الموافق 1/ 3/ 1380هـ، (كلمة وكليمة)، ضحيان العبدالعزيز، ص 1.

هناك شبه تواطؤ على قبول مقاصدهم الخيرة، تحول الموقف إلى وسم مواقفهم بالعناد والتحدي والغموض[1]، وأنها مواقف أربكت المواطنين[2]، وقد تُسبب الفرقة فيما بينهم[3]، ومواقفهم صلبة[4] وشديدة[5]، ولاشك أنَّ هذا ناتج جراء استخدام الدليل الشرعي والرسمي والقانوني لإقناعهم، وإعطائهم فرصة المقارنة بعد مضي سنة من إقرار المدارس في المدن الأخرى ـ كما سيأتي ـ، ومع ذلك امتنعوا، فموقفهم «أصبح غامضاً لاسيما وقد كان ذلك ـ أي افتتاح المدارس ـ قد تمَّ بموافقة مشايخ البلاد، وعلى رأسهم مفتي البلاد الأكبر، وتحت إشراف هيئة دينية هي من خيرة رجال الدين في هذا العصر[6]»، ومع ذلك تجددت المعارضة والممانعة، وهو ما يقطع باتضاح مواقف الفرقاء، ويكشف عن تحول اعتبارات المجتمع الواحد وصلات القربى ووشائح الوحدة إلى نوع من الهجوم الحاد، واتخاذ مواقع الخصوم، ودفْع الخلاف إلى منتهاه، ومن ثم أصبحت توصيفات الخصوم لبعضهم تهزَّ مصداقية التدين أو المواطنة أو العقل، وهي مواثيق الشرف النهائية عند الإنسان، وحين تدور المعركة حولها، فإنك تنتظر ـ حينها ـ المفاصلة العقدية أو الفكرية أو الثقافية أو الوطنية، وهو ما سيتضح في الفقرة التالية.

---

(1) العدد 90، الموافق 2/ 4/ 1381هـ، (فتاة بريدة)، صالح العبدالعزيز، ص 3.

(2) العدد 93، الموافق 23/ 4/ 1381هـ، (فتاة بريدة تناشد المسؤولين)، غانم الغانم، ص 3.

(3) العدد 36، الموافق 23/ 2/ 1380هـ، (كلمة وكليمة)، ضحيان العبدالعزيز، ص 1.

(4) العدد 50، الموافق 3/ 6/ 1380هـ، (حول مدارس البنات)، سليمان الماضي، ص 7.

(5) العدد 93، الموافق 23/ 4/ 1381هـ، (فتاة بريدة)، غانم الغانم، ص 3 .

(6) العدد 90، الموافق 2/ 4/ 1381هـ، (فتاة بريدة)، صالح العبدالعزيز، ص 3.

دعاة الفجور..

لئن انتهت فتنة القول بتعليم المرأة، وأُشرعت المدارس، وبلغت النساء مراكز فاعلة في مجتمعنا، فإنَّ معركة أخرى رشحت منها، وهي المعركة التي تتصل بالمنهج وتتأسس عليه، فالثابت هو الموقف المعارض والممانع، والمتغير والمتحول هو موضوع الممانعة، وأصبح السؤال المطروح الآن ماذا تتعلم؟ فالمرحلة الأولى كان محورها هل تتعلم البنات؟ وكان سؤال المرحلة الثانية هو ماذا تتعلم؟ وهذه الرؤية التي اعتمدها هذا الفريق تدل على أنهم بذلك «خلطوا بين مبدأ تعليمها . وهو أمر على نفس المستوى والقوة من حيث الوجوب والندب والإباحة بالمعنى الفقهي لما هو عليه حال الرجل . وبين ما يجب أو لايجب أن تتعلمه، كما أنهم قد خلطوا بين تعليم المرأة كمبدأ أيضاً، وبين أسلوب تعليمها وكيفيته[1]»، وهذا الارتباك في ضبط البوصلة الحضارية نابع من افتقاد الرؤية الصائبة بين ما هو مبدأ وأهداف يجب الثبات عليها، وبين ما هو وسائل وطرق يباح التنويع بينها وفق ما هو مشروع.

وهذا التحول إنما جاء وفق مقدمات مختلفة، فهو موجود عند فئة من الممانعين، أو درجة من درجاتهم، وهم الذين قبلوا تعليم البنات، واشترطوا التعليم الديني فقط ورفضوا غيره، وعلى رأسهم عبدالسلام هاشم حافظ بمقاله الصريح: لنثقف الفتاة دينياً أو تبقى في البيت[2]، وهم بذلك يُجسدون السؤال الذي تطرحه الفعاليات والقوى الدينية باستمرار، ماذا تتعلم الفتاة؟ وكأنه خضوع منهم لهذا الوافد والتحول المعرفي الجديد، وابتكار لمنهج الممانعة، فقد «أصبح تعليم المرأة من متطلبات الحياة، ولكنَّ المشكلة تكمن في منهج تعليمها، وكيفية تلقيها العلم[3]»، ولاشك أنَّه سؤال مشروع ومنطقي، ولكن المثير فيه، هو لماذا

---

(1) لمحات عن التعليم وبداياته: 141.

(2) العدد 9، الموافق 27/ 7/ 1379هـ، ص 9.

(3) أضواء البيان: 6/ 94، التتمة، وقد كان الشيخ محمد رشيد رضا يؤكد على ضرورة تعليم =

تم استفراغ الوسع والطاقة في الممانعة كل هذه الفترة إلى أن تمَّ هذا التحول؟ وسؤال أخطر من هذا، وهو ينبع من حيث اتصاله بالمنهج العام الذي يحكم كثيراً من الفعاليات في العالم الإسلامي، فلماذا يُكرر الإسلاميون والمحافظون وغيرهم معارك نظرائهم في كل وقت وبقعة؟ فكان بوسع التجارب المتماثلة أن تستفيد من الخسائر والأوقات التي نزفها مجتمعهم، وذلك بدلاً من إعادة السيناريو ذاته. ويبدو أن جزءاً من المشاريع والمستجدات التي ينهك الإصلاحيون والدعاة والمربون ورجال التربية أوقاتهم في محاربتها وممانعتها، لو بذلوا الوقت الأقل في استثمارها وتوجيهها والإمساك بدفتها لنجحوا، وهي رؤية تنطلق من ضرورة السبر والتمحيص في سيرورة الحضارة، وأنَّ حرية الاختيار في التعامل معها من عدمه محدودة جداً، ولكن حرية الاختيار في الذوبان أوالتزام الثوابت متاحة.

وللحق فإنَّ من علماء الدين منْ ساهم في دفع الاتجاه لتعليم البنات كما ترصد ذلك الرئاسة، فقد كان عدد من العلماء يبينون «أنَّ هناك فرقاً بين مبدأ تعليم المرأة، وبين ما يجب أن تتعلم، فمن حيث المبدأ؛ فإن تعليم المرأة من حيث الوجوب والندب والإباحة - بالمعنى الفقهي - مثل الرجل، أما أسلوب تعليمها وكيفيته، فهذا له أحكامه الخاصة[1]»، ولاشك أنَّ هذا الموقف نابع من الفطرة وبداهة الأمور عند المربين وأولياء الأمور وغيرهم، وتشير منظمة الإيسسكو إلى أنَّ «مسألة الاختلاط كانت وما تزال، تثير الجدل في الدول الإسلامية؛ بل وفي غيرها من الدول بما فيها المتقدمة صناعياً، حيث تُثار الكثير من التساؤلات من مثل: هل سنقدم نفس البرنامج ونفس المواد ونفس المحتويات للجنسين معاً، رغم ما يمكن أن يكون بينهما من اختلافات في الميول، وفيما يتهيآن له من مهن ووظائف داخل الأسرة أوفي المجتمع[2]»، فالموقف الثقافي

= البنات العلوم الدينية، لأن النساء ليس لهن مورد علمي إلا هذه المدارس، بخلاف الأولاد الذين يتاح لهم إكمال ما نقص في أي مكان(مجلة المنار، مجلد5، جزء 5،ربيع الأول 1320هـ).

(1) تعليم البنات خلال مائة عام: 203، ويشير الشيخ حمد الجاسر إلى الشيخ محمد بن إبراهيم لم يكن ينظر إلى التعليم نظرة سيئة في حدّ ذاته، وإنما كان يحاذر أن يكون وسيلة تؤثر في النشء حين يعهد التدريس إلى غير الثقة والمحافظ على الأخلاق(من سوانح الذكريات: 2/ 853).

(2) تعليم المرأة في الدول الإسلامية دراسة مسحية تشخيصية: 55، المنظمة الإسلامية =

من مسائل الاشتراك في نمط التعليم بين الأولاد والبنات أمر متوقع ومشروع، ولكنَّ المشكل هنا هو أن يتم تناوله بصفته خط رجعة يلجأ إليه الممانع الذي يستنفذ الوسائل كلها لتأصيل الرفض والقول بالمنع أو الحرمة، وحين يفقد كلامه مشروعيته يتحول إلى هذا الرأي بصفته وسيلة تكتيك أو استراتيجية مؤقتة لاغير.

وهنا حقيقة يجب تناولها، وهي استحضار تلك الممانعة بوصفها ديدناً للتيار الإسلامي، وأنهم يؤولون في قضاياهم المعاصرة إلى ما آل إليه سابقوهم في تعليم البنات، ولاشك أنَّ هذا المنطق نمط من الجدل يتجلى باستحضار سيرة السلف لمساءلة خلفهم، وهو منطق لاتملك نقضه؛ بل هو نمط جدالي وحجاجي يُستخدم عند جميع الأطراف مهما كان موقفنا منه، فالممانعون يستدلون بواقع الدول الأخرى ويرفضون التعليم، والمؤيدون يستدعون ممانعة المحافظين لتعليم البنات وللبرقية ولغيرها في وقت سابق ليحتجوا على سنة الممانعة عندهم.

والسؤال هنا: هل رفض المتدينون كلهم تعليم البنات؟ وهل هناك بينهم من قبله؟ وماذا عن القائلين بأنَّ كل العلماء والمشائخ لم يرفضوا تعليم البنات بشكل مطلق، وإنما قيَّدوه بنمط معين منه؟! والحقُّ أنّ وجود رافضي التعليم ذاته لاينقص من حق المتدينين أوالمحافظين، لأنه لايعكس مواقفهم جميعاً، إذ منهم من أوذي لمطالبته بالعلم، بل إن هناك مشائخ ردُّوا على المشائخ الممانعين.

يقول الشيخ سليمان الخراشي متحدثاً عن الممانعين من العلماء - مؤصِّلاً لحقيقة أوافقه على طرف رئيس منها -: «فاعتراض من اعترض منهم كان على (ماهية) التعليم الذي سيُجعل للفتاة السعودية، وليس على مجرد (تعليمها) كما يدعي الأفَّاكون؛ لأن المعترضين كانوا يخشون أن يُقرَّ تعليمُ البنات لدينا على

= للتربية والعلوم والثقافة، 1418هـ، وتبدو الخطورة في رفض الشيخ الفاسي المغربي مواصلة التعليم بقوله في مرحلة من مراحل حياته: كل من يطلب الزيادة في تعليم البنت إلى درجات عالية فإنما يريد استدراجنا إلى السفور (تعليم الفتيات لاسفور المرأة: 72)، وذلك لأنها رؤية عامة غامضة، فما معنى الدرجة العالية من العلم؟ ومن يحكم أُطرها؟ وكيف نقيم الحجة على فساد النيات والرغبة بالسفور على كثيرين من العلماء اجتهدوا بأنه لاسقف في العلم يمكن تحديده للرجل وللمرأة، ولاشك أن جزءاً من مأزق الخطاب الإسلامي أن بعض أطيافه يبالغون في الخوف من مآلات الأمور، أو أنّ تقديرهم الشخصي وعواطفهم وانفعالاتهم تتحكم في فتاواهم ومواقفهم الشرعية والفكرية.

الحال الذي كان عليها في الدول العربية الأخرى[1]»، وذلك في معرض حديثه عن الكِذبة التي يروِّجها كتاب الصحافة من خلال بعض الأكاذيب والأوهام والترويج لها كحقائق لا تقبل الجدل ـ كما يقول ـ، وهي رؤية تؤكد على أن العلماء وطلبة العلم الشرعي لم يُعارضوا تعليم البنات من حيث هو، وإنما عارضوه وفق كيفية معينة.

والذي أحسب أنَّ مما يجب رصده القول بأنَّ معارضة التعليم من حيث هو أمرٌ لايُتصور وجوده بين العلماء الراسخين، وإنْ كان وجدت نماذج له بين العلماء، كما يتضح ذلك من خلال الردود والمناقشات[2]، ولابد هنا من التذكير بالجهود الكبيرة لبعض العلماء وعلى رأسهم سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم وفضيلة الشيخ محمد بن مانع كنماذج كان لها الفضل الواسع في تعليم البنات، خاصة ونحن نعلم «أن سبب تأخر انتشار التعليم في بلاد نجد هو نظرة بعض العلماء إلى المدارس الحديثة، ولما اتضح لهم الأمر كانوا من أوائل من ألحق أبناءهم بها في داخل البلاد وخارجها[3]»، وهو نص يكشف عن وجود ممانعة واضحة من العلماء إلى الانتماء إلى المدارس في بداية الأمر ـ على الأقل ـ، ولئن جاءت كلمة الشيخ الخراشي توصيفاً لرأي العلماء وتبرئة لهم؛ فإنها كلمة تحتاج إلى مساءلة، لأنَّ مفهومها ينقض شيئاً من منطوقها؛ فقوله: «اعتراض منْ اعترض منهم كان على ماهية التعليم»، هو قول يومئ إلى أنَّ هناك من لم يعترض على ماهية التعليم، وأنه قبلها بشرطها الذي رفضه الآخرون! وهو ما لا أحسب الشيخ الخراشي يقول به، لأنَّ الماهية العلمية التي تحدَّث عنها هي ماهية تغريبية وتعليم مختلط بعيد عن الدين والفضيلة ـ كما يقول ـ.

كما يقطع الشيخ الخراشي في قوله السالف بأنَّ اعتراض المشائخ على تعليم

---

(1) مقال للشيخ الخراشي بعنوان: (أكذوبة تُردِّد في الصحافة السعودية)، وذلك في موقع صيد الفوائدhttp://saaid.net/Warathah/Alkharashy/m/34.htm، وهو منشور بعنوان: (هل عارض العلماء في المملكة قديما تعليم المرأة ؟) في موقع شبكة القلم http:// www.alqlm.com/index.cfm?method=home.con&contentID=84.

(2) اليمامة العدد 118، الموافق 24/ 9/ 1377هـ، (عدم تعليم البنات مطلقاً يخالف الدليل الشرعي)، الشيخ محمد بن مانع.

(3) من سوانح الذكريات: 2/ 668.

البنات منصبٌ على ماهية التعليم، ولا أحسب أحداً يُلقى في روعه بأنَّ التعليم أو المدارس تحمل الشرّ إلا ويهرب من مغبّة الاقتراب منهما، ولكنَّ السؤال هنا ينحصر حول ماهية العلم التي رفضوها، وكيف تم تحديدها؟ وهل كان الرفض على سبيل توجيه العلم وجهته الصحيحة؟ «حتى تبيّن الأمر، واستقرّ على تعليم شرعي موافق لفطرة الفتاة، بعيد عن الاختلاط، برعاية كريمة من كبار العلماء[1]»، وهذا النص يدل في صريح منطوقه أنّ الممانعين لماهية التعليم من العلماء حين انتفت المحاذير وافقوا، وهو ما يُثير سؤالات متعددة، منها ما يتصل بموقف العلماء الذين لم يُمانعوا مطلقاً، وإنما أيدوا وأفتوا منذ البداية بالجواز والأهمية! ومنها ما يتصل بالذين لم يوافقوا حتى بعد (انتفاء المحاذير)!

إنَّ القارئ لطائفة من نصوص العلماء في هذه الفتنة يجد أنها اتسمت بميزتين في مجملها؛ التعميم والتهويل، وربما كانت الثانية من حيث أبعادها الخطيرة سبيلاً إلى القول بالأولى.

يقول أحد كبار العلماء: «إني أنصح لكل مسلم أن لا يُدخل ابنته أو أخته في هذه المدارس التي ظاهرها الرحمة، وباطنها البلاء والفتنة، ونهايتها السفور والفجور، وسقوط الأخلاق والفضيلة[2]»، وقوله: «إنَّ تعليم المرأة سبب لتمردها[3]»، وهي نصوص مطلقة قد يُقيد شيئاً من أطرافها السياقُ الذي جاءت

---

(1) مقال الشيخ الخراشي السابق.

(2) الدرر السنية: 16/ 74.

(3) المرجع السابق: 16/ 83، ومن اللافت هنا أن نجد الرؤية الدينية المعاصرة . في بعض نماذجها . تأخذ وجهة أخرى، فيقول الشيخ صالح بن حميد : حينما ربطوا بين التعليم والاختلاط، وبين التعليم والتفسخ، وبين التعليم وأنواع اللباس، كأنهم حرصوا أن يضعوا الأسرة المسلمة أمام مفترق طرق، أو مأزقٍ ديني ونفسي، فإما أن يعلموا بناتهم، وإما أن يحفظوا عليهن خلقهن ودينهن، إما أن يبقين بلا علم، وإما أن يفرطن في التزاماتهن الدينية والخلقية والتربوية، وأنت تعلم عقلاً وحساً أنه ليس ثمة تلازم بين التعليم والاختلاط، ولم يقل أحدٌ بأن البنت إذا تلقت العلم مع زميلتها وشقيقتها سيسوء فهمها ويتأخر تعليمها، ولكن مع الأسف ورغم وضوح ذلك فقد حرصت الدعوات المشبوهة والمنحرفة بمعونة مؤسسات من الداخل والخارج على ربط تعليم المرأة بالاختلاط مما أساء في نهضة المرأة المسلمة

http://islamport.com/w/amm/Web/1538/ 808.htm?zoom_ highlight = %CA%DA%E1%ED%E3 + %C7%E1%C8%E4%C7%CA)

به، ومع ذلك فإنها لاتقبل وفق هذه الصيغة، وخاصة إذا استحضرنا أنَّها تقال بصيغتها التهويلية والتعميمية هذه في بلاد تحكم بالشريعة، وقد أصدر ولي الأمر نطقه الكريم بذلك، وكلَّف عالماً شرعياً بإدارتها، وهي بإشراف سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله، ولم يمانع بقية العلماء في تأييد هذه المدارس، مما يطرح سؤالاً حول مسوغات القول بهذا الرأي الذي يُخيَّل لقارئه أنه يقال في بلاد غير إسلامية، أو يقال في بلاد تئن تحت استعمار غربي، أو أنها للتو خرجت منه، وأحسب أنَّ المبالغة في الحذر في ذلك الوقت من أن تكون هذه المدارس مناقضة للدين هو حذر لايستصحب الوعي بشروط المكان والزمان على الأقل، وهو ما أوقع هذا العالم الجليل في هذا الظن أو الحكم الغريب في غياب للسياق الحضاري الذي تمرُّ به المملكة، ولذلك قال: «وكنا في أمل من حكومتنا - وفقها الله - للانتباه والإصلاح، وتدارك ما حصل بتعديل مناهج الدراسة...إذ فجأنا خبر فادح ومصيبة عظيمة، وطامة كبرى؛ ألا وهي فتح مدارس لتعليم البنات في المملكة العربية السعودية على نحو التعليم الموجود في البلاد المنحلة[1]»، فهو قول يوحي بزوال الأمل في الحكومة أو يُصرّح به، وذلك بسبب الخبر الفادح والمصيبة العظيمة والطامة الكبرى. كما يقول رحمه الله.، وهي افتتاح مدارس تعليم البنات بمناهج تعليم البنات المنحلة عن الدين والأخلاق، ولا أدري كيف قطع. رحمه الله. أنَّ التعليم سيكون وفق هذه الصفة من الانحلال والفساد! مع التصريحات المتتالية من ولاة الأمر ورجال التعليم بضد ذلك، وهذا القول صادر من أحد العلماء الذين لايشك أنهم داخلون ضمن هذا التوصيف عند الشيخ الخراشي.

وأحسب أنّ سبب هذه الحدّة والتعميم هو الخوف من الفتنة والنصيحة للدين، وهي أمور أجزم بوجودها عند فضيلته رحمه الله، ولكنَّي أحسب أيضاً أنَّها نشأت في ظل فهم لم يستوعب تفاصيل القضية وأبعادها، أو أنه كان مستلباً لواقعه ومرتهناً للثابت والمعتاد من الأفعال العرفية، إلا أن يكون هناك تفسير لم يتضح لي، ولذلك كان ناتج الرويّة والتمهل بعد عام من افتتاح المدارس أن جاء أسفه شديداً بعد سنة من افتتاح المدارس حين وجد تصريح الرئيس العام لمدارس البنات «يتضمّن عزمه على إدخال مواضيع الحساب والهندسة والجغرافيا بمناهج

---

(1) الدرر السنية: 16/ 79.78.

مدارس البنات ... أيها المسلمون، يا أهل الغيرة والأنفة، اسمعوا لهذا التصريح الشنيع الذي يُقصد منه إرغام أهل الخير، ومجاراة الأمم المنحلة في تعليم بناتكم الحساب والهندسة والجغرافيا[1]»، وهنا يجب أن نضع الإصبع على الجرح، فالماهية الذي اعترض من أجلها بعض العلماء تأتي هنا صريحة وواضحة، فالخوف من الفساد والانحلال مبني على تعليم هذه العلوم، أي إنَّه تصور ملتبس، وقد قطع فضيلة الشيخ بعد ذلك بأنَّ «تعليم البنات على هذه الصفة، هو مصدر انحطاط الأمة، وسقوطها في الهاوية. إن هذا التعليم هو سبب لتمرد المرأة، وخروجها على تعاليم دينها، وآداب شرعها، وعوائد قومها الصالحة، وسفورها، وتبرجها[2]»، فالموقف الممانع من التعليم أو من ماهيته مبني على رفض طائفة من العلوم يجد فيها مصيبة وخطراً عظيماً على مجتمعنا وسقوطاً في الهاوية. كما يرى فضيلته رحمه الله.، ومن هنا تنبعث القضية مرة أخرى، فعلى أي جهة نستطيع أن نفهم هذه الآراء ممن طالب بتعليم البنات. ربما لايوجد مطالبات بمعنى الدعوة وبذل الجهد والتأليف والتخصص في هذا الشأن، وإنما هي أقرب إلى الموافقة.، لأنَّنا نجد فتاوى ينصُّ فيها فضيلته على «أنه لا مانع من توسيع تعليم المرأة على المنهج الذي يُقره الدين وتعاليمه[3]»، وهي رؤى توحي في بادي الرأي على عدم الممانعة، ولكنَّ التعمق في تناولها يكشف أنَّ نمطاً من التعليم. فقط. هو المقبول، ووفق التوصيف السابق، فهو النمط الذي يستجيب للأسئلة المحلية والعرفية، ولايتناقض مع المسلمات الواضحة، ولايتجاوز الأفق

---

(1) المرجع السابق: 16/ 80، ويقول الشيخ محمد كمال الأدهمي إن المرأة لاتكلف بتعلم ما لاحاجة به، وما حاجة المرأة في تعلم العلوم الزائدة على اللازم من هندسة وجغرافيا ولغات أجنبية (مرآة النساء فيما حسن منهن وساء: 114)، وهو ما يكشف عن وجود تيار ثقافي لا يرتبط ببيئة يؤمن بهذا المنهج من التعليم، وينقل الشيخ حمد الجاسر قول أحد الكبار : لاخير لنا في هذه المدارس التي تفتح، ومن أراد العلم فليحضر لتلقّيه عن الشيخ محمد بن إبراهيم (من سوانح الذكريات: 2/ 847).

(2) الدرر السنية: 16/ 80.

(3) المرجع السابق: 16/ 79، وهناك غيره، فقد قال الشيخ محمد بن عبدالله بن حمدان: " ليتكم يا هذا، تطالبون بتعليم البنات، في حدود ما رسمه الدين الحنيف، وتكتفون بذلك، إذاً لرحبنا بذلك، وأيدناكم، ولكنكم تريدون تعليماً كالتعليم الموجود في الخارج - مجرد تقليد ومحاكاة - ولا تهمكم تعاليم الإسلام، التي تأمر بالمحافظة على أخلاق المرأة، وتصون لها عفتها وكرامتها" (الدرر السنية: 16/ 93)

الذي تخصصوا فيه، أمَّا ما لم يتم اعتياده من العلوم، كالحساب والهندسة والجغرافيا، فلم يُرفض ـ فقط ـ، وإنما تم التعامل معه بوصفه تمرداً وخروجاً على تعاليم الدين، ومن المعلوم أن «من جهل شيئاً أنكره، فقد كان هناك أفراد يحذرون من تعليم المرأة في المجالس وخطب الجمعة، ويجسمون الأمور أمام الأهالي من باب التنفير، علاوة على ما ذكرنا عن أفراد يتجولون في البلاد يحذرون بحماسة وانفعال من تعليم البنات، وما وراءه من مفاسد بالغوا في تجسيمها لغاية غير معروفة، وقد يكون عن تعصب وتشديد، أو جهل وضيق أفق، بل زادوا في التجسيم والإنكار أمام جمهور بفطرته المتدينة، وهؤلاء ـ سامحهم الله ـ بالغوا وألهبوا المشاعر بافتراضات لاوجود لها، وباسم الغيرة على الدين والمحارم[1]»، وهو نص ينصرف إلى الدعاة، ولايتصل بكبار العلماء، ولكنه يكشف عن وجود اتجاه يؤمن أفراده بهذه الرؤية وينشطون لتعميمها، ويشير إلى الموقف المرتبك أمام مستجدات الحضارة.

ونحن نلحظ في الموقف السابق أنَّ إعلان الرئيس العام لمدارس البنات عزمه على إدخال هذه المواد كان كفيلاً بإثارة هذا الموقف الشديد، وذلك دون أن يتمَّ النظر في إمكانية العزم المنفرد من الرئيس؛ لاستحالة ذلك وصعوبته، لأنه ملزم بالرجوع إلى الملك والعلماء في ذلك، ولايتصور أن يعلن عزمه بانفراد، كما أنه رجل كُلِّف باختيار من رأس العلماء في وقته، بالإضافة إلى أنَّ العقلية الإيديولوجية كثيراً ما تخلط بين الموضوعي والذاتي، وتجد في تصرفات الجميع مقاصد مبطنة ضدَّها، ولذا وجدنا تأوّل تعليم هذه المواد باعتبار المقصود منه هو «إرغام أهل الخير»، وهو قول يوحي بجو المناكفة وصراعات الخصوم، وأنَّ المقالات والفتاوى لم تنفك عنه، وإنما ولد بعضها بسببه.

وأحسب أنَّ جزءاً من التعامل الديني مع مناهج التعليم يتخذ موقفاً ثابتاً من جديد المواد وحديثها، ويتحول على حسب المادة وتوقيت تعليمها، وأثر ذلك في تعليم مواد الدين، وها نحن نجد في بعض المراكز التعليمية منْ يحاول تأصيل العلوم أو أسلمتها بطريقة توحي بالغرابة، فـ«علم الهندسة مدخل لفهم الخياطة،

(1) محاضرة الدكتور محمد بن سعد الشويعر التي ألقيت في نادي مكة الثقافي بتاريخ الثلاثاء 15/ 08/ 1428هـ بعنوان (من الذاكرة: محطات في بدايات تعليم البنات في المملكة).

وعلوم الرياضيات والأحياء مدخل لفهم الطب[1]»، فالرابط بين هذه العلوم وما تختص به المرأة، وهو الطب والخياطة، أمر يسوِّغ قبولها، ولم يتم النظر في أنَّ علم الأحياء - مثلاً - وسيلة للعلم والتفقه في الحياة، أو أنه سبيل للتأمل في ملكوت الله، وذلك فضلاً عن الإيمان بأنَّ العلم هو خير مطلق، وذلك بترشيده ضمن الآداب والأخلاق والتربية، وأظنُّ أنَّ هذه وسيلة من وسائل التأقلم مع الواقع، والاجتهاد في تسويغ المشاريع التعليمية الإصلاحية، ومحاولة إقناع الممانعين بوجود الضرورة، وهي آراء تنبع من التعلق برفض الجديد إلا إنْ كان في خدمة القديم والمعتاد من الأقوال والأفعال، ولقد كان المؤيدون يمارسون ضغطهم باتجاه الانفتاح التعليمي وضرورته، ولذلك كان تعليق عبدالملك الصحابي الساخر بقوله عن مناهج التعليم للبنات: «لماذا يحذف منها مواد لابد من الإلمام بمبادئها لأي طارق لباب العلم ذلك كالهندسة والجغرافيا. لعل من أغرب الأقوال إجابة فضيلة الرئيس على سؤال الأستاذ عبدالله عبدالجبار حول ذلك. قال فضيلته: إن الهندسة ستدرّس ضمن درس الخياطة، ولا أعلم العلاقة بين الهندسة والخياطة. يجب أن نُذكِّر فضيلة الرئيس أننا نريد من مدارس البنات تخريج جيل من نساء المستقبل الصالحات المثقفات، أما تخريج الطاهيات أو الخياطات فأمر ثانوي، أو بمعنى آخر أقل أهمية[2]»، وهي مواقف تنتقد هذا المنهج التعليمي المتحفظ، وتبالغ في السخرية منه، ومع ذلك يجب أن يقال: إنَّ بعض المؤيدين لم يكونوا يدركون حرج الموقف الرسمي والشخصي للرئيس العام لتعليم البنات، فعلي حين نجد بعض المطالبين يشير إلى جهود المسؤولين وأنهم «تحملوا في سبيل تثبيت مدرسة بريدة وإقرارها بعض المتاعب والمشاكل، وتلقوا الكثير من العتب من بعض أصدقائهم وزملائهم في بريدة ولكنهم تحملوا كل ذلك وتقبلوه بنفس رحبة جاعلين هدفهم خدمة الصالح العام وأداء الأمانة التي اؤتمنوا عليها[3]»، نجد مواقف أخرى لمطالبين بتعليم البنات تجيء ضاغطة تجاه إيماءات

---

(1) أضواء على تعليم المرأة المسلمة: 14، منير محمد غضبان، المركز العالمي للتعليم الإسلامي - مكة، دط، دت.

(2) اليمامة العدد 273، الموافق 22/ 11/ 1380هـ، (حول التعليم في مدارس البنات)، ص8.

(3) العدد 47، الموافق 12/ 5/ 1380هـ، (كلمة وكليمة - مدارس البنات)، ضحيان العبدالعزيز، ص9.

المسؤول الإصلاحية[1]، ولم يُدركوا أنَّ ما كانوا يشعرون بقلَّته من الإصلاح هو جريمة كبرى يُصنفها الممانعون لهذا الرئيس . كما مرَّ .، وهذا دالٌ بصراحة على روح الاستقطاب الكبيرة التي كانت تشغل المجتمع إبان ذلك، وأنَّ صراعات التيارات قائمة على تباين في المناهج والرؤى، وهو منهج لم تستقل به فتنة القول

(1) مما تجدر الإشارة إليه هنا الإشارة إلى ما كشفه الأستاذ عبدالله خياط بقوله : لعل مما لا أنساه أنني كنت مسافراً بالخارج ويوم وصولي إلى جدة نشرت عكاظ خبراً بعنوان: "فاتن أمين شاكر تحضر مؤتمرا للحب".. ولم يكد يؤذن الظهر حتى أبلغني الأستاذ عزت مفتي مدير إدارة الإعلام بفرع وزارة الإعلام بجدة أن معالي وزير الإعلام يطلب حضوري للرياض هذا المساء. وبالفعل توجهت عصراً واستقبلني الأخ فهد العيسى مدير مكتب عكاظ بالرياض وأخذني إلى مكتب وزير الإعلام الذي كان ساعتئذ يترأس اجتماع اللجنة العليا للإعلام بمكتبه بعد صلاة المغرب.. فأرسلت له بواسطة مدير مكتبه السيد ماجد الحسيني ورقة تبلغه بوصولي فوجهني بمراجعة معالي الشيخ محمد النويصر.. فذهبنا إلى مكتب الملك بالمعذر ولكنا لم نجد أحداً، فقيل لنا اذهبوا لقصر الملك.. وعندما ذهبنا إلى القصر كان الملك قد غادر المجلس.. فأعادونا للمكتب بالمعذر وجلست والأخ فهد بمكتب الشيخ محمد النويصر حتى وصول الملك رحمه الله، وبعد حين أخذني الشيخ النويصر لمكتب قريب من مكتب الملك أعتقد أنه مكتب الشيخ صالح العباد رحمه الله.. وهنا جاءني معالي الدكتور رشاد فرعون الذي قال: ربنا أكرمك اليوم فقد جاء نفر من طلبة العلم وبيدهم عكاظ المنشور على صفحتها الأخيرة هالخبر - خبر فاتن شاكر - وهم يحتجون على تعليم البنات الذي وصل بنا لحضور مؤتمر للحب !!فقلت لمعاليه: يشهد الله أني لم أسمح بنشر الخبر فقد جئت من لبنان البارحة.. وقد حققت فيه اليوم قبل حضوري فعلمت أن الخبر هو عن مؤتمر التعاطف ولكن المترجم استبدل الكلمة بالحب. قال: كيف ما كان.. لقد أحرجتمونا وقد لا تعرفون أن جلالة الملك بذل الكثير من الجهد وقدم الشيء الكثير لتعليم الفتيات.. وكم عانى من أجل تعيين ممرضات في المستشفيات حتى أصبح ذلك شيئاً مألوفاً، وإن تعليم البنات يحتاج لشيء من التعاون لكي ينتشر التعليم الذي ينهض بالمرأة. قلت: هذا صحيح. قال: طيب كيف ذلك وأنتم تنشرون مثل هذه الأخبار التي تعرقل مسيرة تعليم البنات.. خذوا بالكم من هذه المعوقات ولا تقدموا عليها. أخذ الحديث أكثر من ثلثي الساعة، وقبل أن يتركني معالي الدكتور بالمكتب قال: انتظر.. وبعد قليل جاءني الشيخ محمد النويصر وأخذني لمكتب الملك الذي كان يطالع المعاملات.. وأمامه الشيخ صالح العباد يكتب توجيهات جلالته على المعاملات. قلت: مساك الله بالخير، وهنا أشار عليَّ الدكتور رشاد بالجلوس. بعد حين رفع الملك رأسه وقال: "علمك الأخ رشاد". قلت: نعم مولاي. قال: "تعليم المرأة سيساعد على نهضة بلادكم فلا تعرقلوه بهذه الأخبار هداكم الله" (صحيفة عكاظ، العدد 15234، الاثنين، 7/ 5/ 1429هـ).

بتعليم البنات، وإنما حدث ما يماثله في التعليم النظامي للبنين، إذا نجد أن الحرج والجدل والمعاناة الذي كانت تلاقيه الحكومة من الممانعين قد قابله ضغط من المؤيدين، ولذلك وجدنا الأمير مساعد بن عبدالرحمن يقول: «أسست الحكومة بعض المدارس النظامية في مختلف أنحاء نجد، ولكنها لم تثمر الثمرة المرجوة بعد[1]»، وهو نقد لايخفي أسبابه، وإنما يصرح بأنها تشمل أسباباً مختلفة، ومنها موقف طلبة العلم.

وكان من التداعيات اللطيفة، أن العالم الفاضل الذي تم الاستشهاد به سابقاً . وهو مثال مهم على هذا الاتجاه العلمي . قد وجد فتوراً في قبول خطابه الذي تم الاستشهاد ببعضه، فقال: «وقد انتقد بعض القراء كلمتي السابقة عن مدارس البنات، متباعدين وقوع ما أشرت إليه؛ ولعلهم الآن عذروا، بعدما رأوا وسمعوا عن لباس البنات الخاص بالمدرسة، وركوبهن الأتوبيسات سافرات؛ وليس الخبر كالعيان[2]»، وهو موقف ثقافي مبكر تجاه هذا الخطاب، وأحسب أنَّ الاستدلال الحديث بلباس البنات أشد وقعاً من الاستدلال السابق، خاصة إذا استصحبنا المطالبة الدينية المعاصرة بضرورة التمسك باللباس الخاص للبنات، ووجوب المحافظة على نوع من الألوان، وألا يتاح للطالبات اختيار ما شئن من الملابس، منطلقين بأنَّ اللباس الخاص بالطالبات هو الأكثر حشمة ومحافظة! وهي رؤى تفتح لنا باب الرصد للتحول الاجتماعي والطبقي للأفكار، وأنّ الاعتياد والمماسة للأفكار والرؤى يمنحها نوعاً من التكريس والاقتناع، كما أن هناك طيفاً من الآراء يرفض الفكرة لجدّتها فقط، مع أنها قد تكون أقرب إلى مبادئه ومسلماته، وذلك لأنه الآن في حمأة الجدل والصراع مع واقعه أو خصومه، وحين يبتعد عن

---

(1) نصيحتي إلى إخواني في الدين والنسب: 24.

(2) الدرر السنية: 16/ 81، وفي سياق قريب من هذا ما يذكره الدكتور محمد الشويعر عن أحد الممانعين في وقت الملك فيصل كان عنده اثنتان وعشرون بنتاً، ولم يدخلهن المدارس، وبعد انتشار المدارس أقنعه الناس بذلك، فاشترط أن يقف الأتوبيس أمام بيته لنقل بناته ذهاباً وإياباً، فوافقت الرئاسة من باب تأليف القلوب على شراء أتوبيس حمولة 24، لأن أتوبيس الرئاسة كبير لايستطيع الدخول إلى بيته، فتحققت مصلحة ذات أثر عند أهل البلد. انظر: محاضرة الدكتور محمد بن سعد الشويعر التي ألقيت في نادي مكة الثقافي بتاريخ الثلاثاء 15/ 08/ 1428هـ بعنوان (من الذاكرة: محطات في بدايات تعليم البنات في المملكة).

حدّة المعركة، أو ضراوة الفتنة، فإنه سيخالف آراءه السابقة، وربما ثار المتأخر على المتقدم، ورأى الراصدون حدوث انشقاق في هذا التصرف على مبادئ التيار أو الحزب أو الجماعة، مع أنّ موقف المتأخر متناغم جداً، ولا يختلف عن المتقدم أو الرمز، ولكنه خضع لمؤثرات تختلف عن مؤثرات المتقدم، ولو انفصل المتقدم عن واقعه ومحدّدات مجتمعه وضغوط المنافسة مع الخصوم لعاد إلى مواقف المصالحة، وكأنَّ مواقف المتقدمين تأتي استجابة للواقع العملي، وليس للواقع النظري والعقلي المحض، وحين «تتغير الحياة، فيتغير كذلك الوعي الاجتماعي، تظهر آراء وأفكار جديدة، فتشتبك في صراع مع الآراء والأفكار القديمة التي استنفدت عصرها[1]».

ولاشك أنَّ المجتمع والعامة حين يتلقّون هذا الخطاب الشرعي الذي يستدل بالثابت الشرعي على المتحول الاجتماعي لابد أن يمتلئ قلبه بالحذر والخوف، وفي ظل بساطة المنجز الحضاري والتقني وسهولة اختراق العقل البشري سوف يجد المجتمع البسيط في التعليم خطراً أكيداً، ومن هنا تكاثرت الفئات التي ترفض تعليم البنات، وتنطلق في رفضها من منطلق ديني تتعبد إلى الله بالقيام به، ولا أحسبها ملومة وهي تستمع الرأي الذي تعتقد بشرعيته وأنها تتعبد إلى الله به، وهو يقول «إنه لا يرضى بهذه المدارس إلا من لا غيرة عنده، ولارجولة ولادين، والغالب أنَّ الراضين بها والمستحسنين لها من دعاة الفجور[2]»، وهو خطاب يرفض هذه المدارس، وينفي الغيرة والرجولة والدين عن الراضين بها، ويسلك الدعاة لها في سلك دعاة الفجور، وهو خطاب يتجاوز وظيفة الفتوى إلى منهج آخر، إذ إنَّ العامة سوف يستقبلون هذا الخطاب بوصفه تحريضاً على هذه المدارس، وتجييشاً للحس الديني ضدها، فكيف يفصل المجتمع بين خطاب الدولة والعلماء الذي يدعو إلى المدارس، وبين هذا الخطاب الذي يحرّض عليها؟

وكان من أنماط التحول، البحثُ في حدّ التعليم، وما الواجب أن تقتصر البنات عليه؟ وهل يمكن تشريع اقتصار التعليم على مستوى دون آخر، وقد كان لافتاً أنَّ مدير التعليم السابق بمنطقة عسير، يقول: «إن تعليم المرأة ضروري

---

(1) عرض موجز للمادية التاريخية: 138، بوستنيك وسبيركين، دار الفارابي . بيروت، ط1، 1981م.

(2) الدرر السنية: 16/ 83 . 84.

كضرورة الماء والهواء، ولكن لايتجاوز تعليمها المتوسط، أما تعليمها الجامعي فلا نحبذّه، ولا نميل إليه[1]»، وهذا التحول يأتي من خلال وظيفة صاحب الرأي، فوظيفته تقطع بأنه من المؤيدين المشاركين في تعليم الأولاد، ومن غير الممانعين من حيث المبدأ بتعليم البنات، ولكنه رافض للمواصلة التعليمية، وهو رأي يجد سنده في الإرث الثقافي العام، ويجد نظائره في البلدان الأخرى، فها هو ذا العلامة الفاسي الموصوف أوالمتهم . باختلاف الموقف الفكري من مشروعه . بأنه من دعاة تحرير المرأة في المغرب، يطالب بتعليم المرأة، ويرى أنه من الممكن أن تصل إلى رتبة الاجتهاد في الدين، ولكنه يطالبها في غير علوم الدين أن تقف عند حد التعليم الابتدائي، وبعد السنة التاسعة أو العاشرة من عمرها تُكمل تعلمها . إن شاءت . في البيت[2]، وهي رؤى تتقاطع مع الرؤية التي نعالجها الآن، وترتفع بها من الواقع المحلي أو الجغرافي إلى أبعادها الرؤيوية العامة.

---

(1) فتاة الجزيرة: 22، والقائل هو الأستاذ علي بن محمد التويجري، وقد جاء في فتاوى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم (222 . 223) ما يلي : (4574- هل لتعليم البنات حد؟) "المسألة الثانية" عن تعليم البنات، وهل له حد ومتى تكف عن الدراسة إذا بلغت كم من عمرها؟

الجواب: ليس للدراسة حد في ابتدائها ولا في انتهائها، فما دامت الفتاة تستفيد من دراستها علماً نافعاً، ولا يترتب عليه أي مفسدة فلا مانع من مواصلتها الدراسة، وإذا كانت الدراسة لا تزيدها إلا نقصاً في دينها وانحلالاً في أخلاقها، وتبرجاً وتهتكاً تعين حينئذ منعها منها.

(ص/ ف 6681/ 1 في 19/ 9/ 1385هـ)

(2) تعليم الفتيات: 32، 34، 69.

سياسة الزمان الحاسم ..

يمتلك العقل البشري أفقاً من الخيال يمنحه القدرة على الامتداد والتحول، ولكنَّ لحظات من التاريخ يبدو فيها العقل أقلّ قدرة على النفاذ والتقدم من الحضارة والتقنية، وفي تلك اللحظات يصبح العقل أسيراً للحظة من التاريخ عاشها، ومن خلال أفقه الصغير يُحاكم العالم، وبدلاً من الركض للحاق به، يكلف نفسه الإمساك برقبة التاريخ كيلا يبتعد، أو لكي يعيده سيرته الأولى.

وحين تنفتح الحضارة أمام عين المتقوقع في ذاته، يتحفزُّ العقل لمواكبتها بطريقته، ولأنه لايملك مفاتيحها، يلجأ إلى توصيفها ومقاربتها بوصفها عدواً غاشماً، أو خطراً أخلاقياً، أو خروجاً على هدي الآباء والأجداد، وحين يتماسّ هذا المنجز الحضاري مع فهم ضيق لنصوص الوحيين؛ فإنّ هذه العقلية قادرة على طمأنة نفسها بمحاربة هذا المنجز، حذراً أو هرباً من الدخول في مغامرة الحوار معه، ولأن العقل البشري قد يخادع نفسه معتقداً جودة المنهج الذي يسير عليه، ولم يفطن أنه وقع في أسْر الألفة والاعتياد لا الجودة، وأنه يمتلئ خوفاً من المختلف والجديد، وخاصة أنه لايملك آلية التعامل معه، ولذلك يرفضه، وإلى شيء من ذلك يُلمح الشيخ محمد العبودي حين فسَّر رفض أهالي القصيم لتعليم الأولاد أنهم «لايريدون لهم أن يكونوا على غير ما عليه الآباء، لاسيما إذا ما اقتضى الأمر الاستعانة بمدرسين أجانب[1]»، فهو واقعون تحت سلطان الألفة لا التميز والجودة.

ونبعت فتنة القول بمنع تعليم البنات في بريدة خاصة، إثر معطيات عدة ـ سبقت الإشارة إليها ـ، ومنها المقايسة التي يُجريها العقل مع واقعه وواقع المجرّبين قبله، ومن خلال فهوم متواضعة عند بعض الممانعين يصل العقل إلى الرفض والممانعة، ولذا فقد كان السبيل إلى حلٍّ هذه الإشكالية من خلال التاريخ

---

(1) التعليم في القصيم: 11.

أكثر سهولة وحزماً للدخول في معركة مغالبة العقل ومحاورته، أو أنَّ منْ لايقبل التحول والتغير من مسلمات العقل يسعى إلى أن يوكل أمره إلى التاريخ، فالتاريخ كفيل بمهادنة العقل ومخادعته، أو إلزامه بقبول المتغيِّر الحضاري، لأنَّ جزءاً من مسلماته قد ذاب، وهو ما تمَّ في شأن افتتاح مدرسة البنات في بريدة.

فافتتاح المدارس شرط ومتغير حضاري لابدّ من قبوله للدخول في هذا العالم، وسواء تمَّ وفق مفاهيم الحضارة كافة، أو وفق تهذيب ومعالجة لتنقيحه وأسلمته أو عوربته . أو ما شئنا من مسميات بعيداً عن الموقف منها .، ولكنّ قبوله حتمي، وحين أدركت الحكومة ذلك أذنت وأمرت به، ولقد استشعر المؤيدون بأنَّ تعليم الفتاة نتيجة تُفضي إليها سيرورة التاريخ، فضلاً عن أنَّه لا مانع ديني ولا سياسي ولا اجتماعي يحول دونه، «وبالتالي سوف تؤسس مدارس البنات مهما اعترض المعترضون، لأن الغالبية العظمى من أهالي هذه المدينة ينتظرون فتح هذه المدرسة بفارغ الصبر، ولأنَّ كافة المواطنين أصبحوا يدركون ضرورة العلم للذكور والبنات[1]»، ومع ذلك فقد مارس المؤيدون ضغطاً إعلامياً ضخماً، وأحسب أنه مؤشر حرية واسعة، وجاءت كتاباتهم كاشفة عن التحولات المعرفية والثقافية في بيئاتهم، وكيف تتم النقلة الحضارية في مجتمع يوشك أن ينهض، ومارس الممانعون ضغطهم الاجتماعي، وهو ردٌّ طبيعي ومتوقع تجاه ما يتوقعون منه شراً أو أفقاً لايعرفون مداه.

ولأنَّ الجميع خاضعون لشروط لحظتهم التاريخية، ومَنْ يراهن على المستقبل، ويجتهد في الوصول إليه، ويقاوم عثرات الطريق أمامه، لايلزم له أن يفوز بلحظته الحالية، وهو ما كان بالفعل، فالظفر المؤقت صار بيد الممانعين، ورضخت الحكومة لمطلبهم، وتحولت لحظات الفرحة والسرور عند المؤيدين[2]، إلى ساعات من الأسى والحسرة عندما لم ترد مدينة بريدة ضمن المدن التي أُعلن نهائياً عن افتتاح المدرسة فيها[3]، وأنَّ افتتاحها أصبح في كف القدر[4]، وجاء بيان الرثاء من قبل ضحيان العبدالعزيز، حين تأكد لهم أنَّ الممانعين ربحوا

---

(1) العدد 36، الموافق 23/2/1380هـ، (كلمة وكليمة)، ضحيان العبدالعزيز، ص 1.

(2) العدد 37، الموافق 1/3/1380هـ، (كلمة وكليمة)، ضحيان العبدالعزيز، ص 1.

(3) العدد 47، الموافق 12/5/1380هـ، (كلمة وكليمة)، ضحيان العبدالعزيز، ص 1.

(4) اليمامة العدد 254، الموافق 7/7/1380هـ، (القصيم ومدرسة البنات)، سليمان المسلم.

الجولة، فقال: «أخيراً أُسدل الستار. نعم. أُسدل الستار، فقد انتهى وضع مدرسة بريدة لتعليم البنات إلى تجميد المدرسة، وتعميد المديرية العامة لتعليم البنات بعدم افتتاحها، ونحن إذ نسوق هذا الخبر لانقصد منه إلا اطلاع القراء على الحقيقة التي آل إليها أمر هذه المدرسة، ونحن وكل قارئ يحزُّ في نفوسنا جميعاً الأسى على الآمال العظام التي كنا نعلقها على تثقيف وتعليم أمهات الأجيال القادمة[1]»، وهو بيان دام من الحسرة والتفجع، ويتضح فيه أن الكاتب يرثي فيه الأمل والعلم والمستقبل في مدينته، ولذلك جاءت بقية كلمته منصبة على الأمل في بقية مدن القصيم، ويُذكّر مواطنيه بأنهم حرموا زملاءهم من حقوقهم في تعليم بناتهم، ومن هنا تحوّل الكاتب إلى الكتابة عن ضرورة المدارس الأهلية في مقالاته الجديدة، وبتفسير ثقافي أقول: إنَّ هذا المقال وأمثاله ـ مما نُشر في القصيم وغيرها ـ يكشف عن موقف الإعلام المتعاطف جداً مع افتتاح مدارس البنات، ويُشير إلى طبقة متقدمة من المثقفين والرواد الذين يقلُّ حضور أمثالهم وأدوارهم الريادية الآن، كما يُشير بأنه لم يكن لتنشر هذه المقالات والمطالبات إلا لأنَّ الحكومة لاتجد في ذلك ريباً، ليس ـ فقط ـ للحرية التي تتضح بجلاء في تلك الفترة وفي صحف الأفراد خاصة، وإنما لأنَّ الحكومة قد ارتضت هذا النهج، ورأت فيه مساحة لاختصام الآراء وتصالحها في الأخير، أونزولها على قناعة موحدة، وحين قبلت رأي الممانعين، فإنه قبول مؤقت أو مرحلي، يكفل لها إرضاؤهم، والحكومة حين تتيح للأصوات الأخرى أن تتنفس تكون بذلك أتاحت لهم حريتهم والتعبير عن مشاريعهم التي تؤمن بها، وهم بذلك سيكونون قوة ضغط تجاه الممانعين في هذه المدينة، وتمهيداً لتنفيذ الإرادة الملكية السابقة.

فالمؤيدون يقطعون بأنَّ الحكومة مؤمنة بضرورة تعليم البنات، ولولا ذلك لما أذنت وأمرت في البداية، ولكنها استجابت لصوت الممانعة، وهذا دالٌّ على قوة هذا الصوت وتمكُّنه ونفوذه، وقد استجابت الحكومة لهم تطييباً لخواطرهم كما يرى المؤيدون ويطالبون بألا تتجاهل الحكومة خواطر البنات[2]، وهي استراتيجية مرحلية من الحكومة، فقامت بتجميد المدرسة لامنع إقامتها مطلقاً، ولذلك لم تمنع الكتابة حول هذا الموضوع، ولم تُعِد مدرسة الراشد إلى مهديها،

---

(1) العدد 51، الموافق 10/6/1380هـ، (كلمة وكليمة)، ضحيان العبدالعزيز، ص 1.

(2) العدد 47، الموافق 12/5/1380هـ، (كلمة وكليمة)، ضحيان العبدالعزيز، ص 9.

لأنَّ أبجديات المُلْك لاتسمح دائماً بالنكوص عن القرار، وهو ما يتكرر في هذه القضية وفي كل زمان ومكان، ولكنها قد تتسامح بتأجيله، والبحث عن الوقت الأنسب، والظرف الأوفق، واللجوء لعنصر الزمن في حسم القضايا وتعميق الوعي بها، ولذا جاء الإعلان عن مناقصة توفير المقاعد وبعض الأثاث لمدارس البنات في كل من: الرياض ومكة وجدة والمدينة والدمام وأبها وبريدة[1]، وهو إعلان يحمل في رحمه الإشعار باستمرار النية على افتتاح المدرسة، أو بعدم الاستقرار في شأنها؛ بل إنَّ الرئيس العام لمدارس البنات يشير إلى أنَّ رئاسته «تلقّت أوامر من الجهات السامية بإرجاء افتتاحها[2]»، فنحن أمام لحظة استثنائية قضت بتأخير الافتتاح لامنعه.

والواقع أنَّ الحكومة رأت أنَّ تأجيل الافتتاح، والإعلان عن تجميد المدرسة سيحقق نتائج عدة، إذ ستظل مدرسة البنات أملاً يداعب الجميع، وسيشعر الممانعون ـ وهم قوة اجتماعية مهمة ـ بالنصر، وستكون حركة الإعلام ونتائج المدارس الأخرى في المملكة ونجاحاتها بمثابة الضغط القوي باتجاه ضرورة افتتاح مدرسة بريدة للبنات، وإقناع الممانعين، وهو ما حضر بقوة في حفل افتتاح المعرض العام لنتاج طالبات المدارس الحكومية الذي شرَّفه الملك، وجاء حفلاً يصبُّ في خانة الإيمان بجدوى الفكرة، وأهمية المبادرة فيها، ولذا فقد كان التأكيد واضحاً على الإرادة الملكية بتعليم الفتاة، ومناداة الملك بناصر الفتاة، وأنَّ الصعوبات الكثيرة ما كانت لتزول لولا جلالته، والاحتفاء بإشراف المفتي الأكبر على المدارس، وقلب المعادلة بحيث تكون المدارس خيراً للبنات من بقائهن في بيوتهن تتقاذفهن الأفكار السوداء، وهي الردود القوية على المتخوفين من تعليم المرأة[3]، وهو خطاب واضح الاتجاه، وأن الدولة تتجه إلى تعميم مدارس البنات، وهي لذلك ترسل رسالة مبطنة إلى المجتمع بجدوى الفكرة والعزيمة عليها، ويؤكد على أنَّ مدرسة بريدة للبنات في وضع التجميد لا المنع، وهو موقف لافت، إذ يأتي عكسياً لما حدث في تعليم الأولاد، فأهل الرياض تأخروا في قبول ذلك حتى رصدوا تجربة التعليم عند غيرهم كالقصيم.

---

(1) العدد 52، الموافق 17/ 6/ 1380هـ، ص 9.

(2) اليمامة العدد 308، الموافق 8/ 8/ 1381هـ.

(3) العدد 73، الموافق 24/ 11/ 1380هـ، (أخبار الأسبوع)، ص 2.

وقد التفت المؤيدون لهذا المنحى، فقال ضحيان العبدالعزيز شارحاً أسباب تجميد المدرسة، وأنَّ خطوة الحكومة جاءت: «أملاً في إزالة ما علق في أذهانهم من خوف لنتائج تعليم البنات[1]»، وهو يشكر الحكومة لمنهجها المرحلي في مهادنة الممانعين، وإلى هذا يشير ويُفصِّل غانم الغانم، فيقول: «بعد رأي شديد اتفق على تأجيل افتتاح المدرسة في عام 1380 حتى مستهل عامنا هذا 381، وقد جاء هذا الرأي الصائب تمشياً مع أفكار المعارضين، وخطوة أساسية لإنشائها في مطلع هذا العام، والذي نعرفه أن هذا الرأي تضمن شرطاً هو إتاحة الفرصة لأولئك المعارضين لكي يتعرفوا خلال عام كامل على نتائج المدارس التي تم افتتاحها في الرياض والحجاز والمنطقة الشرقية؛ فإذا كانت سارة وافقوا على إنشاء مدرسة في بريدة، وإذا كانت خلاف ذلك فإنهم لن يقبلوا بحال من الأحوال وجودها بين ظهرانيهم[2]»، وهي إفادات والتقاطات مهمة قرأها المؤيدون في خطاب الحكومة تجاه الممانعين، ولئن كان موقف بعض المؤيدين غير مُسلِّم، لأنهم لم يُرحّبوا بتفاصيل هذه الخطوة، إلا أنهم فهموها، وطالبوا بتطييب خواطرهم هم أيضاً، واحتجوا بغالبيتهم تجاه الممانعين، ومع ذلك فإنَّ هذا الموقف يكشف عن تمكّن واضح للممانعين الذين فرضوا صوتهم وشروطهم، ويمكن لنا أن نتخيل هذه الفئة وهي تملي اشتراطاتها على الحكومة، فيتم الاصطلاح على أن تنظر في تجربة التعليم للعام الأول، فإن راقها الوضع قبلته، وإنْ لم يرُقْها رفضته، وهي محاورة ديمقراطية، ولكنك حين تضعها في سياق التعاطي بين فئة وحكومة، تدرك مبلغ هذه الفئة من النفوذ، وتدرك منهج الحكومة في سياسة هذا الاتجاه[3]، وأحسب أنَّ ذلك يعود لنمط التفكير السائد

---

(1) العدد 47، الموافق 12/5/1380هـ، (كلمة وكليمة ـ مدارس البنات)، ضحيان العبدالعزيز، ص9.

(2) العدد 93، الموافق 23/4/1381هـ، (فتاة بريدة تناشد المسؤولين)، ص 3.

(3) يشار إلى أنه بالرغم من افتتاح المدارس، وفرض الحسم المنطقي، إلا أن الحكومة ظلت تترقب وتتوجس وتدافع عن قرارها، وتظل في حمأة القلق تجاه مواقف الممانعين، وما قد يجدونه من مسوغات يظنون فيها سبباً لقلقهم وتخوفهم، وظلت الدولة لمنهجها السياسي العام ولحذرها في هذه القضية ترقب مسيرة التعليم وتترقب مواقف العلماء، ولن يفهم هذا القول إلا بالوعي بقيمة العلماء في نظر الدولة، وخاصة في ذلك الوقت، ومما يتصل بموقف الدولة من العلماء وتقديرها لهم، ما يذكره الشيخ حمد الجاسر حين استغنى الشيخ محمد بن إبراهيم عن عمل الشيخ حمد الجاسر، وأن منهج الاستغناء عن خدماته جاء مخالفاً. وفق رؤية =

في نجد آنذاك، وهو الولاء للسائد من القول والفعل، وأنَّ الفكرة المضادة للمنطق حين يتعايش معها الإنسان، فإنه يتصالح معها، بحيث تكون أشبه بالحقيقة العلمية والدينية أيضاً.

وقد تنفَّس الممانعون الصعداء بعد هذا المنع، ووجدوا فيه بُغيتهم، ويبدو أن صوتهم الممانع قد خفت لاعتقادهم بانتهاء المهمة، ولكن المؤيدين مارسوا الكتابة والدعم الإعلامي بشكل تصعيدي في صحيفة القصيم وغيرها.

ومهم هنا أن يتم استدعاء موقف الملك عبدالعزيز إبَّان الممانعة تجاه مدارس الأولاد، فهو الذي أمر بجمع الطلاب من مدن نجد وإلحاقهم . وإنْ بالقوة . بمدارس دار التوحيد، وهو الذي حين افتتحت مدرسة بريدة واجتمع الأعيان بعد تعيين الأستاذ موسى عطار فيها، وكاتبوا الملك بطلب إغلاقها، قال لهم: أما وقد فتحت، فلاسبيل إلى إغلاقها، ولكن اختاروا من أبنائكم من يقوم بها[1]، بل إنَّ الملك عبدالعزيز حين قابل الأستاذ فهد العبدالعزيز السعيد . أحد رجال التعليم في عهده وأول من افتتح مدرسة في رياض الخبراء . قال له: يا ابني، أنت فتحت المدرسة، والناس قد لايفهمون التعليم في أوله، وأنت طالب علم، ومن أهل نجد، فاحرص على السير معهم، وتلبية مطالبهم، واحرص على الهدوء، لتجعل الأهالي يحبُّون العلم[2]، وهي النماذج التي تكررت تماما مع تغير الأشخاص والتواريخ والقضايا.

وقد أشار الراصدون لسيرة الملك سعود بن عبدالعزيز بأنه قام بالمنهج المرحلي في تعليم البنات انطلاقاً من أسرته فمجتمعه الصغير وانتهاء بالبلاد بشكل عام، فـ«قضية تعليم المرأة، وبخاصة في نجد، كانت تقابل بالرفض الاجتماعي، وحتى يتقبل المجتمع فكرة تعليم المرأة، قام الأمير سعود بن عبدالعزيز . ولي العهد . بالبدء في تعليم بناته في المدرسة فأحضر مدرستين عام

= الشيخ الجاسر. لنظام الموظفين، ولذلك رغب في تشكيل لجنة للتحقيق، فقال له الملك سعود: أنت خبل؟ تبينا نشكل لجنة تحاكم الشيخ محمد؟ راتبك نأمر باستمرار صرفه لك، ولاعليك من الشيخ (من سوانح الذكريات: 2/ 923).

(1) من حوار الدكتور صالح الوشمي مع الشيخ فهد السعيد رحمهما الله (حوار مسجل بتاريخ 25شهر جمادى الأولى 1405هـ).

(2) المرجع السابق.

1367هـ[1]»، وفي عام 1370 هـ أحضر الملك سعود (أربع مدرسات من فلسطين لتدريس اللغة العربية والرياضيات واللغة الإنجليزية والتاريخ والجغرافيا)[2]، ويرصد الأمير سلمان بن سعود نقطة دلالية مهمة في موضوعنا هنا، إذ يقول: «وكان من أهم أهداف الملك سعود يرحمه الله في تعليم بناته تأييد تعليم الفتيات في ظل ظروف اجتماعية سائدة تعارض هذا النوع من التعليم، وكان يطمح من وراء ذلك إلى تشجيع المواطنين لتقبل فكرته بعيداً عن فرضها على المعارضين، وتحقيقاً لهذه الغاية بدأ في إرسال المدرسات إلى منازل أفراد الأسرة؛ لإقناعهم بأهمية تعليم البنات، واستخدام أسلوب التدرج في الإقناع بما لا يتعارض والرفض التام لها من معظم شرائح المجتمع »[3].

وتذكر صاحبات السمو من بنات الملك فيصل عن تعليم الفتاة «أنه عندما اقتنع الملك الفيصل بتعليم البنات بدأ ببناته، حيث حصلن جميعهن على نصيب وافر من التعليم سواء داخل المملكة أوخارجها، وكان هذا الأمر بشكل علني، ومعروف لدى الجميع بأن الفيصل يلحق بناته بالتعليم، وقد بعث ابنته لولوة إلى سويسرا لتتعلم»[4]، وتؤكد الأميرة لولوة الفيصل عن مساندة الملك فيصل لتعليم البنات، فتقول: «منها العمل، وكان قبل إقرار التعليم. الحقيقة من أبناء الملك عبدالعزيز ابتعثوا نساء للدراسة في الخارج، حتى يرجعوا ويعملوا في الوطن. عندما كان الملك فيصل رحمه الله ولياً للعهد، ولذلك كان يرى أن المرأة التي تعلمت لابد من أن تقدم خبرتها للوطن»[5].

وهاهم الممانعون يفدون على الملك فيصل . ولي العهد وقتها .، ويتعلقون به «ليأمر بإغلاق هذه المدرسة ... وتوسلوا إليه أن يُجنب الفتاة السعودية ما يمكن أن يلحق بها عن طريق المدرسة، وناقش الأمير فيصل الاعتراضات التي سمعها، واستخدم كل فصاحته ليقنع المعترضين بأن تعليم البنات عمل خيّر، ... فلما أصرّ المعترضون على اعتراضهم، أصر فيصل على أن الدولة لن تغلق أبداً المدرسة

---

(1) تاريخ الملك سعود الوثيقة والتاريخ: 3 / 81.

(2) المرجع السابق: 3 / 81.

(3) المرجع السابق: 3 / 81 . 82.

(4) صحيفة الرياض، العدد14568، الموافق 8/ 5/ 1429هـ، (في حديث لوسائل الإعلام)، ص37.

(5) صحيفة الرياض، العدد14561، الموافق غرة جمادى الأولى 1429هـ، ص6

التي فتحتها للبنات، حتى ولو لم تأت إليها ولا فتاة واحدة لتتعلم، وقال للمعترضين: إن الدولة تفتح المدرسة تنفيذاً لواجبها تجاه المجتمع، ولكنها لاتملك إكراهكم على إرسال بناتكم إليها... وأخيراً تمسك المعترضون بوجهة نظرهم، وتمسك فيصل بما قال[1]»، وتلك سياسة المٰلك في حسم الحقوق المدنية الكبرى.

فالتدرج النظري والتطبيقي في عملية الإصلاح العلمي منهج ابتدأ منذ عهد الملك عبدالعزيز في تعامله مع قضية تعليم الأولاد، وقد رصده الدارسون وأشادوا به، وعدّوا معالجة الوضع الثقافي طوال فترة تعليم الأولاد هو بمثابة التمهيد لتعليم البنات، فكانت البداية من الرئاسة العامة لتعليم البنات التي تؤكد على أن المنهج المتبع حينها هو طريق التدرج، وأن تعليم البنات جاء بعد توافر الأسباب المادية والاجتماعية[2]، «ولم يكن هذا التأخير عن إهمال أو إنكار لحق المرأة في التعليم، بل يرجع أساساً إلى سياسة التدرج في الإصلاح التي اتبعتها الدولة بغية التوصل إليه بتكوين العقل العام المتقبل له، حيث كان على الدولة أن تواجه اختلاف الرأي حول طريقة تعليم البنات، والتفاوت الكبير في اتجاهات أفراد الأمة حوله[3]»، فعلاج الممانعة القوية لتعليم البنات ليس بالاصطدام مع

---

(1) معجزة فوق الرمال: 825،824، ويقول الأستاذ منصور النقيدان متحدثاً عن أحد المشاركين في الوفادة على الملك فيصل: كان صاحبنا هذا من أعيان الأخوان إلا أنه كان مستبعداً من قائمة أسماء النخبة التي يجري اختيارها ضمن الوفود إلى الأمراء وولاة الأمر في القضايا الطارئة والنوازل التي تستوجب مناصحة وتنبيهاً، لقد شارك في أكثر من وفادة وتسبب كلامه أثناء اللقاء بإفشال المهمة فلم يعد بعدها مرغوباً، وكان واحداً ضمن أسماء قليلة تحدثت بحماس بين يدي صاحب السمو وزير المعارف 1381، مبدين اعتراضهم على افتتاح أول مدرسة للبنات ببريدة، ولكنه لم يكن هو الوحيد فقد شاركه آخرون كان من ضمنهم الشيخ صالح، وكانت كلمات الشيخ الجريئة إحدى أكبر أسباب طرد الوفد الكبير من الرياض، وقال لي أحدهم في عام 1408" قبل عودتنا من الرياض إلى بريدة استضافنا أحد كبار الشأن على الغداء وذبح لنا أربعين خروفاً، فتفاجأنا بخدم الملك فيصل وقد وقفوا على رؤوسنا والعصي بأيديهم وقالوا لنا مهددين: يقول طويل العمر لاتغيب الشمس وأنتم بالرياض وإلا سقناكم بالعصي" انظر:

http://www.burnews.com/articles.php?action=show&id=562

(2) تعليم المرأة خلال مائة عام: 205.

(3) المختار: 147.

التقاليد الموروثة، بل لابد من عامل الزمن[1]، ولعل هذا الحذر ينبع من الخلل المنهجي الذي وقعت فيه الدول الأخرى كمصر في مسيرة تعليمها للبنات، فتقول عائشة عبدالرحمن: «قبل أن تدرس الطرق الصالحة لاستجابة النداء وتحقيق الرجاء؛ اندفعت الفتيات إلى الميدان، وهكذا حُرمت الحركة. في دور الإنشاء. من سياسة بينة المعالم واضحة الحدود متميزة الأهداف، وأقيمت على الارتجال، فلم تعرف منهجاً بعينه تسير فيه، ولا هدفاً تسعى إليه، وكان كل ما يعنيها أن تستجيب لحاجة البلاد إلى تعليم البنات، وليس يهمها من وراء ذلك نوع التعليم ولا الغاية منه[2]»، وهي إشكالية ذات أطراف، ومن المهم فيها أنَّ الرؤية والمطالبة بالتأني هو شعار الجميع، ولكن: أين يقع الحق؟ وقد تفاوتت آراء الممانعين والمؤيدين، وكان إفساح المجال لإبداء آرائهم والحوار معها سبيلاً جيداً لفهمها والتعايش معها وإدراك مآزقها إلى أن وصلت الحكومة إلى هذا الإجراء المرحلي.

وهذا المنهج المرحلي هو ما يكفل بتهدئة القلق والتوجس عند الأهالي، إذ يرى الأستاذ محمد البشر كتفسير لهذه الظاهرة أنَّ «الكثير من أهل بريدة سافر إلى الخارج، فشاهد انفتاحا للفتيات في مصر وسوريا وفلسطين والعراق، فصار عند بعض منهم تخوف من انفتاح للفتاة يحصل بالتعليم ولو بعد حين[3]»، وهو تفسير حضاري وثقافي لموقف الممانعين، يسوقه الأستاذ البشر، ويماثله الشيخ عبدالله

---

(1) تاريخ التعليم في المملكة: 252، الدكتور علي شلبي، دار القلم. الكويت، ط1، 1407هـ، ويرى الدكتور بكري شيخ أمين أن الدولة لم تسع قصداً إلى تعليمهن في مستهل نشوء الدولة، لأن أوضاعها السياسية لم تستقر بعد، وحين استقرت بدأت بذلك واندفعت إليه (الحركة الأدبية 169).

(2) مجلة الثقافة، (تعليم البنات في مصر)، العدد 151، 19 شوال 1360هـ السنة الثالثة.

(3) من رسالة كتبها حول هذا الموضوع، وتجدها في الوثائق، وفي تغطية خالد عبدالرحمن لمحاضرة صاحبة السمو الملكي الأميرة فهدة بنت سعود يورد وجهة نظر تأتي لتؤصل لاتجاه آخر، فتجار نجد ومنهم العقيلات الذين كانوا يمارسون التجارة في الهند والعراق والشام ومصر مكثوا خارج البلاد لفترات طويلة بسبب المواصلات والحروب وعادوا إلى ديارهم كان لهم دور كبير في إحداث التغير التدريجي في تعليم البنات الذي اتسم بالنظام البسيط واقتصاره على تدريس القرآن في المنازل من خلال الكتاتيب (صحيفة الرياض، الجمعة 13 ربيع الأول 1429هـ -21 مارس 2008م - العدد 14515).

بن سليم الذي يرى أنَّ أسباب الممانعين ما هي إلا توهمات[1]، فهي نابعة من لحظات استشرافية قد تكون افتقدت شروط المنهج، ولكنها من خلال المقارنة لم تُرد أن تؤول البنات إلى ما آلت إليه بنات الدول المجاورة التي سبقت إلى تعليم البنات، وهذا هو ما يتقاطع مع كلام الشيخ محمد رشيد رضا حين صرَّح بأن الممانعين لتعليم البنات في مصر يخشون الفساد، «وليس لنا من هؤلاء المتعلمات في المدارس حجة عليهم، فإن آداب هؤلاء البنات غير مرضية، والسبب في ذلك عدم العناية بالتربية التي ملاكها الدين[2]»، ولاشك أنّ هذه المواقف والرؤى هي مفهومة في ظل إفصاحها عن روح القلق والرغبة في الاطمئنان، أي إنها تشفع لأولئك المتخوفين أو تُفسّر مواقفهم من هذه الناحية، ولكنها لا تفسر مواقف الذين رفضوا التعليم بإطلاق، أو حرموا بعض مواده؛ بل إنها تكشف المعضلة الحضارية التي يعيشونها، ولذا فالممانعة لم تقتصر على اتجاه العلماء، وإنما ضمت فريقاً متخوفاً هم أقرب إلى التجار، بالإضافة إلى العامة، وتم التعامل مع هؤلاء جميعاً وفق هذه الرؤية.

وهكذا استخدم المنهج المرحلي، وتم تأخير افتتاح مدرسة البنات في بريدة؛ طمعاً بإقناع الممانعين، وكانت المعضلة والمفاجأة أن التنزّل الواضح من قبل الحكومة للممانعين وتجميد افتتاح المدرسة لم يُفلح وفق طبيعة التخطيط الاستراتيجي له، وذلك بعد أن جاء «خبر مفاده مؤسف حقاً، هو معارضة هؤلاء الأناس من جديد لافتتاح مدرسة بريدة، وموافقة الجهات المختصة على إلغاء افتتاحها[3]»، فكانت مقولات المؤيدين وأطروحاتهم هي الأقرب إلى فهم القضية وفهم منهج بعض الممانعين الفكري، وأن مسلمات عقولهم لاتخضع لنجاح التجربة، إذ بالفعل، وبعد مضي عام كامل فشلت التجربة، وتجددت المعارضة والرفض بعناد وتحد وإصرار[4]، «ولما وصلت المعارضة إلى هذا الحدّ من

---

(1) من حوار الدكتور صالح الوشمي مع الشيخ فهد السعيد رحمهما الله (حوار مسجل بتاريخ 25شهر جمادى الأولى 1405هـ).

(2) مجلة المنار، المجلد 5، الجزء 5، ربيع الأول 1320هـ، ص 194.

(3) العدد 93، الموافق 23/4/1381هـ، (فتاة بريدة تناشد المسؤولين)، غانم الغانم، ص 3.

(4) العدد 90، الموافق 2/4/1381هـ، (فتاة بريدة ألا يؤذن لها بعد أن تتعلم)، صالح العبدالعزيز، ص 3.

المقاومة، بدت شجاعة ولاة الأمر في هذا البلد المؤمن بدينه، والملتزم بسلوكياته، وفرضت هيبتها، وفتحت المدارس بشجاعة، وهيأتها للراغبات في الالتحاق بها بيسر وأمان، وتركت للمعارض الحرية في الإحجام[1]»، ومما يجب أن يقال: إنَّ فكرة المهادنة أو إقامة الحجة نجحت، ويكفي أنها أعطت مشروعية كبيرة للمطالبين، وكشفت ضعف موقف الممانعين، وهي لذلك أشبه بالعملية الطبية المعقّدة التي يخرج الطبيب من غرفة الولادة مبتهجاً، ويقول: لقد نجحت العملية وماتت المريضة! فأبجديات العملية السياسية التي احتضنت فكر الممانعين نجحت، وإن كانت محدودة؛ لأنهم لم يتحولوا في مواقفهم، وإنما ازدادوا تمسكاً، فظهروا بوصفهم منعزلين عن المجتمع، وأيقن الجميع بأهمية تعليم البنات، وشاهدوا احتفاء الملك وإشراف المفتي الأكبر على نشاطها، وتواتُر العقول على إقرارها في الصحف والمدن المختلفة، ولذا وصفت مواقف الممانعين بالعناد والتحدي والسعي في المصالح والاعتبارات الشخصية والبحث عن النافع لهم وإهمال الصالح العام، يقال ذلك وقد مرَّ أنَّ من الأسباب التي حفزت هؤلاء إلى الممانعة من جديد تصريح الرئيس بتعليم الحساب والهندسة والجغرافيا، وإيجاد المعلمات الصالحات[2]، وهو ما أعاد القضية إلى مربعها الأول، وحين تفشل سياسات المداراة، فإنَّ منطق المُلْك يفرض الحسم القوي.

---

(1) تعليم المرأة في مائة عام: 214.

(2) الدرر السنية: 16/ 79 . 80.

خاتمة الختم ..

تقف المرأة السعودية الآن على أرض صلبة من العلم، وتُمثل بعض النماذج مرجعية كبرى في تخصصها، وقد حضرت في معظم القطاعات، وخاصة في التعليم والطب والتجارة، وامتدّ صوتها لتصل إلى الجمعيات العلمية والمهنية المحلية والعالمية، وشغلت مناصب متفاوتة الأهمية.

ونحن ندرك أنَّ تاريخ المرأة مليء بالمفارقات، وحين يتمّ تناول إنجازات المرأة لابد أن نستحضر التاريخ الوظيفي الذي مرَّت به وكابدته، فلم تصل إلى ما وصلت إليه؛ إلا بعد اختراق عدد من الحواجز الفكرية والاجتماعية وغيرها، وما تم تناوله في هذه الدراسة يعد شريحة أشبه بالأشعة المقطعية التي لاتُعنى كثيراً بما سبقها ومابعدها، وإنما تنظر في نموذجها خاضعة لسياقه العام.

ومما يجب لفت الأنظار إليه، أننا إزاء مجتمع مليء بأبعاده المتعددة، وهو يحمل الشيء ونقيضه، فنحن نجد امتداداً للطرفين؛ الممانعين والمؤيدين.

ونستطيع القول: إن تعليم البنات في المملكة العربية السعودية قد تم من خلال عدد من المراحل التي كانت تأتي وفقاً لدرجات الوعي المحلي، وتقوم الحكومة بقراراتها من خلال القياس الدقيق أو المقارب للدقة لما توحي به إمكانات المجتمع الحضارية، فكانت الخطوة الأولى هي البدء بالتعليم النظامي للبنين، وتأصيل ذلك بالأمر الرسمي، وكانت الخطوة الثانية بالإذن لمدارس تعليم البنات الأهلية ودعمها، وكانت الخطوة الثالثة بالإرادة الملكية بتعليم البنات والتنصيص على دور العلماء، ومنه إسناد الإشراف العام لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم واختياره للرئيس العام لتعليم البنات ليكون شخصاً محسوباً عليه، وكانت الخطوة الرابعة هي في استثناء مدينة بريدة بعد صدور القرار بافتتاح مدرستها، استجابة لمطالبات الممانعين بعد افتتاحها، ثم الخطوة الخامسة هي في افتتاح مدرسة تعليم البنات في بريدة، وجعل الأمر خياراً لا إجبار فيه من حيث الانضمام وعدمه، وكانت خاتمة الخطوات والمراحل ما تجسد بإلغاء الإشراف

المستقل المتمثل بالرئاسة العامة لتعليم البنات، وجعل الأمر مرتبطاً بوزارة التربية والتعليم، وجاءت هذه الخطوة لتكون موقظة لكل هذه المراحل وما رافقها من النقاش والغضب والرضا.

وإذا كانت حركة التعليم في المملكة . وفي بريدة خاصة . قد بلغت أوجهها الكبير، مما يذكرنا بالمعادلة التي ذكرها الأستاذ حسين العذل وأن موقف أهالي بريدة من تعليم البنات عجيب، إذ إن رفضهم في البداية لم يمنع أن تكون بناتهم أكثر تعليماً من غيرهن من المناطق الأخرى[1]، بل إن رئاسة تعليم البنات أسندت لعدد من أبناء هذه المدينة مراراً، فإن من المفارقات، أنه ما زال في مدينة بريدة فئة ممانعة ضد تعليم الذكور والإناث في المدارس الحكومية، وهي تفضّل في سبيل ذلك المدارس الدينية، وهي المدارس التي ترتضيها هذه الفئة، ويُدِّرس فيها الأفراد المعرفون، وتكون مناهجهم ذات سمت وأسلوب معين[2]، وعن هؤلاء

---

(1) انظر: ثلوثية د. محمد المشوح 30/ 12/ 1428هـ.

(2) يقول الأستاذ منصور النقيدان: في 27 محرم 1406 للهجرة التحقت في الصف الثامن بالمدرسة العلمية الأهلية، مدرسة الأخوان المعروفة بـ"الدينية". كانت المدرسة من ثمانية صفوف تضم مايقارب 280 طالباً. درست فيها ثلاثة أيام ثم انقطعت تفادياً لتعرض المدرسة لضغوط من أهلي، فالتحقت بالحلقة الصباحية التي يعقدها الدويش للطلاب غير المنتظمين في المكتبة بالدور الأرضي.

أنشئت المدرسة عام 1382، وكان مقرها القديم يقع شرق مسجد البابطين المقابل لمصلى العيد القديم، كانت المدرسة مبنية من الطين. وقفتُ على أطلال هذا المبنى شتاء عام 1408للهجرة استضافت غرف هذه المدرسة نهاية التسعينيات الهجرية جهيمان العتيبي وبعضاً من أتباع الجماعة السلفية المحتسبة "أهل الحديث" قبل أن تحل الوحشة بينهم وبين أخوان بريدة بسنتين من احتلال الحرم. كانوا يأوون إلى المدرسة للمبيت فيها. ذات مرة استغرق الحديث بين جهيمان وبين عبدالكريم الحميد خارج مسجد عمر بن سليم الواقع على مرمى حجر شرق المدرسة أكثر من ساعة. كان إعجاباً متبادلاً كسحابة صيف ثم انقشعت. عرف مبنى المدرسة القديم عبدالعزيز ابن باز في زيارة نادرة لبريدة، وفي تلك الزيارة كان الشيخ مع ضيوفه ومنهم ابن فريان يرغبون في الاستماع إلى قراءة أحد طلاب المدرسة، أصيبت الإدارة بحيرة لاختيار طالب مناسب، فوقع الاختيار على مدرس مستجد من طلاب المدرسة المتخرجين وهو سليمان السويد، وقد ساعد في تعمية الأمر على الضيوف أن سليمان كان قليل شعر الوجه توحي هيئته بأنه من الطلاب. أظن أن ابن باز كان من ضمن الجهات الداعمة للمدرسة ومن أكبر المتبرعين لها إضافة إلى مصادر أخرى يأتي أكبرها من فهد العشاب وموسى الحمد وآخرين لضمان استمرار صرف الرواتب المتواضعة للمدرسين=

وغيرهم يقول الأستاذ منصور النقيدان: «من الإخوان من كتب في وصيته بأن لاتتعلم بناته في مدارس الحكومة، وثلاثة منهم هاجروا إلى النُخَيْل في التسعينات الهجرية وكانوا على صلة بجماعة أهل الحديث لفترة- ولكنهم نجوا من الاعتقالات بعد احتلال الحرام - فاستوطنوا النخيل في ضيافة أميرها مشعان، وجعلوها مهاجرهم وتعاهدوا في وثيقة كتبوها بأن لا يدخلوا أبناءهم ولا بناتهم في تعليم الحكومة وألا يعملوا في وظائفها، ولكن الثلاثة عاشوا حتى تخرج بعض أبنائهم، وتعلمت بناتهم في مدارس الوزارة، وقد انهارت بيوت وانفصل أزواج بسبب رفض الأب تعليم أبنائه أو بناته، ولا زال بعض منهم حتى اليوم يرفضون تعليم بناتهم إلا عند سيدة تعلمها القراءة والكتابة رغم التغير الكبير الذي حصل لهم اجتماعياً، ومنهم من تلطخ بتوظيف أموال استثمروها بطرق مشبوهة، ولكنهم يرفضون تدريس بناتهم نزولاً عند رغبة الجد أو تنفيذاً لوصيته، وبعض من الأخوان ممن رغبوا في الانعتاق اضطروا للهجرة إلى الرياض أو مكة لتوفير جو يساعدهم وعوائلهم على تعليم أبنائهم وبدء حياة جديدة، بعيداً عن النمائم والدسائس والضغوط النفسية»[1]، وقريباً من فضاء هذه المدرسة ما وجدناه في إحدى المحافظات القريبة من بريدة في حالة الشخص الذي ظلّ ينتقل من قرية إلى أخرى هرباً من مدرسة البنات عندما تفتح فيها.

ومن المفارقات أن مسؤولاً كبيراً في تعليم البنات يروي لي عن شخص أعرفه باسمه، وكنت في صغري أمرُّ على بيته في طريقي إلى المدرسة، وبناته الكبار بجوار باب منزله ينتظرن حافلة الجامعة، فقال لي هذا المسؤول: إن فلاناً

= المتفرغين وتوفير لوازم المدرسة. انتقلت المدرسة مع بداية القرن الهجري إلى المبنى الأخير الواقع كما ذكرت سابقاً على يمين السالك المصعد لشارع الملك فيصل باتجاه القبلة قبل الإشارة المقابلة للمدخل الشمالي الشرقي لمقبرة الموطأ.

(1) في محرم 1408 قامت الحكومة بانتزاع المبنى وضم المدرسة إلى وزارة المعارف بعد تقارير وشكاوى رفعت إلى إمارة المنطقة تتهم عبدالله القرعاوي وثلاثة من طلابه بتوزيع مذكرة مجهولة المصدر عن بدعية الحفل السنوي لتخريج حفظة القرآن، انضاف إليها تهم غير واضحة إلى القرعاوي بتكفير الحكومة، ووصفه لمن ألحق أبناءه بالتعليم الحكومي النظامي بأنه لم يحقق الكفر بالطاغوت وأشياء من هذا القبيل. انظر:

http://www.burnews.com/articles.php?action=show&id=526

(445) http://www.burnews.com/articles.php?action=show&id=562

هو الذي طاف صارخاً ومحذراً في (الجردة[1]) من تعليم البنات، هو الذي جاء إلى تعليم البنات بعد قرابة 40 عاماً يبحث عن وساطة لتعيين بناته، بعد تخرجهن من الجامعات! وكنت أظنها حادثة عابرة ووحيدة، إلى أن وجدت الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ يقول بأنَّ أحد الممانعين والقائلين بأنه لامصلحة من تعليم البنات جاءه بعد إقرارها «يطلب وساطتي وترشيحي له في وظيفة مهمة في الرئاسة المذكورة، ثم تمرّ أيام أخرى، وتفتح مدارس البنات في كل مكان، فيتقاطر إليها أولياء الأمور والآباء، كل يسجل ابنته لكي تتعلم بعد تخوف وتردد ليس له مبرر، وإذ بالشخص يأتيني مرة أخرى يطلب مني توصية إلى الرئاسة لقبول بناته في مدرسة قريبة منه[2]»، وكان حديث الأستاذ محمد البشر عن مواطنيه في مدينة بريدة واضحاً، «والعجيب أنه لم يمر عام أو عامان إلا وأكثر المعارضين لوجود مدرسة البنات في بريدة قد أدخلوا بناتهم، بل بعضهم أجَّر بيته لمدرسة ثانية[3]»، وقد رأينا تفاوت التقييم لتيار الممانعة من قبل مجايليهم، ومن كان من أقاربهم من اشترك في وفد الممانعة الذاهب إلى الرياض، إذ يصفون بعض من اشترك بصفات قاسية تتصل بعدم الثقة بهم وبمقاصدهم، وكان السبب الذي يُثيرونه في وجوههم أن بعضهم عاد وأجَّر بيته للمدارس بعد افتتاحها، وهذا أمر يكشف عن وجود ممانعة داخل الممانعة، وتكشف عن أصوات متعارضة ضمن النسيج العام لها.

وهذا التحول لايقف عند سقفه العلمي أو الاقتصادي، وإنما هو نابع من

---

(1) هي منطقة السوق القديم في مدينة بريدة، وتقع إلى الجنوب الشرقي من الجامع الكبير.

(2) لمحات عن التعليم وبداياته: 144، المختار: 152، وانظر موقف الدكتور حمود البدر المماثل (مجلة رؤى، العدد31 28 نوفمبر، تعليم البنات المخاض الصعب، محمد القشعمي، ص71).

(3) من رسالة كتبها حول هذا الموضوع، وتجدها في الوثائق، ويشير أحد الباحثين إلى مجتمع العراق وأن اجتماعا حاشدا لأكابر العلماء العراقيين عقد في بيت آل الجواهري، ونظموا برقية للملك فيصل الأول محتجين على فتح مدرسة للبنات، بعد أن أرسلوا إلى قائممقام النجف وأغلظوا له القول، فأنكر أن يكون هو القائم بالأمر، ونتيجة لهذه الاعتراضات توقف فتح المدرسة في النجف، إلا أنها فتحت في الكوفة باسم آخر، ومن الطريف أن عددا من بنات العلماء المعترضين التحقن بهذه المدرسة (تاريخ التعليم في العراق في عهد الانتداب البريطاني: 120)، وهذا موقف يكشف اتحاد القاعدة الفكرية والمنهجية التي يتحرك وفقها بعض المحافظين وتنشط من خلال بعض الرؤى.

التغير الفكري والثقافي، فأبجديات الثقافة، وإنْ كانت غير مرئية، تستطيع حين تتغير دوالها وتركيبتها أن تنتج واقعاً حياتيا واجتماعيا واقتصادياً مختلفاً بدرجة قصوى، وقد جاء في دراسة إيزابيل ديبلي الدولية التنبيه على «أنَّ جماعات الضغط كالشخصيات الدينية وأعيان القرية أوالمدينة وذوي النفوذ إلخ أخذ في الانكماش شيئاً فشيئاً، ومع نمو المجتمعات العربية واتصالها بالحضارة الحديثة ونشر الثقافة في حد ذاته ونمو النزعة الفردية وظهور المدن الكبرى زال بالتدريج الإكراه الاجتماعي الذي كانت تمارسه بعض الجماعات في المجتمع، والذي كان يحصر سلوك الأفراد في داخل أطر محددة لايستطيعون منها فكاكاً[1]»، وهو رأي يمكن تطبيق بعض فضاءاته على التحول المحلي عند الممانعين لتعليم البنات في المملكة.

كما تجلّى هذا التحول عند مجمل الممانعين الذين نقلوا معركتهم إلى هذا الموقع، وصاروا يطالبون بذلك، ويلحّون عليه، وهم الذين مارسوا ضغطهم، وطرحوا مسوغاتهم، وقد حققوا شيئاً من أهدافهم، بدليل تأخير الافتتاح أولاً، ثم تجميدها، ثم صيغة النطق الملكي الذي بنى فكرته على الرؤية الدينية، وصرَّح بتدريس العلوم الدينية، ثمَّ منح مبدأ الإشراف على مدارس تعليم البنات إلى رجال العلم الشرعي كالقضاء والمفتين وأمثالهم، وهو ما تحقق بإقرار صيغة تعليم إداري وفني مستقل عن تعليم البنين مطلقاً، وهي جهاز الرئاسة العامة لتعليم البنات، وقد أكد بعض الدارسين أنَّ هذا يأتي استجابة للموافقين على تعليم البنات معترضين على أن تتولى وزارة المعارف هذه المهمة[2]، وقد أكَّد مفتي

---

(1) تعليم البنات دراسة دولية: 119.

(2) معجزة فوق الرمال: 824، ومما ينبعي إضافته هنا القول بأنَّ نزول الحكومة على هذا الشرط لايعني عدم وجود المخالف، وإنما وجدنا ـ مبكراً ـ المطالبة باتحاد جهة الإشراف على تعليم الطلاب والطالبات، مما يستلزم بطبيعة الحال إلغاء الرئاسة العامة لتعليم البنات، ومن ذلك مقال عبدالله المنيعي (اليمامة العدد 307، مدارس البنات، الموافق 1/ 8/ 1381هـ) وإلى هذا الأفق يشير الشيخ محمد بن إبراهيم في فتواه رقم 4570 (انظر الملحق)، ولاشك أنَّ الإعلان المتأخر عن دمج تعليم البنات مع تعليم البنين في وزارة التربية والتعليم كان حدثاً كبيراً في الوسط الديني والاجتماعي والثقافي والإعلامي، ومن أمثلة ذلك خطبة أحد المشائخ عن ذلك بعنوان: (شهيدة العصر)، وهي ذات عنوان لافت ورامز، وقد قال الشيخ في أولها: (في مساء العاشر من شهر الله المحرم يوم عاشوراء وبينما الناس على موائد الإفطار صكت أسماعهم=

البلاد سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم أنَّ هناك اتفاق ضمني باشتراط الإشراف الديني على تعليم البنات[1]، ولذلك جاءت سياسة التعليم والأجزاء الخاصة بتعليم البنات لتحدد أهداف التعليم وأنواعه ومسارات سوق العمل أيضاً[2]، وهو تقدير مبكر لأفق العمل أوحصره وتقييده، وأحسب أنَّ هذه القرارات والأنظمة الرسمية مهما كانت نابعة لتطييب خواطر الممانعين، ومهما كانت مرحلية أو استراتيجية[3]، ومهما كانت لاتنفصل عن البناء الفكري الديني للدولة[4]، إلا أنها نجاحات واضحة لهذه الممانعة.

= أنباء ذلك الهول العظيم والمصاب الأطم فكدرت على الناس فرحتهم بصومهم وفطرهم وبقي الكثير من الرجال والنساء في دهماء عمياء بين مصدق ومكذب ومرتاب.

ماذا يقال حقيقة أم أنني   في بحر أحلامي أخوض وأمخر

وبات الناس يدوكون ليلتهم، أحقا قضي على الرئاسة العامة لتعليم البنات ؟ وتبادلوا رسائل الحزن والعزاء: (أحسن الله عزائكم وجبر مصابكم في الرئاسة . توفيت هذه الليلة الرئاسة العامة لتعليم البنات عن عمر يناهز الثانية والأربعين سنة فإنا لله وإنا إليه راجعون إنا لله وإنا إليه راجعون) بكى الكثير، وحزن الصغير والكبير، وفزع الجم الغفير، وأقسم أناس أنهم ما باتوا تلك الليلة، ولا لذ لهم غمض، وحلف آخرون، أنهم باتوا طاوين، لم يذوقوا على الإفطار غير تمرات، حتى نهارهم التالي، وحق لهم، إي وربي حق لهم...والحق أيها المسلمون أن الرئاسة ما ماتت عن كبر ولاهرم ولاعجز لكنها قتلت في ريعان شبابها وأوج فتوتها بمؤامرة وسعي بغيضين صامتين دائبين من بني علمان) (http:// www.islamway.com/?iw_s = Lesson&iw_a = view&lesson_id = 9932) وهذا مستفتح الخطبة بنصّه، ومفرداته مليئة بمضامين توحي بأجواء الفتنة التي صاحبت هذا الإعلان، كما تجسد بوضوح ملامح الصراع بين التيارات المختلفة في المجتمع.

(1) يؤكد سماحة الشيخ في إحدى فتاواه، وهي برقم وعنوان: (4571- يختبرهن إناث ولا يختلطن مع الذكور). على أن ما أذن فيه من تعليم البنات في المملكة واختيار الشيخ عبدالعزيز بن رشيد لرئاستها أن ذلك من قبلنا، وأن تعليم البنات جهةٌ يتعين اتحاد مرجعها وتفرد مغزانا نحن والمشائخ (انظر الملحق).

(2) المرأة السعودية والتعليم: 21.

(3) يصف الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ إسناد رئاسة البنات إلى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بأنها التفاتة حكيمة، وأنه سدّ الطرق على المعترضين، وهو منهج وسياسة متبعة ومتكررة كما في تعيين الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ رئيساً للقضاة لتحديث القضاء (لمحات عن التعليم وبداياته: 140، 144).

(4) انظر لاستبانة هذه الفكرة بتفصيل: سياسة التعليم في المملكة، وزارة التعليم العالي،=

وتظل المسيرة التعليمية للمرأة في المملكة العربية السعودية ملفاً ضخماً محجوباً، وهو على قرب زمانه النسبي، إلا أنّ دراسة جوانبه، والبحث في استدلالاته أمر مخفي، وقد أغفله البحث العلمي إلا قليلا، ولو تفرغ لذلك الدارسون لوجدوا إرثاً ثقافياً ضخماً، يستطيعون من خلاله مقاربة الراهن العلمي والثقافي والإصلاحي، فالممانعون والمؤيدون يلدون أمثالهم في كل عصر وفي كل قضية، وتكاد أن تكون الحجج والاستدلالات والمحاذير هي نفسها، ولايختلف إلا الأشخاص والأزمنة.

= 1398هـ،وكتاب الندوة الجامعية الكبرى المحور التربوي، (المعاني والأهداف التي تحملها وثيقة سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية)، د.علي المرشد، جامعة الملك سعود. الرياض، 1421هـ.

الوثائق

* النطق الملكي
* الفتاوى
* التقارير
* الشهادات

نطق ملكي كريم

الحمد لله وحده

و بعد فلقد نمت عزيمتنا على تنفيذ رغبة علماء الدين الحنيف في المملكه في فتح مدارس لتعليم البنات العلوم الدينية من قرآن وعقائد وفقه . وغير ذلك من العلوم التي تتمشى مع عقائدنا الدينية كادارة المنزل وتربية الاولاد وتأديبهم مما لا يخشى منه عاجلا أو آجلا أي تغيير على معتقداتنا لتكون هذه المدارس في منأى عن كل شبهة من المؤثرات التي تؤثر على النشء في اخلاقهم وصحة عقيدتهم وتقاليدهم وقد امرنا بتشكيل هيئة من كبار العلماء الذين يتحلون بالغيرة على الدين لتشرف على نشء المسلمين في تنظيم هذه المدارس و وضع برامجها ومراقبة حسن سيرها فيما انشئت له وتكون هذه الهيئة مرتبطة بوالدهم حضرة صاحب السماحة المفتي الاكبر الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ على ان تختار المدرسات من اهل المملكة أو غيرهم اللواتي يتحقق فيهن حسن العقيدة والايمان ويدخل الى هذه المدارس ما قد سبق فتحه من مدارس للبنات في عموم المملكة وتكون جميعا مرتبطة في التوجيه والتنظيم بهذه اللجنة تحت اشراف سماحته مع العلم أن هذا التشكيل يتقدم الوقت الكافي بتهيئة وسائل التأسيس ونأمل ان يكون ذلك في وقت قريب والله الموفق ولا حول ولا قوة الا بالله .

النطق الملكي الكريم

[illegible]ود

(٤٥٦٢ - الاستفادة من الأساتذة الأجانب في العلوم الأخرى)

من محمد بن ابراهيم إلى حضرة المكرم المحترم الأخ ابراهيم بن عبدالله بن عيدان

سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فنعيد لكم التحرير الوارد إلينا منكم برقم ١١٠٥ وتاريخ ١٩/٨/١٣٧٤هـ المرفق به كتاب الشيخ صالح الخريصى لجلالة الملك

ونفيدكم أننا اطلعنا عليه ، والشيخ صالح جزاه الله خيرا مجتهد ، وبعض ما ذكره من مفاسد لهؤلاء الأجانب واقع ، وجواب الملك أيده الله على ماذكره جواب سديد واف بالمقصود ، ونرجو الله أن يبلغ الملك ويبلغنا ما نؤمله من الاستغناء عن هؤلاء الأجانب بجني ثمرة بلادنا وناتج سعينا في القريب العاجل

وهناك ملاحظة وهى أنى أرى أن المدارس الأبتدائية القروية في نجد والحجاز يقتصر فيها على التعليم الدينى فقط ، ويمنع استقدام الأساتذة الأجانب إليها أما المدارس التى في المدن فيمكن الاساتذة الأجانب من التعليم فيها في العلوم الغير الدينية ، مع مزيد الحرص على تقليلهم مهما أمكن . ونسأل الله أن يوفق الملك ، وينصر دينه ويعلى كلمته . والسلام عليكم .

(ص/م ١٠٧١ في ١٧/٩/١٣٧٤هـ)

(٤٥٧٢ - تعلم فن التمريض بشروط)

من محمد بن ابراهيم إلى حضرة معالى وزير الصحة

المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : حينما زرتنا أبديت أنك بحثت مع الشيخ عبدالعزيز بن رشيد رئيس مدارس البنات حول اختصاص عدد من البنات المتعلمات بتعلم في التمريض في المستشفيات ، ليتخرجن تخرجا صالحا كافيا المصلحة ، بعيدا من كل محرم ومفسدة ، حتى يستغنى بهن عن الممرضات الحاليات اللأتي لايعرفن الدين أصلا ، وأن أولئك البنات إذا كثرن لو أفردن بمدرسة ، فحبذت هذه الفكرة بناء على أن النساء يمرضن النساء فقط . أما الرجال فلا يمرضهم إلا الرجال

وبناء على توفر الأمور التى قد تناولتها إشارتكم أثناء البحث فيما يتعلق بالمعلمات من كونهن مأمونات صالحات ، وأن البنات المتعلمات مستلزمات الآداب المطلوبة شرعا في الملابس والأخلاق وغيرها ، وأن يكن متسترات متحجبات .

ثم بهذه المناسبة أشرح أمراً هاما ينبغى أن يكون العمل عليه في مستشفيات المملكة ، وذلك أن الرجال والنساء الذين يرتادون المستشفيات للعلاج ينبغي أن يكون لكل منهم قسم خاص من المستشفى ، فقسم الرجال لايقربه النساء بحال ، ومثله قسم النساء ، حتى تؤمن المفسدة ، وتسير مستشفيات البلاد على وضع سليم من كل شبهة ، موافق لبيئة البلاد ودينها وطبائع أهلها ، وهذا

(٤٥٧١ - يختبرهن إناث ولا يختلطن مع الذكور)

من محمد بن ابراهيم إلى حضرة فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن الشيخ عبدالله ابن حسن وزير المعارف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فضيلتكم يعرف أصل ماأذن فيه من تعليم البنات في المملكة واختيار الشيخ عبدالعزيز بن رشيد لرئاستها آن ذلك من قبلنا ، وعن علم واتفاق من المشائخ معنا ، وذلك على أسس موجودة ومعلومة معروفة مغزاها الحيطة على البنات وأن لايتسرب اليهن من الفساد وأسبابه ماتسرب الى البلاد الأخرى .

كما تعرفون أن هذه المدارس لاتعلق لها بالمعارف إطلاقا . وقد بلغني من جهة موثوق بها أن المعارف تتحدث بقبول من يكتب إليها من بنات المدارس القديمة للاختبار سواء مفردات أو وهو أسوأ مختلطات بالذكور . وفي معلومكم أن إسناد رئاسة مدارس البنات إلى الشيخ عبدالعزيز بن رشيد باختيارنا نحن والمشائخ شامل لكل مدارس البنات في المملكة القديمة والحادثة على اختلاف مؤسسيها وكما تعرفون أن هذه جهة - أعنى تعليم البنات - متعين اتحاد مرجعها وتفرد مغزانا نحن والمشائخ ، ولا يحصل ذلك مع فتح باب قبول طلب من يطلب الاختبار من قبل الوزارة ، وفضيلتكم وإن لم تحضروا مع المشائخ وقت اجتماعهم قبل افتتاحها بذاتكم فأنتم بكل حال معهم بتعاونكم ونيتكم وحيطتكم لهذه العورات عن اجتراف تيارات الشر والفساد إليهن كما اجترفت بنات الأقطار العربية الأخرى فكانت العياذ بالله أسوأ حالاً من الإفرنج . هذا واني لمنتظر اجابتكم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(ص/م ٣٤٩٠ في ١٧/٩/١٣٨٠هـ)

(٤٥٧٠ - تعليم البنات) .

من محمد بن ابراهيم إلى حضرة المكرم الشيخ صالح بن أحمد الخريصي المحترم سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد : فقد وصل إلي كتابك المؤرخ ١/١١/٧٥ وقد قرىء علي ، وأحطت علما بما ذكرتم ، خصوصا طلبكم الكتب للاخوان الذين لديكم ، فسنقوم بحقهم ، ونلاحظ طلبكم ان شاء الله.وما ذكرت من خصوص مدارس البنات فمنذ أعوام وهذا الشيء يطلب من الحكومة ونحن مصممون على المنع ، والملك حفظه الله كذلك . ولا نزال بحمد الله على ذلك . وما ذكرت من خصوص ما يلبسه النظام على رؤسهم (١) فنحن قد بينا في ذلك ما يلزم مكاتبة ومشافهة ، ونرجو الله أن يعيننا وإياكم ، ولايكلنا إلى أنفسنا طرفة عين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . (ص/م ١٨٢٤ في ١١/٣ ١٣٧٥)

(٤٥٧٣ - فتوى في الموضوع)

من محمد بن ابراهيم إلى حضرة معالى وزير الصحة بالنيابة حسن بن عبدالله آل الشيخ

حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فقد قرىء علي التحقيق المنشور في صحيفة المدينة بالعدد ١٥٦٢ الصادر يوم الاثنين ٣ ربيع الأول عام ١٣٨٩هـ في الصفحة الأخيرة المجرى مع مدير عام التدريب والتعليم الدكتور رشدى الجابى ، وفيه أن الوزارة قد اعتزمت فتح مدرسة للتمريض بمكة حيث اشتري بيت بجوار مستشفى الزاهر لهذا الغرض .

ونلفت نظركم إلى أن فتح مدارس التمريض للبنات سبق بحثه مع سلفكم الدكتور حسن نصيف ، فوافقنا على فتحها بشروط منها : أن تكون داخل مدارس البنات ، وتحت إشراف الرئاسة العامة لتعليم البنات المباشر . ومنها أن يكون عمل المتخرجات في الأجنحة النسائية فقط . . ولا يكلفن بالعمل في اجنحة الرجال . ومنها أن يكون التدريب العلمي في الأقسام النسائية في بعد عن الاختلاط بالرجال . ولهذا عزم وزارة الصحة إن صح الخبر المنشور على فتح مدرسة بمكة منفردة يخالف ما حصل الاتفاق عليه . . فنأمل العدول عن هذا ، وأن يلتزم ماتم الاتفاق عليه ، وإفادتنا بما تتخذونه في الموضوع . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(ص/ ١٠٦٣ في ١٣٨٩/٤/٣)(١)

٩ـ مناهج الدراسة الابتدائية والثانوية ينبغي ان تكون مطابقة لمناهج معارف المملكة العربية السعودية لانها مناهج متميزة محررة مقبولة في البلاد الخارجية

١٠ـ الرياضة البدنية لا بد منها لطلاب المدارس فهي تقوي اعصابهم وتنشطهم على الدراسة والتعلم وتذهب عنهم الكسل والملل ولكن على وجه لا يخل بالدين فلا تفوت الصلاة وتخرج عن وقتها ويكون التلميذ ساترا لعورته وهي ما بين السرة والركبة ولو كان التلميذ صغيرا اخذ بالاحتياط .

١١ـ التفتيش الفني ضروري لا بد منه في المدارس ولكن المفتش لا بد وان يكون عالما بالمقررات مراعيا حال الاساتذة والتلاميذ منبها لما يقع من الخطأ حالة التدريس موجها الوجه الحسن باسلوب حسن ولو أدرج التفتيش الاداري في التفتيش الفني لكان حسنا وهذا هو المعمول به في المعارف السعودية .

تعليم البنات

١٢ـ هذه المسألة كثر الكلام فيها فمن مجيز لتعليمهن ومن مانع والحق في ذلك ما أوجبه الشرع وأباحه وتعليم البنات امور الدين الضرورية واجب فتعرف اركان الاسلام وأركان الايمان وتتعلم ما تصح به صلاتها وكذلك ينبغي لها ان تتعلم كيفية تدبير منزلها وتربية أولادها ولكن ذلك مشروط بعدم مخالفة شيء من الشرع فلا تبرز للرجال الأجانب سافرة ولا تخرج من بيتها الا متحجبة الحجاب الشرعي فمن فتح باب تعليم البنات مطلقا فقد جاء بشيء من عنده يخالف الدليل الشرعي الذي يجب اتباعه وترك ما سواه .

المدارس المسماة بالروضات

١٣ـ يتعين الحاق جميع المدارس المسماة بالروضات بالمدارس الابتدائية والغاء هذا الاسم بالكلية لان طلاب هذه الروضات هي من الطلبة الابتدائيين فالانفراد بعض الطلاب بهذا الاسم عن الطلبة الابتدائيين تكليف للحكومة بزيادة مدرسين لا حاجة اليهم وفي الروضات عدد من الطلاب يبلغ المئات ويتولى التدريس فيها عدد من الاساتذة يعدون بالعشرات فاذا ادمجت هذه الروضات في المدارس الابتدائية استغنت المعارف عن عدد كبير من المدرسين وفي ذلك الاقتصاد ما لا يخفى وفيه ايضا رفع للطلاب في منازلهم اللائقة بهم وقد اشرنا الى ذلك سابقا واما القرى التي ليس فيها مدرسة ابتدائية وسميت مدرستها بالروضة فان هذا الاسم يلغى وتسمى تلك المدرسة ابتدائية والله الموفق .

هذا ما أردت بيانه في هذا التقرير ارفعه لسموكم فان حاز حكم القبول فالمأمول ارساله الى جهة الاختصاص لاعتماده والعمل بموجبه والسلام .

بسم الله الرحمن الرحيم

بدايات تعليم البنات في مدينة بريدة !

بريدة كما هو معلوم سابقة في استقبال التعليم الحكومي النظامي حينما افتتحت
فيها مدرسة ابتدائية حكومية بل انها قد تكون الأولى بعد مدرسة تحضير البعثات التي تولى
إدارة تلك المدرسة حال افتتاحها فضيلة الشيخ عبدالله بن إبراهيم بن سليم رحمه الله
وحينما صدر الأمر الملكي بتأسيس تعليم البنات . وتقرر افتتاح عدد
من المدارس في المدن كانت بريدة في المقدمة ، الا انه وكما هو معروف
كان ذوي الوعي يتصل بالمرأة امر بالغ الحساسية . والكثير من أهل بريدة
سافروا إلى الخارج فشاهدوا انفتاحا للفتيات في مصر وسوريا ولبنان
والعراق . فصار عند بعضهم تخوف من انفتاح للفتاة كحصيلة التعليم
ولو بعد حين . والأمر جديد بالنسبة لهم فأرادوا التريث في
استقبال هذا الوافد الجديد حتى يتبين لهم امره . وكان الأولى في مثل
هذه الأمور هم المشايخ . الذين سافر عدد منهم إلى الرياض للسلام
على الملك سعود رحمه الله ثم طلبوا منه ارجاء موضوع افتتاح
المدرسة هذا العام فتم ذلك .

كنا مجموعة الشباب في وقتنا نسعى ونتصل بمن يمكن التعجيل بافتتاح المدرسة
حتى ان وفدا منا ذهب لمقابلة الملك وهم الأستاذ / علي بن عبدالله الحصين
والأستاذ عبدالعزيز بن محمد اليحيى . والأستاذ علي بن عبدالعزيز السويد
رحمهم الله وقد جلسوا في مكتبة الديوان الملكي بمكتب سمو
الأمير محمد بن سعود الوزير طمأنهم بأن المدرسة سوف تفتح ومن رغب في دخول
ابنته فهو الذي يرغب فليسجلها . أما الملك دخل المشايخ المعترضين فسلم
عليهم الشباب . قالوا بعد قليل خرج اليهم الأمير محمد وقال الأمر سيدي
امرنا بتأجيل افتتاح المدرسة هذا العام .

وقد افتتحت في العام التالي ولم يلتفت الحاضرون معارضة . ولم تكن الأجيال
جميعا على هذا الخط بل ان الكثيرين رحبوا بها حتى ان بعض الطلاب شديد رحمهم الله
شجعوا بناتهم وسجلوهن ليكن من شرف المدرسة . ولا يستغرب وجود
معارضة في تلك المرحلة الماضية رفضوا افتتاح مدرسة عندهم عام ١٣٩٠ من عشر
مدارس افتتحت في جميع مدن المملكة ومنها بريدة كذلك رفضوا

أفتتاحها عام ١٣٦٥هـ فيما بعد تشكلت ونعم مديرها بعد بإدارة الأستاذ
عبد الكريم الجهيمان. وفي عام ١٣٦٤هـ وهو العام الذي قرر
فيه الملك عبد العزيز رحمه الله تعليم أبناء نجد تعليما أعلى من الابتدائي
فافتتح دار التوحيد بالطائف وأخذوا أعدادا من مدن
نجد والأحساء أكثرهم دون رضا والديهم. لأنه رأى
أن أهل نجد متخلفون في التعليم وأهل الحجاز سبقوهم في المدارس
الثانوية وفي البعثات إلى الخارج. تكلم أهل الرياض والمشايخ
بالذات أن امتنعوا عن إلحاق أحد من أبنائهم في دار التوحيد
مخافة عليهم. وهذا الكلام موثق نقله أحد أبناء الرياض
هو الأستاذ أحمد بن سليمان في مقال نشر بمجلة العرب
وقد قرأته في مقال له نشر في جريدة الجزيرة عام ١٤٢٠هـ
حيث كتب في الجريدة: أن الشيخ السند بكى حالة المعصية
التي قابل بها أهالي بريدة أمر الملك عبد العزيز بإرسال أولادهم
إلى دار التوحيد بالطائف
والعجيب أنه لم يمر عام أو عامان إلا وأكثر العامة يرغب لوجود مدرسة
البنات في بريدة فقد دخلوا [illegible] بناتهم بل بعضهم أجر بيته
لمدرسة ثانية مثل الشيخ علي [illegible] رحمه الله.
والآن يبلغ مجموع المدارس في بريدة فقط ما يزيد عن المائة
ولله الأمر من قبل ومن بعد وصلى الله على محمد

محمد بن عثمان البشر

في ١٧/٨/١٤٢٨هـ

الى حضرة الأجل الأكرم الشيخ عبدالله محمد بن راشد المبارك والى حضرات
أصحاب الفضيلة العلماء الكرام وأفاضل الأحساء الأعلام سلمهم الله

السلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد طلب مني حضرة المصلح الشيخ عبدالرحمن بن راشد
ان أثبت العلوم التي تدرس بالمدارس التي أمر بانشائها حضرة صاحب
الجلالة امام المسلمين الملك عبدالعزيز بن سعود حفظه الله وأيده
ولا يسعني إزاء طلب الشيخ الفاضل إلا أن أتقدم لحضرته بالشكر الخالص
للقيام بواجب الوفاء نحو بلده ودينه ورجال الغد
وقبل أن أوضح العلوم لابد لي من كلمة أذكرها لحضراتكم على سبيل الذكرى
كما قال تعالى «وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين»
يا حضرات العلماء ان مدارس البحرين وغيرها من البلاد المجاورة هي مدارس
انجليزية يكتفي يسيطر عليها فيتخرج الناس فيها من المعقول أنه تنتظر خيرا
ونرجو فائدة دينية من مدارس العرفة مدارس التبشير

لكن يا حضرات العلماء لا يخفاكم ان حكومتنا حكومة سلفية وعلى رأسها مليكها
السلفي المصلح العظيم فلا تصح المقارنة بين مدارس البحرين
ومدارس الأحساء
ولا يصح أيضا معارضة مشروع ديني كهذا يشرع فيه جهلاء مليككم
ولا أرى من حاجة إلى الإطالة لأن انما يطلب رجال الخير
وتقيم معاهد العلم خيرين ــ انما يطلب رجالا يأخذون
من أن تتسع بلدانهم بلدا أكبر منها ونقنا ففيه انما دونه

التعهد الخطي الذي قدمه الأستاذ محمد علي النحاس لمشائخ الاحساء

تابع لما قبله

لذلك أختتم قولي بأن عاهدكم الله أن لا يدرس بالمدرسة سوى

(1) القرآن الكريم والتجويد

(2) الدين الحنيف الذي بالاستمساك بوثيقة عراه يسعد الإنسان في أولاه وعقباه ويدرس من العلوم الدينية التوحيد ولا يوزع على التلاميذ سوى الثلاثة الأصول ولمعة الاعتقاد وكشف الشبهات والعقيدة الواسطية

(3) التفسير ملخصاً من ابن كثير والبيضاوي والجلالين

(4) الفقه على مذهب الإمام أحمد

(5) العلوم العربية ويدرس منها الخط وقواعد الكتابة وكذا مبادئ النحو واستعمال العرب والحساب

وهذه كل علوم المدرسة لأنه إذا أكرهنا التلاميذ [illegible] ما نراه من العلوم نزيد لهم السيرة النبوية وتاريخ الإسلام وهذا عهد لله سبحانه وتعالى. والسلام عليكم [illegible]

26 جمادى [illegible]

[illegible]

صحيفة القصيم عدد ٦٣ ص٣
24/11/1380

حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم

يشرف حفل افتتاح المعرض

العام لنتاج طالبات المدارس الحكومية

بعد عصر يوم الاربعاء الموافق ١٨ - ١١ - ٨٠ تحرك الموكب الملكي الكريم موجها الى مقر الاحتفال في مدرسة البنات الثانية مخترقا الشوارع العامة بين عاصفة من تصفيق وهتافات الجماهير وما ان وصل جلالته حفظه الله الى مقر الاحتفال حتى دوت القاعة بالتصفيق والدعاء لجلالته بالبقاء ، فنهض المستقبلون للتشرف بالسلام على جلالته

وكان في مقدمتهم الشيخ رئيس عام مدارس البنات ومعالي وزير الصحة الدكتور حسن نصيف وكبار رجالات الدولة والوزراء والاعيان وموظفي مدارس البنات وما ان استراح جلالته اديرت القهوة العربية وتعاقب الخطباء امام جلالته افتتح الحفل بتلاوة اى من القران والذكر الحكيم ثم القى المدير العام الاستاذ عبدالله الرشيد كلمة الرئيس العام بالنيابة قال فيها باسم الفتاة السعودية التي كانت الى وقت قريب محرومة من نعمة العلم . وباسم الاباء والامهات الذين يدينون لعرشكم بالولاء والمحبة .. نتقدم لجلالتكم شاكرين ومقدرين خطواتكم المباركة الدالة على ما تتمتعون به جلالتكم من ديمقراطية اسلامية .

الى ان قال

ان هذه الرئاسة وهي التي تستوحي عملها من توجيهات جلالتكم وارشاداتكم آخذة على عاتقها الحفاظ على سمعة المدارس الدينية والسير بها في طريق ممهد ومحفوظ عن جميع المخاطر والمزالق التي وقعت فيها بعض البلدان العربية وان الطالبة في هذه المدارس التي يشرف عليها المفتي الاكبر اضمن لسلامتها منها لو بقيت في بيت أهلها تتقاذفها الافكار السوداء

ثم اختتم كلمته بقوله

لقد وفقنا من فضل الله الى اختيار المربيات الصالحات وقد ابدين مجهودا يشكرن عليه هذا وان يكن لمدارسكم يا مولاي من حاجة نرفعها لاعتاب مؤسسها ومنشئها فهي ان يهيأ لها من الاسباب ما يمكنها من عمارة مدارس ذات طابع خاص مناسب لمكانة الفتاة السعودية ولا شك ان جلالتكم فاعل ذلك ان شاء الله وتقبلوا جلالتكم عظيم شكري .

ثم تلاه الاستاذ عبد الله المعلي بكلمة المدارس الاتية .

مولاى صاحب الجلالة ..

في هذه اللحظات السعيدة من ايامنا . يقف التاريخ ليضيف حلقة مضيئة الى سلسلة مآثركم الخالدة وتضحياتكم الجمة .. وفي هذه اللحظات يحني الزمن رأسه اكبارا وتقديرا لهذا الحدث الجليل في حياتنا .. وان ذكرى هذا اليوم الذي تمسك فيه مشاعل العلم والمعرفة لتضيء الطريق لنصف الامة التي اوصى به الرسول خيرا . فتهديه الى خير الدين والدنيا . ان ذكرى هذا اليوم .. لتظل اوثق صلة

تربط حاضرنا بماضينا المجيد وتبعث حياته لاسعاد امتنا . وتسير بها نحو شاطئ النجاة وترسم لها مستقبلا افضل .. لتسعد في عهدها القريب بحياة العزة والكرامة ... حياة النور والمعرفة ..

مولاى صاحب الجلالة ..

انكم بافتتاحكم مدارس النور والمعرفة لتربى فيها الفتاة تربية صالحة فتعرف كيف تعبد ربها على هدى وبصيرة . وتعرف كيف تدلل زوجها فتكون له سكنا من الوحشة وملاذا من الوحدة ودافعا له لان ينتج ويبدع وتعرف كيف تكون مدرسة لبنيها تزرع في نفوسهم بذور الحب والخير والخير والعمل .. وبهذا تكون ريحانة يهيمن عطرها وجمالها الهدوء والاستقرار والصفاء . فيسعد المجتمع وينتجه بكل طاقاته للخلق والابداع .

مولاى .. انكم بعملكم هذا تضعون حجر الزاوية في بناء المجتمع السعيد الذي بدت بشائره تتجلى في الافق .

وانكم يا مولاى .. بتشريفكم حفل افتتاح هذا المعرض الذي يعتبر باكورة ثمر هذه الشجرة التي غرستم دوحتها فتعهدتموها بالرعاية والعناية . ستؤتي ثمرها صنفين . باذن الله . ما دام جلالتكم يوليها هذا العطف والحنان ..

مولاى صاحب الجلالة ..

ان تعليم الفتاة الذي لم يتجاوز العام الاول من عمره وقد حقق هذه النتائج التي تبشر بمستقبل عظيم . قد مر بمشاكل . ولاقى صعوبات كادت ان تقتله في مهده لولا جلالتكم . وتصميمكم .. فلقد هيأتم لها الجو الذي يكفل لها الحفاظ على اخلاقها وتقاليدها .. وكان هذا هو المنطق في اقناع اولئك المتخوفين من تعليم البنت خشية ان تزل بها القدم . فتخلع الحجاب وتخرج من بيتها لتزاحم الرجال في مجالات العمل .. وما علموا - رحمهم الله ان هذا ليس ذنب العلم .. ولكنه ذنب البيئة والاجتماع .. وحاشا . ان يكون مجتمعنا الصالح وشعبنا المحافظ .. مدعاة لذلك .. والله يحفظكم مولاي والسلام عليكم .

ثم نهض جلالته حفظه الله ليستعرض باكورة نتاج طالبات المدارس في فنون الخياطة والتفصيل والتطريز والنسيج وادارة المنزل . وقد كان معرضا رائعا يبشر بخير مستقبل الفتاة السعودية اشتركت فيه جميع مدارس المملكة . بعد ذلك تناول جلالة الملك المعظم مائدة الحلوى والماكولات الشهية التي قام بعدادها صنعها فتيات الغد طالبات مدارس الرياض ، ثم ودع جلالته حفظه الله بمثل ما استقبل به من حفاوة وتكريم بعد الله في عمره ناصر الفتاة واخذنا بيدها من ظلمات الجهل الى انوار المعرفة والبرهان .

صحيفة القصيم العدد ١١٢ ص ٧
9/9/1381

إضواء مسئله

هذه الاقلية لماذا نذعن لهـا

كلمة من الاعماق .. كلمة مواطن مخلص نوصه مدحب له لخير والتقدم والازدهار .

كلمة صادقة تبعث من القلب والى القلب . كلمة أرادت الاصلاح ، ارفعها لأعتاب نائب جلالة الملك ولى العهد المعظم ، لما قرأته فى صحيفة اليمامة الغراء . العدد ٣٠٨ تاريخ ١٣٨١/٧/٨ حول مدرسة البنات في بريدة ، رد من الرئاسة العامة للبنات على الاخ على الرميح وتساؤلاته ، بل تساؤلات جميع المواطنين المخلصين من أرجاء الوطن .

تسائل الاخ على : (هل تعليم الفتاة ينافى والشريعة الاسلامية .. هل تعليم الفتاة يمس الشعور والكرامة) ؟

وأجاب بما يعيه جميع المواطنين المدركين بعواقب الامور (بالطبع .. لا) .

بعد هذا .. لماذا تعارض القلة فى بريدة تعليم الفتاة المفروض عليها ، كما هو مفروض على الرجل .. الم يقل حامل النور الى العالمين محمد ابن عبد الله عليه الصلاة والسلام (العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) .

يا فيصلنا المحبوب .. ان آلاف وآلاف المواطنين ينتظرون امركم الكريم بافتتاح مدرسة للبنات ، بعد أن رفعت الرئاسة العامة لمدارس البنات تطلب رايكم بذلك ، على اثر ما كتبه الاخ الرميح فى اليمامة .

يا صاحب السمو ، نعرف ان التعليم حق للمرأة على المسئولين ، ومساواة وعدل بالرجل الذى اخذ طريقه الى النور ، وان الذين يعارضون افتتاح المدرسة هم قلة ولكنهم من أهل النفوذ .

يا صاحب السمو .. انكم لو قارنتم الرسائل التى ترد الى الرئاسة العامة بين مؤيدة ومعارضة لوجدتم أن المؤيدين اكثر بكثير من المعارضين .. فماذا بعد هذا .. ماذا ننتظر وهناك مئات ومئات من الفتيات تحترق قلوبهن اشتياقا لالتحاقهن بمدرسة تكفل لهن مستقبلهن ومستقبل ابنائهن من الجهل والمرض .

واخيرا .. نرجو من قلوبنا جميعا – أبناء القصيم ، بل أبناء الوطن – أن تكون النتيجة حسنة ولصالح الجميع ، والله يوفقكم لخدمة الوطن والمواطنين .

عبد الرحمن السليمان الكريدا
الرياض

صفحة (٢)

أخبار الأسبوع

« آل الراشد »

تقدم السادة ابراهيم الراشد الحميد واخوانه الى فضيلة مدير عام مدارس البنات بخطاب ضمنوه تقديم احد بيوتهم فى بريدة وتاثيثه ليكون مقرا لمدرسة البنات المزمع افتتاحها فيها . وقد تفضل فضيلته بقبوله شاكرا لهم وطنيتهم . واننا لذلك لنقدر لآل الراشد الكرام هذه الوطنية ، ونسجلها لهم شكرا خالدا ، سائلين المولى ان يكثر امثالهم من الرجال المواطنين الذين يؤدون فريضة الوطن ، بل يزيدونه برا وافضالا هذا واننا لنامل من فضيلة الشيخ مدير عام مدارس البنات المبادرة والاسراع بافتتاح تلك المدرسة التى يتطلع اليها ابناء الفتيات خاصة والمواطنون عامة بفارغ الصبر .. تنفيذا للرغبة الملكية الكريمة .

صحيفة القصيم العدد ٥٠ ص ٢
الموافق ١٣٨٠/٦/٣

صحيفة اليمامة
24/5/1380

الصفحة ٧

ابنتى بعد عشرين سنة ..؟

من الاعمال الكبيرة التى تستحق التقدير والاكبار ..العمل الجليل الذى صنعته الدولة فى هذه السنة ، الا وهو افتتاح مدارس لتعليم الفتاة . ولقد جاء افتتاح هذه المدارس فى وقت مناسب جدا ، فلم يحصل تردد من الاباء او الفتيات انفسهن او غضاضة فى نفوسهم ، بل شجع الاباء فتياتهم عليها ،ولاقت من الفتيات انفسهن ترحابا كبيرا ، فكان الاقبال العظيم الذى يدل على وعى وتعطش الفتاة الى التعليم ...

وانا ، لا اتصور هذه المدارس اليوم او بعد سنة .. وانما اتصورها بعد عشر سنوات او عشرين سنة ، اذ بدأت تنتج، اتصور ابنتى سنتئذ وقد جلست بقربى بعد صلاة المغرب تقرأ معى الجاحظ وابن الرومى والعقاد .. وتتذاكر معى الاحداث السياسية والاجتماعية فى العالم .. فى الصين وامريكا ، وفى الهند واندونسيا ، واسمعها وقد ابدت رأيا وانقضت اخر ، وانى لآنس منها فهما لما تقول ، وافكارا صائبة لما تقول .. اتصورها وقد غمرتها روحا وطنية ، وشاركت الرجل فى آماله ، وباركت الخطوات التى تسير عليها الدولة .

ثم ، اتصورها وقد اصبحت زوجة ، فاجد فى غرفتها رفا انيقا يضم مجموعة من الكتب المفيدة ، والمح فى جانب آخر ، رفا انيقا آخر – يظهر انه يلاقى عناية خاصة من ربته فيسوقنى الفضول الى ان اتناول كتابا منه .. فاذا هو فى علم التغذية ، واخر فى الحمل والولاده ، واخر فى تربية الطفل .. اجل انها مجموعة مختارة من الكتب التى تبحث فى علم التغذية وتربية الطفل والعناية به . فاشعر بالسعادة تغمرنى ،فقد وجد احفادى ، اما سوف تنشئهم تنشئة ممتازة على اسس علمية .. احفاد اصحاء ترعاهم ام عندها خبرة ومعرفة فى علم التغذية والتربية ..ام تغرس فيهم الروح الوطنية والاسلامية ، فيحصل التكافؤ بين المدرسة والبيت، لاعداد رجل المستقبل .

فانظر حولى فاجد ان ابنتى ربة بيت بحق وحقيق . قطع الاثاث مرتبة ترتيبا يدل على الذوق ، والمطبخ عصريا نظيفا تفخر به ربة البيت . وامد بصرى الى اطراف البيت وممراته وفنائه فاجده نظيفا .. كل شىء حولى نظيف وجميل ومرتب ترتيبا يدل على الذوق .

اجل ، انى اتصور ذلك اليوم الذى سوف تخرج لنا هذه المدارس ، فتاة متعلمة ، واما واعية ، وزوجة تعرف واجباتها تجاه زوجها وبيتها واولادها . فهنيئا للجميع فى ذلك اليوم المشرق السعيد .

وبعد فهل تحسبون هذا من نسج الخيال ؟! ابدا ... وانى لاراهن ، فهل تجراون !..

الدمام ابو القاسم

صحيفة القصيم العدد (٥١) ص ١
10/6/1380هـ

كلمة وكليمة..

واخيرا اسدل الستار نعم اسدل الستار فقد انتهى وضع مفوضية بريده لتعليم البنات الى تجميد المدرسة وتعميدالمديرية العامة لتعليم البنات بعدم افتتاحها ونحن اذ نسوق هذا الخبر لا نقصد منه الا اطلاع القراء على الحقيقة التى آل اليها امر هذه المدرسة ، ونحن وكل قارىء سيحز فى نفوسنا جميعا الاسى على الآمال العظام التى كنا نعلقها على تثقيف وتعليم امهات الاجيال القادمه وعلى الاسهام فى توجيه وتعليم نصف هذا المجتمع ، نعم سيحز الاسى فى نفوسنا على تبخر آمالنا وعلى حرمان منطقة هامة من هذا النوع من التعليم ، هذا وان ما نلمسه من حيويه القائمين على تعليم البنات ومضاعفه جهدهم نحو تحقيق الاهداف التى ارادت الدولة بايجادها هذا النوع من التعليم ، اما نلمسه من هوده الاخوانهو خير امل لنا فى اسعادة نسائهم من جديد لاقتناع مبجهات المختصه بضروره فتح مدرسة تعليم البنات فى مدينه بريده ، وان كنا لا ننسى ان عدم فتح هذه المدرسه فى مدينه بريده ، سوف لا يحرم منطقة القصيم الواسعة منها فهنالك عدد من المدن الاخرى فى هذه المنطقة ، واهلها بدون شك سيرحبون بفتح هذه المدرسة فى مدينتهم ولعل القارىء يعرف ان هذا الاجراء الذى سعنه له ليس الاول من نوعه ، الذى يحصل فى مدينة بريده بفضل بعض ابنائها فقد عارض بعض ابناء بريده المدرسة المدرسة العسكرية عند افتتاحها مما ادى الى نقلها الى احدى مدن القصيم الاخرى الا ان اهالى بريده تراجعوا فيما بينهم وطالبوا باعادة المدرسة من جديد فاجيب طلبهم وفتحت لهم مدرسة اخرى ، ولعلهم هذه المرة يتذكرون انهم بعملهم الذى ادى الى تجميد مدرسة البنات قد حرموا جزءا كبيرا من مواطنيهم من نور العلم . ..

نقول هذا الكلام ونحن لا نجهل وضع بعض الاخوان الذين طالبوا بتجميد فتح هذه المدرسة وانهم يعتقدون ان كلما قاموا به طاعة لربهم وتقربا اليه الا ان اقرار السلطات الدينية فى هذه المملكة لهذا النوع من التعليم يجعلنا لا نجد لهم العذر فى تحديهم لفتح مدرسة البنات فى بريده . ونحن فى الوقت ذاته نذكر سكان بريده بالموقف الذى وقفه اخواننا سكان مدينة الخبر فهؤلاء الاخوة عندما علموا ان مدينتهم لم تكن ضمن المدن التى قرر فيها

سحيان العبد العزيز

– البقية على الصفحة ١١ –

لا نريدهن خطيبات مساجد ولكن مربيات

تصوروا معى أن المحاكم في اية مدينة أوقرية تتربع على منضدتها امراة بعباءتها او تقف على أى منبر تخطب في الناس وتذكرهم بجريمة الزنا وهتك الاعراض ، أو تؤم المصلين بعباءتها ايضا، تصوروا هذا ولا تعجبوا فسوف ترون هذا باعينكم في المستقبل القريب لو تحققت «فكرة» السيد عبدالسلام هاشم حافظ في مقاله الذى نشر في مجلة قريش العدد ١١ بتاريخ ١٢ / ٧ / ١٣٧٩ بعنوان «لتثقيف الفتاة دينيا .. اولتبق في البيت» . ان هذا المقال دعوة صريحة الى عدم تعليم المراة وبقائها في البيت وقفل المدارس المفتوحة حاليا .. متحديا بذلك قرار صاحب الجلالة الملك المعظم بفتح مدارس لتعليم البنات ورصد مبلغ ضخم في الميزانية هذا العام لهذا الشان ، لأن هذا لا يمكن تحقيقه من الناحية العلمية أولا فليس في بلادنا ولا في البلاد العربية مدرسات متخصصات في العلوم الدينية فقط ولا نريد أن يدخل مدارس البنات مدرسون من الرجال .. كما لايمكن تحقيقه من الناحية النظرية ثانيا لأننا لانريد خطيبات مساجد او قاضيات محاكم وانما نريد مربيات متخصصات في علم النفس وادارة المنزل لننشئن جيلا قويا خاليا من الامراض والعقد النفسية التى لا يخلو منها فرد من أفراد مجتمعنا الحالى .

يقول الاستاذ عبد السلام « وهذا لايتحقق الا بالتهذيب الدينى المتكامل اى ان يكون تعليم المراة دينيا لا عقليا ويستدل على ذلك بقول كاتب حكيم ينظر الى المراة بمنظار الحقيقة » كما يقول ! اتدرون . الاخلاق الاجتماعية كما يريدون منهن أن يتعلمن كيفية ادارة المنزل ادارة علمية صحيحة تهىء لازواجهن وأولادهن الراحة والهدوء وهذا لا يتاتى الا باتقانهن فنون الطبخ والخياطة والتطريز ، كما يجب أن يعرفن تاريخ بلادهن وأجدادهن وان يكون لديهن من الثقافة ما يمكنهن حقيقة من اشاعة روح التقارب الفكرى مع ازواجهن .

ويقول الاستاذ عبد السلام ايضا « وقد عنتها –اى المراة– الشريعة الاسلامية بتعاليم تحفظ عليها كيانها وتسمو بمحيطها وترشدها الى مايصلح شانها ويبقى على حصانتها ثم يقول «رخصتها – اى الشرعة الاسلامية – برسالة لا تقل في شانها عن رسالة الرجل » وهذا صحيح ولا جدال فيه ولكنه – لسبب لا اعرفه –يستدل على كل تلك التعاليم بقول الشاعر حافظ ابراهيم :

الام مدرسة اذا أعددتها
أعددت شعبا طيب الاعراق

أم انه حسب بيت الشاعر آية قرآنية . وحتى لو اخذنا بقول الشاعر فانه لم يقل ان نعلمها تعليما دينيا بحتا كما يريد الاستاذ عبد السلام .

وذكر الاستاذ عبد السلام في ثنايا حديثه عن توفيق الحكيم ما نصه : « وهو قد عالج في معظم كتاباته تلك الاوضاع – اى تحلل المراة وتبرجها – التى سببها التحرر البغيض للمراة وانحرافها عن الطريق السوى الخ .. » فملا يا استاذ عبد السلام فتوفيق الحكيم عالج الاوضاع التى سببها تحرر المراة وليس تعليمها كما تعتقد انت فتعليم المراة شيء وتحررها شيء آخر ولايشترط كما يعتقد الاستاذ عبد السلام وانما منشؤه كما يقول الاستاذ عبد السلام مناقضا نفسه « من الموديلات التى تاخذها المراة بصلاتها من البلدان الخارجية بطريق المشاهدة أو المجلات » أى ليس بطريق التعليم فالجاهل هو الذى يقلد أما المتعلم فهو يبتكر .

وفي ختام حديثى أعود الى القول بأن تعليم المراة دينيا لا يكفى بل لابد من تعليمها نفسيا وتربويا وصحيا واجتماعيا وثقافيا فنحن نريد مربيات جيل قوى متين يتحمل اعبا مستقبلنا العظيم .

و في انتظار رد الاستاذ عبد السلام لأتناول الموضوع بشكل اوسع واعمق .

سعود احمد الضويحى
قسم الصحافة بجامعة القاهرة

صحيفة البلاد العدد ٢٢٠
29L10L1379

صحيفة اليمامة العدد ٢١٩ ص ١
22.10.1379هـ

.. وبنـــاتنا .. ؟

كثير ،اولئك الذين كتبوا ، ولا يزالون يطالبون بان تفتح لبناتنا مدارس على غرار المدارس القائمة للبنين .

وقد أمر جلالة الملك بفتح تلك المدارس ، ورصدت الدولة في ميزانيتها لعام ٧٩ مليوني ريال .

والذى يدعوني الى التفكير الجدى : والإسراع بفتح مدارس البنات هذا الانحدار الخلقي والمزالق التى تغشى مجتماعتنا شيئا فشيئا بحيث نشعر بها او لا نشعر .

ان التيارات ، والعوامل التى تهب علينا من هنا وهناك يجد وخزها والد البنات فى قلبه اليما ما لم نحصن بناتنا بتعليمهن وتثقيفهن، وتربيتهن التربية المنزلية، ولم لم نشعرهن بان حقهن فى هذه الحياة وفى المعرفة والفضيلة يعادل حق البنين ـ اخوانهن ـ فى هذه الحياة وما يتمتعون به من ثقافة ومعرفة وفضيلة واسعة ابعدتهم عن المخاطر والمزالق ، نتيجة المدارس التى يتربون فيها ، وقد زاد مقياس سموهم الخلقى عن ذى قبل وتحسنت كثيرا حالاتهم النفسية ، لان العلم الذى يتلقونه فى المدرسة والالعاب البريئة التى يمارسونها قد استأصلت من نفوسهم عادات ضارة بهم وبالمجتمع، كنا نؤاخذهم عليها ، وتتذكرها جيدا اذا تصورنا الحقيقة مجردة عن الشكوك والاغراض فما بالنا اذا لا نطبق هذه القاعدة التى اعترفنا بنتيجتها على بناتنا ؟ بان نفتح لهن مدارس تقيهن شر العوادى وتوجههن التوجيه المثالى او قريبا منه، ولذا فانه من الواجب ان نجد كل بنت فى كل حى وفي كل قرية مدرسة لها ولاخواتها يتلقين فيها مايتلقاه اخوهن فى مدرسته من تثقيف عقلى وتطور فكرى ، وتربية اسلامية ، الا انه بحرمان بناتنا من هذه الميزات هيمنت على احساسهن ومشاعرهن الام نفسية يقاسينها ، لانهن لا يجدن العناية التى يجدها اخوانهن ـ البنون ـ في مدارسهم

ان كل فرد يؤمن ايمانا عميقا بانه لا يوجد مجتمع من المجتمعات الا وفيه مفاسد سواء اكان هذا المجتمع على مستوى عال من الثقافة او اقل من المستوى ، او على جانب كبير من الجهل ، الا ان الفرق واضح فى ان المجتمع الجاهل تكون المفاسد فيه اكثر شيوعا واسرع انتشارا ، وعلى هذا فان المخاوف التى يتصورها بعض الناس من تعليم البنت لا محل لها من الاعراب ، بل يجب ان يتمثلوا المضار التى تهدد المجتمع اذا ما بقيت بناتنا على جهلهن ، وكلنا نتصور مضار الجهل وعاقبته الوخيمة ، والامم الحية ترى انه من اعدائها الثلاثة ، وليس للشعوب سلاح تدافع به عن كيانها منه الا العلم ، لانه يهذب النفس ، ويرقى مداركها ، ومن هنا يتضح خطا من يقول : ان البنت اذا تعلمت فانها تعمل كذا ، وكذا .. ! ونحن ندرك تمام الادراك ان الامر خلاف ذلك ..

ان تعليم البنت على المنهج اللاحب المشبع بالروح الاسلامية والتربية الصحيحة مظهر من مظاهر التقدم الخلقى ، ومظهر من مظاهر الترابط الاجتماعى، وسبيل الى الاصلاح والى التعاون بين البنت واخيها ، وبين الاسرة فى البيت والمجتمع جميعه .

ابراهيم الحجى

ـ البقية على الصفحة الاخيرة ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى حضرة فضيلة الشيخ المكرم المحترم محمد بن الشيخ ابراهيم العبد اللطيف متعه الله بالعلم النافع وجعل أقواله
وأفعاله عن السنة منافحة آمين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وكساكم جزيل فضله وهباته أما بعد فنحن
يا أخي لكم حين اطلعنا على جريدة اليمامة المرقومة في تاسع صفر ورأينا منشورا مسجلا على تحقيق فتح مدارس
البنات تكدرت نفوسنا واغتمت قلوبنا وتوالت همومنا وغمومنا لأن فتح مدارس التعليم على هذا المنهج
عاقبته والله ذميمة وباب بلاء فتح على آخر هذه الأمة والسعيد من وعظ بغيره فلو كان هذا الأمر مخترع
لم يسبقه سابق لاشمأزت قلوب أهل الإيمان منه كيف وقد ظهرت نتيجة خسارته وشناعته
في الشام واصبحت بناته تجاهر بالفسوق وفرحت بها عين كل مفتون وغالب أهل الزمان قلوبهم
قلوبهم للفسق عاشقة ولأهل الباطل خاطبة فيا معشر المؤمنين ويا جماعة الموحدين أعيدوا النظر
هل السكوت على هذا الحادث العظيم يقره كتاب الله وسنة نبيه أم الحالة هذه والله يغار الله لها ورسوله وعباده
الصالحون فالله الله يا فضيلة الوالد المشرف عليكم من جهته مهم عظيم لا تتضاءل جدران الإسلام في
ثم بيتي فلهين فيه ولا تنهار بجار الباطل وأنتم متفاوداهل الإسلام واذكروا المقام بين يدي الله وسؤال الرب
للعلماء فإن من الله باستمرار هذا المهم على أيديكم فهذا والله من أكبر الجهاد وأعظم السبب لصلاح البلاد والعباد
وان تعذرت الأمور فنرجو من جزيل فضل ربنا ثم من احسانكم وبلائكم الحسن أن ترفعوه عن
بلدنا وتزحزحوه عن وطننا وأملنا بالله ثم بكم الاهتمام والقيام بهذا الشأن كما هي من عاداتكم المباركة
ثم لكم من أيادي حسنى على هذه الحنيفية هذا ودمتم بأمان الله محفوظا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته صفر ١٣٨٠

المقالات

صحيفة القصيم.

صحيفة اليمامة.

حديث الثلاثاء[1]

نريد أن نبني أسراً محكمة البنيان.. أسراً يتميز جميع أفرادها بفضيلة المعرفة.. نريد أن يكون جميع أفراد أسرنا متعلمين.. يعرفون ما لهم وما عليهم.. نريد أن يقرأ الجميع ويناقش الكل.. نحن نسعى جادين لتعليم الابن ولكنا لم نحاول أن نقنع أنفسنا بضرورة تعليم البنت.

إن مركب النقص فينا معشر الرجال ليس في المرأة وعقده الخوف التي تحكمت فينا حتى منعنا المرأة من التعلم ما هي إلا نتيجة لعدم ثقتنا بأنفسنا أولا.. فلو وثقنا بإراداتنا وعرفنا أنها تسوس المرأة سياسة صحيحة لما شححنا عليها بالمعرفة التي أمرنا بها، جميعا فالنبي وأصحابه لم ينكروا على نسائهم أن يكن فقيهات، والصحابة والتابعون كانوا يروون الشعر عن نساء، فما لنا في القرن العشرين ننكر تعليم المرأة، وننكر على خطيبها أن يراها مع أن رؤية الوجه والكفين جائزة شرعاً. وبعض العلماء أباح رؤية جميع أجزاء جسدها ما عدا السوأتين. إن عدم الرؤية وعدم التعليم هما سبب كثرة الكوارث في مجتمعنا. فكثرة الطلاق، وكثرة الخلافات في الأسرة الواحدة وكثرة العوانس ما هي إلا غراس جهلنا بحق المرأة في الحياة.

نريد.. نريد من البنت أن تتعلم لكي تسوس البيت عندما تكون ربته. نريد منها أن تتثقف بجميع أنواع الثقافات.. نريد منها أن تتعلم فنون الطهي والفنون المنزلية الأخرى.. نريد منها أن تقرأ وتكتب وتشارك في الآراء والأفكار. نريد من نصفنا الثاني أن يكون نصفاً صحيحاً لا نصفا مشلولاً.. نريد من هذا النصف أن يسهم معنا في المعرفة لكي ينتج. نريد من ربة البيت أن تعرف كيف تربي أبناءها لكي تخرج لنا جيلاً صالحاً، فالإنسان ابن بيئته وأية بيئة أحسن وأصلح من البيت إنْ وجد مربياً قديرا. وأقبح وأطلح منه إن لم يجد ذلك المربي القدير بأن كان سائسه جاهلاً، كما هي الحالة لدينا.

---

(1) القصيم ، 29/6/1379هـ، العدد 5 ص 1، علي المسلم.

ما قال - حافظ - عبثاً:

الأم مــدرســة إذا أعــددتــهــا أعـددت شـعـبـاً طـيـب الأعـراق

نريد أن نعرف مصدر تخوفنا من تعليم المرأة.. هل ينتظر من فتاة محجبة- تمشيا مع مبادئ الإسلام الحنيف- أن تطالب بمركز الرجل، وأن تحمل المقامات العالية بدلاً منه.. إننا نأمل فتح مدارس لتعليم الفتاة تنفيذاً للنطق الملكي الكريم.. نريد من هذه المدارس أن تعلم تعليماً صحيحاً يجمع بين معرفة الدين وتربية الابن وسياسة المنزل، لا نريد أن نعلمها لتكون (كجلدامائير) تسوس خارجية الدولة المسخ، وتمثلها في المحافل الدولية.. لا.. لانريد هذا، ولكنا نريدها متعلمة لها ولغيرها لابرميلاً متحركا.. نريد أن نرفع عنها هذا العار. عار الجهل. نريد أن نشعرها أنها إنسان مثلنا يجب أن تقرأ وتكتب، ونفهمها أخيراً أنها ربة بيت قبل كل شيء.

إن كثيراً من الشباب امتنعوا عن الزواج لعدة أسباب أهمها: عدم تعليم المرأة، وكثير منهم تزوجوا من خارج هذه البلاد بفتيات متعلمات، ولكن أغلبهم فشلوا في زواجهم هذا. ذلك أن أكثر القادمات تفهمن بلادنا على غير ما هي عليه عندما كن في بلادهن، وعند وصولهن تنقلب مفاهيمهن بالنظرة إلى البلاد والمجتمع. نريد أن نعلم الفتاة. كفى ما حدث من نكبات. لو أننا علمنا البنت لما حدثت هذه الكثرة الكاثرة من الطلاق، ولما صار أولاد الرجل الواحد موزعين على عدة بيوت كل واحد منهم يكره أخاه ويمقت أباه. نريد أن تتعلم الفتاة لكي يقبل الفتيان على الزواج. نريد أن نقضي على موضة الزواج من الخارج التي ضرتنا كثيرا، وغيرت نظرات أكثر المنكوبين إلى الزواج والزوجات بكافة أشكالهن.

نريد أن نمنع الزواج من الخارج.. لابمراسم، ولكن بتعليم الفتاة وإعدادها لسياسة البيت.

إن الزواج من الخارج رفع عدد العوانس وكثرة العوانس بهذا الشكل مما يحدث انفجارا في الأخلاق. والأخلاق هي سياج الأمم كما نعرف، والرجل والمرأة متساويان في الناحيتين؛ المادية والعاطفية، لأنهما بشر، وختاماً نريد تعليم الفتاة.

لنثقف الفتاة دينياً أو تبقى في البيت[1]

هذا الموضوع أوجهه للمسؤولين، وقد أصبح تعليم الفتاة عندنا اليوم حقيقة ماثلة، وأعلن رسمياً عن قرب افتتاح مدارس حكومية للبنات، وقد اكتظت المدارس الأهلية والخاصة بهذه البراعم الرقيقة التي حق لها أن تستضيء بالثقافة وأن ترشف من رحيق المعرفة لتأخذ بحظها في هذا الميدان التقدمي، حتى تستبصر بشؤونها التربوية والحياتية والمنزلية، وتشيع في بيتها روح التفاهم والتقارب الفكري، ويتعاون البيت مع المدرسة على تثقيف الجيل وإصلاح المجتمع، الأمر الذي نريد من وراءه تعليم المرأة وتقويم حياتها.

فماذا يحسن أن تتلقاه وتنهل منه، هذه هي المسألة - كما يقولون- أعني ما الذي يجب أن نعلمها كمسلمة لها تقاليدها ووضعها الأنثوي، وقد علمتها الشريعة الإسلامية بتعاليم تحفظ عليها كيانها وتسمو بمحيطها وترشدها إلى ما يصلح شأنها وتبقى على حصانتها.. وقد كفلت لها حقوق كاملة وهي توصي برعايتها وتعزيز ضعفها- كما أوصت بحجابها وخصتها برسالة لا تقل في شأنها عن رسالة الرجل.. فهل هي فهمت هذه الرسالة وأدركت فضائلها كما تهيأت وأريدت لها؟ هذا ما يجب أن نعالجه في تعليم فتاتنا ونثقفها الثقافة العالية عن طريق العلوم الدينية ثقافة تشد من مداركها وتبصرها بوضعها وتهذب فيها طبائعها الرفيعة واندفاعاتها السريعة..

لنستمع إلى كاتب حكيم غربي يطل إليها بمنظار الحقيقة في قوله: (التهذيب الديني ضرورة جداً في مدارس الإناث لأنه أقوى ضمان لسعادة الزوجين، ينبغي أن يكون تعليم النساء ديننا لا عقليا، لأن ضعف المرأة وتزعزعها في آرائها

---

(1) القصيم ، 27/ 7/ 1379هـ، العدد 9 ص9، عبدالسلام هاشم حافظ.

وحاجاتها المستمرة إلى سند تسند إليه، وشعورها بالحاجة إلى من يساعدها، كل ذلك يستلزم تثقيفها ثقافة دينية منظمة..).

وهنا نصل إلى الوسيلة المأمولة لتعليم المرأة الذي نرى أنه لم ينظم بعد ولم يقم على الأسس الصحيحة التي هي محتاجة إليه للسمو بعقليتها أن يكون عليها.. ولا يجب أن نخلط لها كل ما يتعلمه الجنس الآخر، وأن نترك أهم ما هي وإنارة مفهومها، حتى تعي سلامة أوضاعها وتقاليدها وتفهم حقيقة التعليم بالنسبة لها والثمار المرجوة منه.. وهي بذلك تفهم مسؤولياتها ومعالم طريقها التي يحسن بها أن تسير فيها ويحمد عليها وترضى عنها تعاليم ديننا الحنيف- دين الإنسانية الأسمى- فيكون بحق المرأة المسلمة والمثالية التي تدرك سر نفسها المهذبة وتتخذ لها مجالها الحصين. فإذا بطبيعتها تنبذ عنها التقاليد الدخيلة والأفكار الانحلالية وتنظر دائماً إلى وضع مشرف أفضل.

إن هذا لا يتحقق إلا بالتهذيب الديني المتكامل.. أي أن يكون تعليم المرأة - دينيا لا عقليا- .. نؤيد هذا ونحن نلقي نظرة واسعة على ما أصابته المرأة من تعاليم فجة. وانطلاقات إباحية في البلدان الأخرى ونجد مأساة هذا التعليم الفوضوي الناقص - للأسف- قد بلغت أشدها وعممت الغالبية الساحقة.. فأبسط شيء تلحظه هناك أن ترى فتاة الجامعة لم تقم وزناً لحرمة العلم، فإذا هي كمثيلاتها في الشارع- بزيها القصير المحبوك على تقاطيع جسمها. وبمظاهر فتنتها الغازية، زيادة على تنطعها بالتحرر وتقليدها الأعمى للموضات المكشوفة!..

حديث المرأة[1]

مدارس البنات في المملكة قليلة وقليلة جداً، ومع قلتها هذه ، فأنها لم تخرج عن كونها روضات أطفال أو أرفع قليلا، ومع ذلك فأنها خاصة ليست حكومية، ولا حتى لوزارة المعارف أي إشراف عليها، لا من الناحية الفنية- التربوية التعليمية - ولا من الناحية الإدارية والمالية، على الرغم من كتابة الكثير من الأدباء والكتاب والصحفيين والمصلحين والمهتمين بشؤون المرأة في ذلك.

ونحن بنات اليوم وأمهات المستقبل اللائي يهمنا هذا الموضوع أكثر من غيرنا، يسرنا أن نبعث بصرختنا هذه مؤمنات بأن الكتب السماوية جميعها تؤيد وتدعو إلى تعليم المرأة، وتنصفها وتعطيها حقها وتدافع عنها.

وتاريخ المرأة تاريخ حافل بجلائل الأعمال، بل إن من بين النساء من بزت الرجال في العلم والأدب، وحتى في ميدان الحروب، ظهر منهن فارسات خضن غمار الحروب وقادتها إلى النصر المبين.

ونحن وإن لم نرد اليوم أن يكن فارسات كضباط وجنود في الجيش ولا مهندسات ومخترعات، إلا أننا نريد فقط أن نتعلم لنعرف أمور ديننا ودنيانا، نريد أن نتعلم لنكن زوجات صالحات رشيدات وأمهات حكيمات لنخرج جيلاً قوياً في روحه بفضل تربيتنا المثلى له.

نريد أن تعمم مدارس البنات وأن تنظم تنظيماً فنيا لائقاً.. نريد أن تُنفذ الإرادة الملكية الكريمة التي اعترفت وأقرت بتعليم الفتاة.

نريد أن تنفذ سريعاً قبل أن يفوتنا القطار أو يفوت أخوات لنا يتعطشن إلى العلم أكثر من تعطشهن للماء.

عسى أن يكون ذلك أقرب مما ننتظر ونتوقع، والله الهادي إلى أقوم سبيل.

---

(1) القصيم، 7/ 11/ 1379هـ، العدد 22 ص5، لجنة الأدب والتأليف بالمدرسة السعودية للبنات بآل سويلم بالرياض حصة عبد العزيز الدبيخي حصة عبد الرحمن حصة عمر السدحان.

كلمة القصيم

تعليم البنت[1]

تحققت الفكرة التي طالما دعا إليها المفكرون.. وبحثها الباحثون وهي تعليم البنت.. وتحطمت تلك الأوهام والمخاوف التي كانت تقف عقبة كأداء في سبيل تثقيف الأمة.. وأساس الأمة ومصدر رقيها أو انحطاطها.. مصدر سرها في طريق التقدم .. أو تخبطها في دياجير الجهل والخرافة..

لقد اعترف بمبدأ تعليم البنت.. ثم رصد لهذا التعليم مبلغ من المال في ميزانية الدولة .. ثم كان اهتمام جلالة الملك بهذا الأمر هو الذي جعله يتحقق.. ويبرز إلى ميدان العمل.. والتنفيذ.. في هذه الأيام. فأسندت هذه المديرية إلى فضيلة الشيخ عبد العزيز بن ناصر بن رشيد.. وهو من علمائنا الأفاضل المشهورين بالعفة والنزاهة التي نؤمل أن تساندها..الخبرة.. والدقة والسرعة.. التي يتطلبها هذا الأمر.. ونحن لا نعني بالسرعة أن نرتجل الأمور ارتجالاً بل نريدها بعد دراسة وتفكير.. وتقدير يعقبها التنفيذ السريع.. الذي يحقق لنا الفائدة.. ويعوضنا عما فات ويهيئ لنا التقدم بشطري الأمة.. فيكون التعادل ويكون التماثل.. ويكون الانسجام.. الذي تتقدم في ظله البلاد.. ويبنى كيانها.. ويقوي أركانها.. ويجعلها تطير إلى أهدافها بجناحين متكافئين كل واحد منهما يؤدي واجبه على أحسن وجه وأكمله.. جناح البنين وجناح البنات..

إن المواطنين يريدون عملاً سريعاً بعد دراسة مركزة.. ويريدون من القائمين على هذه المديرية أن نعمل عمل السنة في يوم.. وعمل اليوم في ساعة حتى نعوض ما فات.. ونلحق بركب الحياة..ونؤدي واجباتنا ونبني أمجادنا على أسس

---

(1) القصيم، 6/12/1379هـ، العدد 26 ص 1.

قوية من العلم والمعرفة.. والبصر والبصيرة.. وإذا فكل مواطن يتطلع إلى هذا الأمر ويتتبع جميع خطواته.. وجميع تطوراته بنفس تطمع إلى معالي الأمور. وتسعى لتكوين الأمة على أسس صحيحة ثابتة.

إن كل مواطن يعرف أن الإناث يبلغن في الكم مبلغ الذكور.. إن لم نقل إنهن أكثر عدداً ومعنى هذا أننا نريد لهن مدارس.. بعدد مدارس الذكور.. وعلى هذا كان مبلغ المليونين المخصصة لهذه المديرية إنما نعتبرها نواة .. نريدها أن تكبر وأن تشب وأن نسمع وأن تتغلغل أصولها وفروعها في طول البلاد وعرضها يمتد ظلها إلى كل بقعة.. ويجني ثمارها كل فرد من أفراد الأمة المتعطشة.. إلى كل لون من ألوان الرقي والتقدم..

إننا نريد أن تتضاعف هذه الموازنة في كل عام جديد.. وأن يتسع هذا التعليم حتى يشمل القرية مثلما يشمل المدينة.. حتى يبلغ المستوى الذي بلغ إليه تعليم الذكور.. فإذا تساويا.. فإننا نريدهما أن يسيرا صفاً واحداً في ترابط واتساق.. يحقق لهذه الأمة العريقة في المجد.. إحياء أمجاد الأقدمين.. مضافاً إليها حفاوة المتأخرين.. ورقيهم العلمي .. والصناعي..

حديث المرأة

فرحة العام[1]

أنا مسرورة وسعيدة وفخورة جداً بما سمعته في الإذاعة وقرأته في الصحف عن افتتاح مدارس ومعاهد معلمات في هذا العام الجديد الذي أرجو أن يكون عام يمن وبركة وسرور عام 1380هـ، وأنا أول من يساهم في الدراسة والتدريس إن شاء الله تعالى، وأنا الآن أحمل شهادة خامسة ابتدائي من الأستاذة الكريمة فاطمة شرف الدين في عام 1378هـ، وقد حال بيني وبين تكميل الدراسة ظروف خاصة، وأنا الآن أرقب هذه المفاجأة الطيبة العظيمة السعيدة في نفسي وفي نفس كل سعودية تحب العلم وتحب أن تتعلم أمر دينها ودنياها وتنفع وطنها ومستقبلها، وأخيراً أهنىء نفسي وأخواتي السعوديات بفتح المدارس في هذا العام الجديد.

أمد الله في عمر العاهل المفدى الملك سعود.

---

(1) القصيم ، 16/2/1380هـ، العدد 35 ص 5 ، جوهرة العبد الرحمن.

هذا منبري

فلنحيي ميلاد مدارس البنات[1]

منذ حين من الدهر والصحف لم تنفك تنشر المقالات العديدة الصافية، عن تعليم المرأة السعودية، وقد ذهب بعض الأدباء والكتاب، إلى أن زواج كثير من الشباب السعودي من غير السعوديات، كان عامله الأول، جهل المرأة السعودية أي لو كانت الفتاة السعودية مثقفة، لما ذهب مواطنها بعيدا للزواج من غيرها.. ورويدا رويداً احتدم الجدال في الصحف، ما بين مؤيد ومعارض لهذه الأفكار، حتى امتشقت القلم بعض فتياتنا، وخضن المعركة الأدبية في الصحف، وخاصة في «القصيم» و«اليمامة» الأمر الذي كشف لنا - ولله الحمد- أن في الكنانة من بناتنا المثقفات، ما تفتخر بهن البلاد الفخر العظيم، فكتبن ونشرن الكثير من المقالات الأدبية والاجتماعية في شتى الصحف.

وأخيراً، ولما أحس صاحب الجلالة الملك المعظم، برغبة الكثير من أبناء شعبه الأمين، في تعليم المرأة، أصدر أمره الملكي الكريم بفتح مدارس عدة للبنات في أمهات المدن ومدارس لإعداد المعلمات، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على الروح النبيلة العظيمة التي يتمتع بها هذا الملك العظيم، والشعور الكريم الفياض الذي يدفعه إلى عمل كل ما فيه خير هذا البلد وهذه الأمة التي تعلقت بمحبته ورجت وترجو منه الكثير، والكثير جدا، حتى تبلغ شأوها البعيد في الحياة الفاضلة في عهد جلالته الميمون.

وإني وإن كنت أود أن أعلق على هذا الحدث العظيم فيكفيني أن أوجز تعليقي في أن القرآن الكريم والحديث الشريف وسيرة نساء النبي صلى الله عليه

---

(1) القصيم، العدد 35، 16/12/1380هـ ، ص 13، عثمان شوقي.

وسلم ثم سيرة نساء الصحابة والعرب في الصدر الأول من الإسلام، وحاجة العصر وقواعد الاجتماع والعمران.. كل ذلك يشير إلى تعليم المرأة إشارة قوية يهتز لها العالم بأسره.

وكم أود وأنا أكتب هذا عن بداية تعليم الفتاة السعودية وإعلان قرب افتتاح مدارس البنات ومعاهد المعلمات في كل من الرياض ومكة وجدة والمدينة والدمام وبريدة وأبها.. كما أود أن نحتفل بهذه البداية الطيبة ونشيد بهذه الحركة المباركة والفكرة الصائبة لتؤتي بأكلها الطيب وثمرها الشهي فيسجل هذا الحدث العظيم تسجيلاً بارعا شعريا يحفز كل منا لتعليم بنته أو أخته، ويدفع غيرنا لتشييد صروح أخرى بجانب هذه والله الهادي لأقوم سبيل.

كلمة وكليمة

مدارس البنات[1]

طالعتنا صحف الأسبوع الماضي بأنباء تأسيس مدارس للبنات وقد أثلجت تلك الأنباء صدور المواطنين لأنها تدل بعزم الدولة على تثقيف وتعليم أمهات الأجيال القادمة واللاتي عليهن تقع التبعة في إخراج جيل اكتملت مواهبه وصحته، وقد كانت مدينة بريدة إحدى تلك المدن التي سوف يؤسس فيها مدرسة لتعليم البنات، ولا أشك في اغتباط كل مواطن من أهالي بريدة بتأسيس مدرسة لتعليم البنات في مدينتهم، وقد سمعنا بعض الأنباء . ولا نعرف صحتها . أن نقرأ من أهالي بريدة قد طلبوا من بعض الجهات الامتناع عن تأسيس هذه المدرسة، ولا أعرف الدافع لهذا الاعتراض أهو الخوف على الدين كما يذكرون.

إن كل الدافع الخوف . كما يذكرون . فليطمئنوا، فقد أسندت رئاسة هذه المدارس إلى شخص كبير يعتبره كل مواطن من دعاة الدين ومن كبار رجاله، وبدون شك سوف لا يسمح بحدوث شيء في هذه المدارس ينتج منه مضرة للدين، علاوة على أنه لا يمكن أن تكون هناك مخاوف من مدارس البنات يخشاها أهل بريدة دون غيرهم من أهالي المدن الأخرى في المملكة، فكل مدينة في هذه المملكة لا تخلو من جماعة كبيرة يعز عليها صيانة الدين وحمايته، فما هو الذي جعل بعض أهل بريدة دون غيرهم من المدن الأخرى يعترضون على تعليم البنت ولصالح من هذا الاعتراض؟

إن هذا الاعتراض لن تكون له إلا نتيجة واحدة، وهي وجود الخلاف والفرقة بين أهل هذه المدينة، وبالتالي سوف تؤسس مدارس البنات مهما اعترض

---

(1) القصيم، 23/2/1380هـ، العدد 36 ص 1، ضحيان العبد العزيز.

المعترضون، لأن الغالبية العظمى من أهل هذه المدينة ينتظرون فتح هذه المدرسة بفارغ الصبر، ولأن كافة المواطنين أصبحوا يدركون ضرورة العلم للذكور والبنات، والتي أرجو من السادة المعترضين أن يستعيدوا الماضي قليلا، حيث قد وجدت معارضة لفتح المدرسة العسكرية بل وأغلقت المدرسة العسكرية بعد فتحها، ثم وجدت معارضة للألعاب الرياضية ولكن هل أجدت تلك المعارضة؟ فقد عادت المدرسة العسكرية كأقوى ما تكون بل أن المدرسة العسكرية قد تطورت وأصبحت ثانوية لأقليم القصيم كله كما أن الرياضة قد استقرت ومارسها أبناء البلاد على أوسع نطاق، وخشية حدوث الفرقة والاختلاف، فإننا نرجو مخلصين اتحاد كلمة أبناء بريدة والاهتمام بتطوير مدينتهم وتنظيمها.

كلمة وكليمة[1]

كانت كتابتي في الأسبوعين الماضيين عن حاجة مدينة بريدة إلى تأسيس بلدية فيها، وعن فرحة المواطنين بتأسيس مدرسة للبنات، وقد كانت هذه الكتابة تعبيراً عما يخالج نفس كل مواطن من الحسرة والأسى لعدم وجود بلدية في مدينة بريدة، ومن الفرحة والسرور بنبأ تأسيس مدرسة للبنات فيها، ولم أكن أعرف أن هذين الشيئين اللذين تحدثت عنهما هما حديث الساعة في بريدة في أخذ ورد بين المواطنين في تلك المدينة، فمنهم قسم يرى أن المصلحة عدم وجود البلدية ومدرسة البنات، وهذا القسم له بعض الاعتبارات الاجتماعية التي تجعله يقدم على الحديث باسم غالبية المواطنين، مستغلاً بعض الفرض حول الأشخاص الذين تربطه بهم بعض الاعتبارات، وقد سمعنا أن هذا القسم أثر على بعض أئمة المساجد مما دعاهم إلى الاتصال بالجهات المختصة حول منع تأسيس البلدية ومدرسة البنات، ونحن وإن كنا نحترم أولئك الأخوان ونقدرهم، ونعرف أن الدافع لهم في فعلهم هذا هو محبة الخير والحرص على المصلحة العامة؛ إلا أننا لا نوافقهم على هذا الرأي، لأنهم بهذا العمل سيجعلوننا موضعا للتندر بين طبقات المواطنين الآخرين، فتجد الكثير من المواطنين يتحدث بعضهم مع بعض قائلاً: إن أهالي بريدة رفضوا تأسيس بلدية في مدينتهم، وطلبوا عدم افتتاح مدرسة للبنات، وما إلى ذلك من أنواع التعليقات التي يود كل مواطن عدم سماعه لها في الوقت الذي لم نر فيه أحداً من أهل مدن المملكة عارض في مثل هذه الأشياء، ونحن لا نشك أن كل مدينة من هذه المدن يتصف أهلها بما يتصف به أهل بريدة من غيرة على الدين وحب للخير، ومع ذلك فهم يقدرون ظروف البلاد وحاجتها إلى مثل هذه الأشياء. هذا مع علمنا أن ولاة الأمور سوف

---

(1) القصيم، 1/3/1380هـ، العدد 37 ص1، ضحيان عبد العزيز.

يقدرون الصالح العام وينفذونه دون مجاملة لأحد. أو مداراة ولا أعتقد أن أحدا يجهل المصلحة العامة التي قدروها والتي على أثرها أمروا بإيجاد تعليم البنات لأن تعليمهن سيمكنهن من معرفة واجباتهن وبالتالي سيساعدهن على توجيه أولادهن الوجهة الصالحة التي تكفل لهم جميعا حياة مستقرة وعيشاً رغيداً.

وقد تلقى بعض أفراد أسرة تحرير القصيم من بعض الشباب المثقف في بريدة بعض الرسائل حول عدم اهتمام صحيفة القصيم بشؤون بريدة، ويجيب أولئك الأخوان بأنهم وإن كانوا من أهل بريدة، إلا أن بعدهم عنها يجعلهم يعجزون عن إدراك بعض الأشياء التي تجب الكتابة عنها، وهم في الوقت ذاته يأملون من شباب بريدة أن يكتبوا بأنفسهم عن مشاكل مدينتهم وعن الأشياء التي تستحق الكتابة، لأنهم يقيمون في بريدة، ولأنهم أقرب الناس إلى تعرف تلك المشاكل، وسيجدون بعد ذلك كل تجاوب من صحيفة القصيم وأسرتها.

مدرسة البنات في بريدة متى تفتح؟[1]

تفاءلنا بخير ولا نزال نتفاءل وذلك عندما قرأنا ما نشرته الصحف المحلية عن بشرى افتتاح مدارس البنات في بعض مدن المملكة تنفيذاً للرغبة الملكية الكريمة، ومما زاد السرور في نفوسنا ما قرأناه من إعلانات المسؤولين عن هذه المدارس. وقد كان نصيب مدينة بريدة، التي يبلغ سكانها حوالي مائة ألف نسمة، مدرسة ابتدائية من هذه المدارس، وكان نبأ افتتاح هذه المدرسة في بريده، خطوة جبارة من قبل المسؤولين وفي نفس الوقت حلما لا يزال في انتظار تحقيقه حيث قد حرمنا من نور العلم منذ أمد، أما الآن فقد افتتحت أمامنا بل أمام كل فتاة من فتيات هذه المملكة بارقة الأمل الشيء الذي يجعلنا نتوجه برجائنا إلى الرئيس العام لمدارس البنات أن يأمر بسرعةٍ بافتتاح مدرسة بريدة في هذا العام لكي يتم الهدف الأسمى الذي من أجله عملت حكومتنا السنية على افتتاح المدارس وهو تثقيف الفتاة السعودية لكي تنال نصيبها من التعليم على ضوء ما ترسمه لها الآراء الحكيمة، وإن لنا في سماحة المدير العام الأمل الكبير في سبيل تحقيق هذا الأمل.

---

(1) القصيم، 27/4/1380هـ، العدد 45 ص5، ب. غ.

كلمة وكليمة

مدارس البنات؟[1]

أعلنت المديرية العامة لتعليم البنات فتح أبواب مدارسها لتعليم بنات المواطنين، وهي لذلك قد أرسلت مفتشيها لافتتاح المدارس المعينة في المدن، وقد أنهى هؤلاء المفتشون مهمتهم، ففتحت تلك المدارس. ونحن في الوقت الذي نشكر فيه رجال هذه المديرية على اهتمامهم في تثقيف وتعليم أمهات الأجيال القادمة، واللاتي تقع عليهن أعباء تربية النشء، وتوجيه الوجهة الصالحة في الوقت ذاته، لا نكتمك يا سيدي القارئ الأسى الذي لزم نفوسنا والحسرة التي استولت عليها، لأننا لم نجد بين تلك المدن التي أعلن عن فتح أبواب مدارسها لاستقبال فتياتنا، لم نجد مدينة بريدة قاعدة القصيم وأم مدنه وقراه، لم نجد لها ذكراً بين تلك المدن، ونحن لذلك لا نلقي أي لوم ولا تبعة على رئيس ورجال مديرية تعليم البنات، فهم كما نعلم قد وضعوا مدينة بريدة ضمن تلك المدن التي قرر فتح المدارس فيها، وأولوا تلك المدينة من العناية ما يشكرهم عليه الكثيرون من القراء، بل إنهم تحملوا في سبيل تثبيت مدرسة بريدة وإقرارها بعض المتاعب والمشاكل، وتلقوا الكثير من العتب من بعض أصدقائهم وزملائهم في بريدة، ولكنهم تحملوا كل ذلك وتقبلوه بنفس رحبة جاعلين هدفهم خدمة الصالح العام وأداء الأمانة التي اؤتمنوا عليها، فقد أصروا على إيجاد مدرسة لتعليم البنات في مدينة بريدة، لأنهم يدركون سلفاً أن بريدة ليس لها وضع خاص يميزها عن سائر المدن الأخرى التي رحبت بفتح مدارس البنات، والتي قابلت ذلك بالشكر الجزيل لكل من أسهم في إبراز هذا الأمر إلى حيز الوجود، ولأن

---

(1) القصيم، 2/5/1380هـ، العدد 47 ص1، ضحيان العبدالعزيز.

رئيس هذه المدارس وبعضاً من كبار موظفيها هم من رجال الشرع والدين وعلماء المسلمين وممن يقدر صيانة مقدساتنا والحفاظ عليها وحمايتها، وهم من أحرص الناس على احترام ديننا والدفاع عنه، ولو كان في إيجاد مدارس البنات أمر يخالف الدين لما أقدموا على فتحها، ولما قبلوا لنفوسهم الانتساب إليها ورعايتها، ولكن الأمر على خلاف ذلك، وهنا نجد نفوسنا مضطرين إلى التساؤل عن عدم ذكر مدرسة بريدة ضمن تلك المدارس، وهل طرأ على الموقف شيء جديد حال دون فتحها؟ وكل الذي أخشاه ويخشاه غيري من القراء أن يكون بعض مواطنينا من سكان بريدة قد ألحوا على الجهات المختصة في عدم فتحها، فرأت تلك الجهات التريث في الفتح تطييباً لخواطرهم، أو أملاً في إزالة ما علق في أذهانهم من خوف لنتائج تعليم البنات، وإن صحّ هذا فإننا إذ نشكر هذه الجهات على ملاطفة بعض الموظفين في الوقت ذاته نود أن نبين لهم أن هناك مواطنين من نفس البلدة هم أضعاف المواطنين الذين لم يعجبهم فتح المدارس، وهم بفارغ الصبر ينتظرون فتح هذه المدرسة، ولهم من الحق في تطمين خواطرهم ورعاية شؤونهم مثل الذي لغيرهم من مطالبهم العادلة، ولأنهم لم يطالبوا بشيء غريب عن هذه المملكة، وكل ما طلبوه تنفيذ ما قررته الجهات المختصة بفتح مدرسة لتعليم البنات في بريدة أسوة بإخوانهم أبناء المدن الأخرى.

بعد هذا، فإنني وغيري من المواطنين نرجو مخلصين ألا نرى بعد الآن أي خلاف على مصلحة عامة أمرتها الجهات المختصة في بريدة أو غيرها لأن هذا الخلاف ستكون نتيجته الحتمية تجميد أو إضعاف ذلك المشروع أو نقله من جهة إلى جهة أخرى إذا لم يكن فيها ما يمس تعاليم ديننا.

بقي شيء واحد، وهو أن التعليم في هذه المدارس غير إجباري، فعلى الذين يتخوفون منه ألا يدخلوا بناتهم في هذه المدارس، وأن يحتفظوا بهن في بيوتهم، وعسى أن تكون هذه هي الكلمة الأخيرة عن مدرسة البنات في بريدة.

تعليم البنت ضرورة اجتماعية[1]

في هذا العصر الذي عمرته روح الحضارة.. وانبلج فيه ضوء النهوض الفضفاض والتطور الزمني السريع.. فإن مشعل العقل لا بد وأن يتخطى أفقه الضيق ليسبح في سر الحياة.. وهو متمتع بأعمق إيمان.. إنه لن يقف مكتوف الأيدي إزاء سمو الفكر.. واشتعال أواره.. والعقل النير هو الذي ساير ركب الزمن، وأيقن أنه في عجلته الدائرة.. كالصاروخ المنداح في كبد الفضاء.. ولن يقف- أبدا- ليربو إلى ذلك الذي تدجى عليه ظلام الجهل وأحاطته المشاعر الميتة بهالة من الخنوع.. الذي أسدل عليه ستاره وجعله في تفاهة من مرض الضمير.. والروح اللاحراكية.. هذه العصور منطلقة.. رغم المتخاذل المتقاعس والعالم بأسره يرمق عصره الذهني.. ليصافح معنى الحضارة المنشودة. وقافلة الحياة تحث الخطى لكي ترمق نور النهضة.. الذي تتطلع إليه يدفعها الأمل الصارخ.. استجابة لسنة هذه الحياة.. تحث الخطى كالشعلة المنطلقة.. تتضاءل أمامها أشباح الصعوبات، وبناء صرح جديد في هذه المملكة يعتبر ركيزة تعتمد عليها في خصم هذه الحياة.. أجل هذه الموضة الجديدة الطريقة التي أصبحت تاجاً يكلل هذا العام.. في خطة مدروسة.. وعمل محدد المعالم منذ أمد وهي بداية وعي قومي.. ينفث في الروع معاني الانطلاق.. ويملي للقلب أعظم درس.. تزهو به البشرية.. وتترقبه النفوس الظامئة إلى تباشير النور القدسي.. والنهضة الدائبة.. ومن ثم فتعليم البنت أساس من أسس الإسلام العادل.. ودعامة من دعائم الدين الحنيف أشاد بها مبدأ الإسلام، وقضت بها القيم الروحية.. هذه الفتاة البريئة لم نئدها حية في مقبرة الجهل..؟ ونهيل عليها التراب.. غير منصفين. ولا راحمين لهذا العضو الفعال الذي لا غنى عنه في خوض معترك الحياة.. هي

---

(1) القصيم، 26/ 5/ 1380هـ، العدد 49 ص 3، أبو خالد.

فلذات أكبادنا اليوم.. وربات جل أعمالنا غدا.. ألم نعلم أن تعليم البنت والابن، بل المسلم والمسلمة فرض من فروض الشريعة.. فما هو الداعية إلى أن نمنع أنظارنا.. من أن تنظر.. مسالك الشريعة.. لكي تدق طبولاً تبرهن على عدم اطمئناننا إليها.. رغم أننا بعداء عن أن نخوض في هذه الحلبات.. لماذا نحمل راية المعارضة .. وفينا أكفاء أعدو عدتهم للأمر.. وأقاموا صرحه وراعوه حق الرعاية.. عجيب والله أن نرى تعليم أختنا أو بنتنا دناءة.. ونحن أولئك الذين عضوا على نواجذهم بمبدأ الإسلام، وأشربوا حب عدالته وإنصافه بقلوبهم.. هذه البنت هي فرد من أفراد المجتمع.. وركن له عمله في هذه الحياة فمعنى حرمانها من التعليم هو القضاء على روحها.. واضمحلال معنوياتها، هي في مجتمعنا الصغير- البنت- دعامة كبرى إذا استنارت أفكارها بنور العلم. وقامت بقيادة دفة البيت على أسس سليمة.. ذات طابع فني.. والأهم من ذلك أن عبادتها لله ستكون على هدى وبصيرة، وعن صدق وإيمان عميق.. وسيتحقق من هذا العلم أعظم جدوى للمجتمع.. فإذا كانت الأم متعلمة.. عرفت كيف تقوم بتوجيه أبنائها، وترشدهم إلى الوجهة الصحيحة في حين نعومة أظفارهم، والحقيقة أن أعمالها عن دراية وعلم هو ما يترقبه الإنسان بكل مشاعره. إنها مدرسة كبرى بالنسبة لأبنائنا.. فعن طريق الجذب والحنو، ستقوم لهم بنصيب حدود الحياة المستقيمة.. ثم يظهر الابن على مسرح الحياة وفيه مسحة من هدى وبصيرة.. محاطاً بهالة من التعليمات الغنية- رغم صغره- لأنه نما في بيت تعليمي هذا عدا ما يجلبه تعليم البنت، من سنن الأخلاق القويمة.. والجدد المستقيمة الذي يغرسها شرف العلم.. تمشياً مع السبة الظاهرة.. وليتدبر قول أمير الشعراء..

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

وقوله في موضع آخر:

فحضن الأم مدرسة تسامت لتعليم البنين أو البنات

هذه الفتاة ستجلس على مقعد الدراسة الشريف.. وفي مهد صباها.. ستشب وقد رويت من ماء العلم.. وشعرت بالحياة ونعمت بما على عاتقها من واجبات.. تفرضها سنة الكون.. وهناك نلقى أننا وسط مجتمع.. أورق على ينبوع العلم.. وترعرع في جدول المعرفة.. أشرع سلاح العزيمة.. ليدخل معركة الحياة عن علم وتدبر.. وخاض غمارها وفي نفسه يكمن الطموح.. وعلى أساريره يرتسم الثبات..

مجتمع صافح كف العلم، فامتلأ صدره تباشيرا.. وتبلورت فيه قوة الإرادة والثقة ونحن اليوم نلتقي مع أعمال خالدة.. توجت هام التاريخ.

فهذا الفتح الجديد والمكرمة الفريدة.. التي سجلتها يد المليك العظيم.. وهذا نبراس الولاء الصادق، لهذه الفئة البريئة، وعيون الأبوة الحانية.. جزاه الله عن الأمهات والفتيات في هذه المدينة يمناً وإسعاداً..

حول مدارس البنات[1]

كلمة الأستاذ ضحيان العبد العزيز المنشورة في صحيفة القصيم الغراء بعددها الصادر برقم 47 تاريخ 12-5-1380هـ تحت عنوان «مدارس البنات»، كلمة رائعة شافية ومبسطة ذات مدلول حسن ومنطق سليم جديرة بالاعتبار والتقدير، وهي فوق ذلك تستحق ممن قصدهم بكلمته الإمعان في النظر والعناية الحقة بروية وحسن تصور، ومن ثم تغيير وجهة النظر العائلة بعدم فتح مدرسة ببريدة للبنات وإحلال القبول محل الرفض؛ اقتناعاً منهم بسلامة الفكرة والدعوة إلى تعليم البنات، وصواب القبول بها، وخطأ الاعتراض عليها تجاوباً مع رغبة الكثيرين وأمانيهم من جهة ، وإدراكاً منهم للفائدة المتوخاة والنتيجة الحسنة للتعليم من جهة أخرى، وقد كان أمر تعليم الفتاة السعودية أمهات الأجيال القادمة بمناهجه المتزنة السليمة فكرة طالما داعبت الخيال وتاقت لها النفوس، وقد برزت إلى حيز الوجود وأصبحت حقيقة واقعة ملموسة بفضل ملك البلاد المحبوب وراعي النهضة الأول الذي لم يأل جهداً نحو العمل الدائم إلى ما فيه خير شعبه وسعادته ورفعة شأنه.

إذا فما بال البعض من أهالي مدينة بريدة يعترضون على فتح مدرسة للبنات في مدينتهم، ويقفون ضد رغبة غيرهم من أهالي تلك المدينة، وهم الكثرة في الوقت الذي فتحت أبواب مدارس تعليم البنات في المدن التي تقرر التعليم فيها، وبدأت تستقبل بنات المواطنين في كل مدينة من هذه المدن التي رحب أهلها بتعليم بناتهم، وأعربوا عن فرحتهم الشديدة، ولم يعترض منهم أحد، وهم بهذا يتجاوبون مع الرغبة الملكية الكريمة معبرين عن سرورهم العظيم وشكرهم العميق لرائد النهضة جلالة الملك المعظم ورجال حكومته المخلصين على هذه الخطوة الحكيمة والعمل الجليل، وقد أصبح هذا المشروع العظيم حقيقة ثابتة، ولقد أورد

(1) القصيم ، 3/6/1380هـ ، العدد 50، ص 11، سليمان الصالح الماضي.

الأستاذ ضحيان في كلمته وفي كلمة وكلمات سبقتها، ونشرت في صحيفة القصيم، كما أورد غيره في مقالات نشرت في صحف المملكة حول مدارس البنات من شرح الدوافع الملحة لتعليم الفتاة السعودية وبيان الفائدة لذلك.

لقد أوردوا عن ذلك ما يغني عن الإشارة والبيان هنا، أما سلامة الهدف ونبل القصد للتعليم فذلك أمر بديهي لا جدال فيه.. كيف لا؟ وفكرة التعليم هذه نبعت من هذه المملكة الإسلامية وبإرادة حامي الحرمين الشريفين، كما أن التعليم يجري تحت إشراف من عرفوا بالتقى والأمانة والصدق والإخلاص، مما لا يدع مجالاً للشك والخوف، وقد دعاني كما دعا غيري إلى الكتابة في هذا الموضوع ما نسمعه ونقرأه بما مفاده أن البعض من أهالي مدينة بريدة يعترضون على فتح مدرسة للبنات في مدينتهم، ولم يكن هناك مبرر للاعتراض ونحن من تقديرنا لاجتهاداتهم والنية الحسنة التي تنطوي عليها معارضتهم، نقول: لا داعي للخوف ولا محل للاعتراض، والتعليم ـ كما قال عنه الأستاذ ضحيان ـ ليس إلزامياً، وإنما فتحت أبواب المدارس لمن يرغب في تعليم بناته ومن لا يرغب فلن يفرض عليه فرضا.

آملين من تلك الفئة المعارضة أن تعيد النظر في موقفها من مسألة التعليم، وأن تتخلى عن موقفها المتصلب، وأن ترحب مع غيرها بهذا المشروع الحيوي النافع، بحيث تفسح المجال أمام فتح المدرسة بمدينة بريدة؛ ليبدأ التدريس فيها كما بدأ بغيرها من أمهات المدن، ليتمكن الكثيرون وهم الراغبون في تعليم بناتهم، لينهلن من العلم والمعرفة ما فيه سعادتهن في الدنيا والآخرة، ولاشك أنه التعليم الذي سيقودهن من ظلمة الجهل إلى النور، ونرجو مخلصين ألا يحرم بنات مواطني مدينة بريدة من نور العلم وفائدة المعرفة، ولنا وطيد الأمل بأن نسمع قريباً ببدء التعليم بمدرسة البنات بمدينة بريدة التي تقرر فتحها ضمن غيرها من أمهات مدن المملكة، والتي بدأ التعليم فيها فعلاً مما يبشر بمستقبل زاهر وحياة أفضل، والله الموفق.

كلمة وكليمة[1]

وأخيراً، أسدل الستار. نعم، أسدل الستار، فقد انتهى وضع مدرسة بريدة لتعليم البنات إلى تجميد المدرسة، وتعميد المديرية العامة لتعليم البنات بعدم افتتاحها، ونحن إذ نسوق هذا الخبر لا نقصد منه إلا اطلاع القراء على الحقيقة التي آل إليها أمر هذه المدرسة، ونحن وكل قارئ سيحز في نفوسنا جميعا الأسى على الآمال العظام التي كنا نعلقها على تثقيف وتعليم أمهات الأجيال القادمة، وعلى الإسهام في توجيه وتعليم نصف هذا المجتمع. نعم سيحز الأسى في نفوسنا على تبخر أمالنا وعلى حرمان منطقة هامة من هذا النوع من التعليم، هذا وإن ما نلمسه من حيوية القائمين على تعليم البنات ومضاعفة جهدهم نحو تحقيق الأهداف التي أرادت الدولة بإيجادها هذا النوع من التعليم، إن ما نلمسه من هؤلاء الأخوة فهو خير أمل لنا في استعادة نشاطهم من جديد لإقناع الجهات المختصة بضرورة فتح مدرسة تعليم البنات في مدينة بريده، وإن كنا لا نشك أن عدم فتح هذه المدرسة في مدينة بريده، سوف لا يحرم منطقة القصيم الواسعة منها، فهناك عدد من المدن الأخرى في هذه المنطقة، وأهلها بدون شك سيرحبون بفتح هذه المدرسة في مدينتهم، ولعل القارئ يعرف أن هذا الإجراء الذي سقته له ليس الأول من نوعه الذي يحصل في مدينة بريدة بفضل بعض أبنائها، فقد عارض بعض أبناء بريدة المدرسة العسكرية عند افتتاحها، مما أدى إلى نقلها إلى إحدى مدن القصيم الأخرى، إلا أن أهالي بريدة تراجعوا فيما بينهم، وطالبوا بإعادة المدرسة من جديد، فأجيب طلبهم، وفتحت لهم مدرسة أخرى، ولعلهم هذه المرة يتذكرون أنهم بعملهم الذي أدى إلى تجميد مدرسة البنات قد حرموا جزءاً كبيراً من مواطنيهم من نور العلم.

نقول هذا الكلام ونحن لا نجهل وضع بعض الأخوان الذين طالبوا بتجميد

(1) القصيم، 10/6/1380هـ ، العدد 51 ص 1، ضحيان العبد العزيز.

فتح هذه المدرسة، وأنهم يعتقدون أن كل ما قاموا به طاعة لربهم وتقرب إليه، إلا أن أقرار السلطات الدينية في هذه المملكة لهذا النوع من التعليم يجعلنا لا نجد لهم العذر في تحديهم لفتح مدرسة البنات في بريده.

ونحن في الوقت ذاته نذكر سكان بريدة بالموقف الذي وقفه إخواننا سكان مدينة الخبر فهؤلاء الأخوة عندما علموا أن مدينتهم لم تكن ضمن المدن التي قرر فيها فتح مدرسة للبنات عقدوا اجتماعاً فيما بينهم، وأسهم كل واحد منهم بجزء من ما يتطلبه فتح المدرسة، وفي النهاية وجدوا أن ما أسهموا به كاف لمدرسة منارة مؤثثة معدة فيها الكتب والدفاتر والأدوات المكتبية، وعند ذلك قاموا بإشعار مدير عام تعليم البنات بأن أهالي مدينة الخبر أعدوا مدرسة مجاناً، قد استوفت كافة متطلباتها، وأنهم يقدمونها لسعادة المدير العام لتعليم البنات، ويرجونه العمل على فتح مدرسة لتعليم بناتهم، وقد علمنا أن الإجراءات قد اتخذت لإجابة طلبهم.

ونحن بعد هذا لاندري ما سوف يكون مصير المدرسة التي قدمها آل راشد لمدير تعليم البنات لتكون مقراً لمدرسة البنات التي كان في النية فتحها في مدينة بريدة. هل ستنتظر مديرية تعليم البنات في أمر هذه المدرسة؟ لعلها تفتح من جديد، أم ستعيدها إلى أصحابها.

حديث القصيم

أنقذوهن من وهدة الجهل[1]

بالأمس صدرت الإرادة الملكية الكريمة، بمساواة الفتاة السعودية بأخيها في العلم والتعليم، وانتشالها من وهدة الجهل بتعليمها أمور دينها ودنياها، وتثقيفها الثقافة الإسلامية الصحيحة، فهلل الناس وكبروا لهذه الإرادة السامية الرشيدة، وفعلاً نفذت تلك المكرمة التي أسداها مولانا صاحب الجلالة إلى فتيات هذه الجزيرة.. اللاتي طالما تربصن في ظلام الجهل وتهن في دياجيره الحالكة، فوكلت إدارة تلك المدارس إلى عالم جليل.. يدير شؤونها ويقوم بالإشراف عليها، وكان لبناتكم أيها الآباء في مدينة بريدة النصيب الأكبر، مما جعل ألسنتكم تضرع إلى الله العلي القدير في أن يديم بقاء جلالته ذخراً لأفراد شعبه الوفي الأمين. واليوم وقد فتحت تلك المدارس في معظم المناطق المقررة لها سوى مدرسة بناتكم المسكينات، فقد جمدت رغبة لبعض المعارضين كما تعلمون، ونحن حينما نقول المعارضين، لا نقصد أنهم عارضوا إرادة أب الشعب، ورائد الإسلام سعود إلا عن حسن نية وقصد وجهل لحقائق ما ندعو إليه، كما نسمع من أحاديثهم في المجالس والأندية من الأساطير التي تعجب لها الأفكار المستنيرة وتهريج وحكايات شبيهة بقصص ألف ليلة وليلة، وكم كان بودنا أن لا يقفوا في طريق مكرمة كهذه التي أسداها عاهل الجزيرة لفتاة الجزيرة، أو يكاشفوا المسؤولين بما لديهم عن ذلك، إذا كان قد خفي عليهم شيء من كتاب الله وسنة رسوله في هذا الشأن، أما تلك الحكايات وهذه الأساطير التي يتشدقون بها، فإننا لن نقتنع بها وإذا ما خشينا على بناتنا في بريدة على حد زعمهم، فيجب أن نخشى على جميع الفتيات السعوديات، وهذا هو

---

(1) القصيم، 23/ 7/ 1380هـ ، العدد 57 ص1، عبد العزيز عبدالله التويجري.

ديننا السماوي وشرعتنا المحمدية. أما هذه التفرقة فليست من الدين في شيء، بل الدين ينبذها بعيداً عنه.

واليوم أيها الآباء، وحينما رأى المسؤولون هذه المعارضات التي لاتركن إلى شيء، ووجدوا من الصالح. ولا أري لمن ؟. أن تجمد مدرسة فتياتكم، فيجب أن نجعل من نفوسنا رادعاً، ومن ضمائرنا دافعاً وحافزاً على تأسيس مدرسة أو مدارس أهلية بدلاً من مدرسة واحدة، لتنهل بناتنا من رحيق العلم، فتتنور بنور القرآن والهدي النبوي الشريف، لا أن نكل كل شيء إلى حكومتنا والمسؤولين فيها، ونترك بناتنا تحت إرادة الغير وتصرفات الآخرين، وإنني لعلى يقين من أنكم أيها الآباء لن تبخلوا بقسط ضئيل تقدمونه لتأسيس مدرسة، ثم تقدمونها للإدارة العامة لمدارس البنات، لتقوم بالإشراف عليها كما فعل أهالي الخبر الواعين الذين عرفوا قيمة العلم والتعليم للفتى والفتاة على حد سواء، فقاموا بتأسيس مدرستين بدلاً من مدرسة واحدة، وإن لي في السادة آل الراشد كبير الأمل في أن يبقوا البيت الذي سبق أن قدموه ليكون مقرا للمدرسة، ثم لا شك عندي في أنه سيسارع بقية الأهالي بما تجود به نفوسهم من تبرعات زهيدة لينشئوا مدرسة، ويكونوا داراً من دور العلم، ليخدموا مجتمعهم، ويثبتوا وطنيتهم، ويبرهنوا على إخلاصهم وحبهم للعلم وتهذيب بناتهم البريئات بروحانيته المقدسة، وهذا لن يكلف أكثر من ندوة يقيمها الآباء الذين يقدرون تلك الرسالة وأهميتها بالنسبة لبناتهم المحرومات، يشرحون فيها أهداف تلك المدارس وأهميتها، ومدى مساسها بحياتنا الدينية والدنيوية، وإذا ما تحققت هذه الفكرة وخرجت إلى حيز الوجود، فسوف تدين لهم كل فتاة بصنيعهم الجميل.

هذه أيها الآباء هي أمنية بناتكم، وهذا هو حديثهن في مجالسهن ومع أخواتهن.

أيها الآباء، هذه فكرة نعرضها عليكم بدافع الوطنية والإيمان بحق الفتاة المغلوبة على أمرها أحببت أن أهديها لحضراتكم، وما أظنكم إلا ممن يسارع لتحقيق تلك الأهداف، وسوف تحمدون العاقبة عندما تعرفون أنكم حققتم لبناتكم وبنات الضعفاء مدارس للتربية والتعليم، وثقوا تماما أنكم على حق واضح لاريبة فيه، ولا ارتياب منه، والله هو الذي أوجب هذا على فتياتكم، وهن أمانات معلقة في رقابكم، فهل أديتم واجبهن عليكم؟ هذا سؤال أرجو أن يتكرر في نفوسكم، فيكون باعثاً وحافزاً لتحقيق تلك الأهداف، وهذه الأمنيات، والله أسأل أن يهديكم إلى طريق الحق والسبيل المستقيم.

فتاة الأحساء تناشد[1]

لقد كان لنبأ افتتاح مدارس للبنات في المملكة أكبر الأثر في النفوس حيث عمّت الفرحة جميع طبقات الشعب شيباً وشباناً بهذه الخطوة الجبارة التي تخطوها حكومتنا الرشيدة في مجال العلم الذي نادى به الأنبياء والمرسلين من قبل.

فهنيئا للفتاة السعودية بهذه المنة الكريمة التي سوف تخلق منها فتاة عربية مسلمة عارفة أمور دينها وما يجب عليها تجاه أبنائها وأطفالها وتربيتهم تربية صحيحة حتى ينشؤوا رجالاً مخلصين لوطنهم وأمتهم.

ومن المؤسف أن مدينة الأحساء. هذه المدينة الكبيرة العظيمة لم يكن لها نصيب من تلك المدارس التي افتتحت هذا العام في مدن المملكة حيث إن الفتاة في الأحساء لا زالت جامدة تحت كابوس الجهل والظلام الذي يخيم على العقول فيجعل الوهم حقيقة.

وإنني ومن ورائي أبناء الأحساء نرفع أيدينا راجين افتتاح مدرسة للبنات في مدينة الأحساء لتتحرر الفتاة الأحسائية من الجهل الذي أنساها حتى أمور دينها الإسلامي الحنيف.

أيها المسؤولون ارحموا أمهات المستقبل وأنقذوهن مما هن فيه. علموهن أمور دينهن وأنيروا عقولهن فإن الحياة بدون علم ومعرفة لا خير فيها.

---

(1) القصيم، 6/ 9/ 1380هـ ، العدد 63، محمد الراشد الصبغ.

فتاة بريدة

ألا يؤذن لها بعد أن تتعلم؟!(1)

كانت الخطوة التي أعلنها حضرة صاحب الجلالة على الشعب إيذاناً ببدء تعليم الفتاة أثراً طيباً في النفوس وخبراً أثلج الصدور انعكس صداه تجاوباً من قلب كل فتاة عاشت في كنف الجهل والحرمان حالمة بذلك اليوم المجيد، ولم ينس جلالته هذه المدينة حين أصدر أمره الكريم لأهميتها ولسعة رقعتها وكثرة سكانها، وبالفعل صدرت الأوامر السامية بافتتاح المدرسة في العام الماضي، ولكن طائفة قليلة من الناس تصدت لهذه الفكرة، وحاربنها بعنف؛ على أنها باب من أبواب الشر. ومع وضوح الفكرة وجلاء الهدف، فقد أصرت هذه الفئة في عناد وتحد على حرمان فتاة بريدة من حقها في التعليم- حقها في الحياة-، مصممة على إبقاء هذه الفتاة محاطة بأسوار الجهل والحرمان.

ومع أن هذه الفئة لا تمثل سوى نفسها، ومع أن أحداً لم يطالبها بإلحاق فتياتها بهذه المدرسة. مع هذا كله، فإنها بكل أسف تلقى من المسؤولين تجاوبا على حساب المصلحة العامة، فهل يصح وهل من الممكن أن يحرم قسم كبير من الشعب تمثله الفتاة يحرم من حقه في التمتع بهذه الخطوة الكبرى، وحقه في التعليم، أسوة بأخواتها في المدن الأخرى إرضاء للعواطف والشهوات.

إن المصلحة العامة يجب أن تعلو فوق كل الاعتبارات، ومع اعتقادي بسلامة قصد هؤلاء القوم إلا أنه يجب ألا يغيب عن بال كل مصلح أن هذا معناه تأخيرنا لسنين تطول وقد تصر في عداد الزمن.

وليست هذه الفكرة هي الأولى التي تحظى بهذه المعارضة من قبل هؤلاء

---

(1) القصيم، 2/4/1381هـ ، العدد 90ص 3، صالح العبد العزيز.

الناس، فلقد وقفت هذه الجماعة في سبيل إنشاء البلدية، والتي تحققت هذه الأيام ولله الحمد، وقد اشترك في هذا الموقف أيضاً أناس عرفوا بمقاصدهم الانتفاعية، وخوفهم على سلطاتهم ومصالحهم الإقطاعية.

ويهمنا هنا أن نقول لهؤلاء الناس: إن مقاصدهم أصبحت مكشوفة، وإن الناس قد أصبحوا على درجة من الوعي قد تضيع عليهم فرصة السير في الظلام، وفي كل مناسبة تحاول فيها هذه المدينة أن تخطوا أو تلحق بشقيقاتها تبرز هذه المجموعة الضئيلة من الناس على المسرح الاجتماعي مظهرة معارضتها في عناد وإصرار.

والواقع أن موقفهم هذا من مدرسة البنات قد أصبح غامضاً لا سيما وقد كان ذلك أي افتتاح المدارس قد تم بموافقة مشايخ البلاد وعلى رأسهم مفتي البلاد الأكبر وتحت إشراف هيئة دينية هي من خيرة رجال الدين في هذا العصر.

يا قوم هل يصح أن نطالب الفتاة بما عليها من واجبات وننسى حقوقها أن الدين قد نزل للجميع وخاطب الجميع، فهل يصح أن نطالب الفتاة تتعلم الدين إن كانت تعلمه من قبل، وننسى أن عليها واجبات أخرى نحو وطنها ومواطنيها. إن الدين الإسلامي قد حفظ للمرأة مكانة عالية في مجتمعنا الإسلامي، فكانت عائشة رضي الله عنها مثقفة بالنسبة لبنات عصرها ومعارف زمانها. إن ديننا دين يسر ومخاطب للعقل والوجدان ودين يدعو إلى الإيمان والتحرر والانطلاق.

بقي لنا أمل في حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم لإنقاذ الموقف وفرض حق بنات هذا البلد في التعليم والانتفاع بهذه الخطوة المباركة، وباسمي وباسم فتاة بريدة وباسم أخواتي اللاتي يعشن في جهل خانق وظلام حالك أتقدم بالرجاء إلى حضرة صاحب الجلالة، وإلى الرجال المخلصين في مدارس البنات، وعلى رأسهم الرئيس العام لمدارس البنات بالإسراع بتنفيذ هذه الخطوة المباركة، وإلحاق هذه الفتاة المسكينة المحرومة من حق لا يقل في الأهمية عن حقها في الوجود، إلحاقاً بقافلة العلم التي حملت معها الصبي مع أخته الفتاة القوية أركان النهضة الجديدة.

إننا نرفع أيدينا إلى السماء، ومع إطلالة هذا العام الجديد الذي نرجو أن يكون جديداً في كل شيء، حتى بالنسبة لعقول معارضي فكرة افتتاح هذه المدرسة نرفع سوياً إلى الباري القدير أن تجد فتاة هذه المدينة الأبواب مفتوحة في هذا العام؛ لتتعلم ولتساهم في بناء وطنها وأمتها وعلى هدي تعاليم الدين الحنيف والله الهادي إلى سواء السبيل.

فتاة بريدة تناشد المسؤولين[1]

منذ عام واحد استبشر الشعب بأجمعه، وهللوا مكبرين للإرادة الملكية السامية نحو الموافقة على تأسيس مدارس للبنات في ربوع هذه المملكة، وما ذلك إلا إيماناً بالدور الذي سوف تلعبه هذه المؤسسات الثقافية، من نشر الوعي الثقافي بين طبقات المملكة، لكي ينهلن من مناهل العلم التي أتاحت التزود منها حكومتنا السنية لشباب وفتيات بلادها.

وقد استبشرنا نحن مواطني وشباب القصيم، حيث تبادر إلى الأذهان عزم الرئاسة العامة لهذه المدارس افتتاح مدرسة في مدينة بريدة، إلا أن أعصابنا قد ارتبكت عندما عُلم أن هناك من عارض فكرة افتتاح مدرسة للبنات في بريدة، وقد كثر الأخذ والرد بين الجهات المسؤولة والمعارضين، كان بعد رأي شديد اتفق عليه تأجيل افتتاح المدرسة في عام 1380هـ حتى مستهل عامنا هذا 1381هـ، وقد جاء هذا الرأي الصائب تمشيا مع أفكار المعارضين وخطوة أساسية لإنشائها في مطلع هذا العام، والذي نعرفه أن هذا الرأي تضمن شرطا هو إتاحة الفرصة لأولئك المعارضين، لكي يتعرفوا خلال عام كامل على نتائج المدارس التي تم إفساحها، في الرياض والحجاز والمنطقة الشرقية، فإذا كانت نتائجها سارة؛ وافقوا على إنشاء مدرسة في بريدة، وإذا كانت خلاف ذلك، فإنهم لن يقبلوا بحال من الأحوال وجودها بين ظهرانيهم، وبناء على ذلك، فقد حملت صحافة البلاد إعلانات من رئاسة هذه المدارس تعلن طلب ناظرات لمدارس عدة، ومن بينها مدرسة بريدة التي اتفق على افتتاحها في هذا العام، وقد تفاءل مواطنو وشباب البلاد بهذه الحركة، التي تنبأ عزم الجهات المختصة لتحقيق آمالهم الجسام نحو إيجاد هذه المؤسسة العلمية حقيقة ماثلة للعيان، لكي يتوقع لفتيات البلاد الخروج من غياهب الجهل المطبق الذي عاشته أمهات هذا

---

(1) القصيم، 23/ 4/ 1381هـ، العدد 93 ص 3، غانم العبدالله الغانم.

العدد الكبير من فتيات القصيم، ويوشك إن لم يتدارك الأمر أن تعيشه فتيات المستقبل وفلذات الأكباد اللاتي يتحكم في مصائرهن الناس الذين أوجبوا على أنفسهم تجاهل الحقائق والشعور بالمصلحة المشتركة.

نقول ذلك قارئي الكريم عندما نقل إلى مجتمعنا خبر مفاده مؤسف حقاً، هو معارضة هؤلاء الأناس من جديد لإفساح مدرسة بريدة وموافقة الجهات المختصة على إلغاء إفساحها. ونحن هنا نناشد المعارضين ونضع لهم حداً أمام الواقع الملموس مستفسرين وآملين منهم الإفصاح عن المسببات والأسباب الداعية لمعارضتهم تلك؟ وما هي . إذا . الأخطار التي ظهرت من جراء افتتاح المدارس في الرياض والحجاز والمنطقة الشرقية خلال عام كامل تمكنت لهم الفرصة خلاله لكي يعقلوا ويفكروا في واقع الأمر؟

إننا نناشدهم أن يوضحوا السبيل التي على أساسها عارضوا هذه الفكرة، فإن كانت معارضتهم قد بنيت على أسس قوية، وفي وجود المدارس شيء من اللبس، فإننا نرجو من أعماقنا أن يعرضوا على ولاة الأمور لإلغاء هذه المؤسسات بأجمعها، ويريحوا الناس من أضرارها التي يخشونها.

اللهم إلا إذا كانت فكرة المعارضة قد جاءت مجرد رأي شخص لشخصين أو ثلاثة، فإننا نأمل من الأعماق أن تنظر الجهات المسؤولة في الأمر، وتحكم العقل والمنطق السليم، وتعمل في فرصة المصلحة والواجب الديني والوطني تجاه مدرسة بريدة التي وُقف في طريق إيجادها، لا سيما وأن في الرئاسة العامة لهذه المؤسسات رجال أكفاء، قد يكونوا أكثر شعوراً وإلماماً بما تقتضيه المصلحة العامة من أولئك النفر المعارضون.

إننا نطلب ونرجو المسؤولين باسم المجموعة الكبرى من المواطنين، وباسم المساواة بين الفتيات، أن تنظر بعين الرأفة والاعتبار إلى هذا العدد الضخم من فتيات القصيم اللاتي ينظرن بأعين مغرورقة بالدموع، وقلوب يملؤها الأسى ومشاعر فائضة بالحسرة لواقعهن المرير ومستقبلهن الكدر، الذي ترك التحكم فيه لأشخاص يسعون إلى إشباع آرائهم مهما كانت أهدافها، وإن لنا في ولاة أمورنا وطيد الأمل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أضيئوا عقول الفتيات بنور العلم[1]

لا زالت بعض من مدن المملكة وقراها محرومة من مدارس بنات فيها، وقد قرأت في العدد الماضي من القصيم الخطاب الموجه من فتيات تربة للرئيس العام لمدارس البنات طالبات فتح مدرسة ابتدائية في قريتهن، وكلنا أمل أن يكون طلبهن قد استجيب، وإن دل هذا على شيء، فهو دليل على أن الفتيات وأولياء أمورهن أصبحوا جميعاً يدركون أن بقاء المرأة بدون تعليم أمر فيه ضرر لها ولمجتمعها ووطنها.

إننا بحاجة لدراسة شاملة تقوم بها الرئاسة العامة لمدارس البنات لجميع مدن المملكة وقراها لافتتاح مدارس بنات في كل منها لإضاءة العقول المظلمة وتحريكها من ركودها، وبالإمكان توفير سيارات لنقل الطالبات اللواتي في القرى النائية؛ إذا كان عددهن قليلا للقرى أو المدن القريبة منهن، ليدخلن فيها، ويتلقين العلم أسوة بباقي فتيات وطنهن. بهذه الطريقة تستطيع الرئاسة تلبية طلبات كل فتاة راغبة في العلم متعطشة إليه، ونتساءل الآن: ماذا جنينا من بقاء المرأة طيلة هذه الأعوام الطويلة محرومة من العلم؟ كوارث عديدة تحدث في مجتمعاتنا؛ كثرة الطلاق، وتفكك الكثير من الأسر، وكثرة الخلافات فيها .

لقد نسي الكثيرون أن المرأة عضو عامل في المجتمع، ولها دور كبير في بنائه لا يقل عن دور الرجل، فهي التي تربي الأبناء، وتغرس في نفوسهم المبادئ، والقيم الأخلاقية، وقد اعتقد البعض أنه ليس هناك داع لتعليمها، لأنها خلقت للأمومة والأمومة خلقة فطرية في النساء، لهذا فليس من الضروري تعليمهن، وهذا اعتقاد خاطئ؛ لأنه لا تكفي الأمومة وحدها لتستطيع المرأة عن طريقها أن تنشئ أطفالاً مهذبين متعلمين، فالمرأة الجاهلة تعتمد في تربية أبنائها

---

(1) القصيم، 5/7/1381هـ ، العدد 103 ، سارة.

على تقاليد وعادات قديمة لا تساير تقدم الزمن وتطوره، بعكس المتعلمة التي تدرك أن الزمن يسير حثيثاً للتقدم والرقي، وبعلمها تستطيع أن تخلق لوطنها أبناء فاضلين عاملين من أجل خدمة وطنهم ورفعته، وبعلمها تستطيع أن نفهم أن على عاتقها تقع مسؤولية تربية أبنائها وإعدادهم ليصبحوا مواطنين صالحين ومواطنات صالحات يعملون على تدعيم وتوطيد أسر مثالية فاضلة، ولا ينكر أحد الأضرار التي تسببها الأسر المفككة للمجتمع والوطن، لأنها تترك للمجتمع في حالات كثيرة أطفالاً معتلي الشخصية؛ لعدم وجود ترابط بين أفراد الأسرة، وهذا راجع لأن الأسرة أو بالأحرى الوالدين، لا يربيان أطفالهما التربية الحسنة، فعلى عاتقيهما تقع مسؤولية ترابط أسرتهم أو تفككها.

وكلنا أمل ورجاء أن تفتتح مدارس ثانوية للبنات اللواتي يرغبن في دخولها للاستزادة من العلم والمعرفة، وليس هناك أي داع للخوف من تعليم المرأة في بلادنا، لأنها لن تعمد لمزاحمة الرجال في أرزاقهم، كما تفعل نساء البلدان العربية المجاورة، لأنها تختلف عن أولئك النساء بأن فتيات بلادنا عاملات على التمسك بتقاليدهن العربية الصحيحة التي تحفظ مجتمعاتنا عن التفسخ والانحلال وإدراكهن لتعاليم دينهن القويمة التي ستجعل منهن مواطنات صالحات فاضلات.

وأخيراً كلنا أمل أن تعم مدارس البنات جميع المدن والقرى لتنهض النساء بنصيبهن لخدمة وطنهن.

لا تمنعوا العلم عن فتياتكم[1]

أمر عجيب أن يمانع بعض الآباء في بريدة في افتتاح مدرسة للبنات في مدينتهم. إننا الآن في القرن العشرين، القرن الذي تقدمت فيه معظم الدول، وتطورت، وخطت خطوات واسعة في مضمار العلم، وقامت فيه الدول المتأخرة سابقاً بحملات واسعة لافتتاح مدارس في جميع مدن بلدانهم وقراها، لأنها أدركت أنها لن تستطيع أن تسير في موكب الحضارة إلا بتعليم شعوبها رجالا ونساء، فكيف يمانع هؤلاء الآباء في تعليم فتياتهم، في الوقت الذي تتمنى فيه الكثير من البلدان العربية الصغيرة والكبيرة أن تتوفر لديها الإمكانيات التي تعينها على زيادة مدارس البنات لديها، كما يبدو لنا من معارضة هؤلاء الآباء أنهم لا يكونون الغالبية العظمى، وطبعاً يبدو أنهم لم يدركوا للآن فوائد العلم للمرأة. يريدونها أن تظل مجرد آلة لإنتاج الأطفال، وينسون أن هؤلاء الأطفال الذين ستنجبهم لن يصبحوا مواطنين صالحين مهذبين لما فيه خير أوطانهم، إلا إذا أدركوا دورهم وواجباتهم تجاه وطنهم، وكيف سيدركون هذا إذا كانت أمهاتهم جاهلات، قد تكتل الجهل على عقولهن وغلف أفكارهن بالظلام. إن الشاعر حافظ إبراهيم لم يقل بيته المشهور عن المرأة عبثاً.

لقد قال:

الأم مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعباً طيب الأعراق

من واجب الرئاسة العامة أن تحاول بشتى الوسائل والطرق إفهام هؤلاء الآباء الخطأ الفظيع الذي يقعون فيه بمنعهم العلم عن فتياتهم. يجب إفهامهم أن رقي الأمم مرهون برقي نسائها، والبلاد التي تتوفر المعرفة في نسائها مقرونة بالنشاط والإخلاص والفضيلة، تجد طريقها للرقي معبدا، فبالعلم وحده تستطيع

---

(1) القصيم ، 3/ 8/ 1381هـ، العدد 107 ص 7، سارة بورحيمد.

توجيه أبنائها إلى مثل الخير والحق، وهو الذي يفتح ذهنها ويوسع آفاقها ويجعلها تدرك المسؤولية الملقاة على عاتقها، لتجعل من أبنائها نواة لمجتمعات مثالية فاضلة تسير بالبلاد في طريق النهضة وتساير موكب الحضارة. يجب أن لا ننظر إلى الأمر ببساطة، وندع تراب النسيان ينهال على هذه الحادثة، وننسى أن هناك الألوف من الفتيات اللواتي بتعليمهن يخلق منهن مواطنات صالحات يرفعن من شأن بلادهن بعلمهن وعملهن من أجل خدمة وطنهن.

ومن واجب الأفراد المثقفين من أهالي بريدة أن يفتحوا أذهان هؤلاء الآباء على الفائدة التي ستجنيها فتياتهم من العلم، وحرام أن يمنع العلم عنهن لمجرد تحكم آبائهن في أرائهم الخاطئة، فليوضَح لهم دور المرأة الفعال للنهوض ببلادها، وإنا بانتظار النتائج التي نرجو مخلصين أن تكون طيبة تبشر بالخير والتفاؤل.

بيان من الرئاسة العامة لمدارس البنات[1]

يسر الرئاسة العامة لمدارس البنات أن تعلن للعموم ما يلي:

منذ أمر صاحب الجلالة الملك المعظم بافتتاح مدارس للبنات في أنحاء هذه المملكة، وهذه الرئاسة آخذة في السير بهذا المشروع الحيوي الهام بخطى ثابتة وعلى أسس متينة. غايتها أن تخلق لأمهات المستقبل علماً نافعاً، فتضمن للأجيال القادمة حياة ملؤها الحب.. والهدوء.. والاستقرار.

قامت هذه الرئاسة بتكوين لجنة لوضع المنهج ورسم الخطة الدراسة لتعليم البنت، ثم رأت إتماما للفائدة وضماناً للمصلحة، أن يدرس هذا المنهج من كل الجهات المعنية بشؤون التعليم، فشكلت لجنة مكونة من مندوبين عن وزارة المعارف ورئاسة المعاهد العلمية والكليات وهذه الرئاسة، وقامت بدراسته دراسة مستوفية دقيقة، ومن ثم صادق عليه سماحة المفتى.

رأت الرئاسة بعد هذا، وبعد أن أصبح مقررا من قبل الجهات المعنية بالتعليم في هذه المملكة أن ينال الصبغة الرسمية، فرفعته إلى مقام رئاسة مجلس الوزراء برقم 11583 في 27-6-81هـ، وطلبت صدور الأمر السامي باعتماده، وبالتالي اعتبار الشهادة الابتدائية التي تمنحها هذه الرئاسة معادلة للشهادة التي تمنحها وزارة المعارف للبنين، وبناء على ذلك فقد تلقينا خطاب معالي وزير الدولة لشؤون رئاسة مجلس الوزراء رقم 15997 في 9-8-81هـ المتضمن قرار مجلس الوزراء.

رقم 587 في 7-8-81هـ الآتي نصه:

اعتماد منهاج الدراسة الابتدائية لمدارس البنات المرافق لهذا.

اعتماد الشهادة الابتدائية التي تصدرها الرئاسة العامة لمدارس البنات، وتكون هذه الشهادة معادلة للشهادة الابتدائية التي تمنحها وزارة المعارف للبنين.

---

(1) القصيم، 29/ 9/ 1381هـ، العدد 112ص2.

هذه الأقلية لماذا نذعن لها[1]

كلمة من الأعماق.. كلمة مواطن مخلص لوطنه محب له الخير والتقدم والازدهار.

كلمة صادقة نبعت من القلب وإلى القلب. كلمة أرادت الإصلاح، أرفعها لأعتاب نائب جلالة الملك وولي العهد المعظم، لما قرأته في صحيفة اليمامة الغراء، العدد 308 تاريخ 8/ 7/ 1381هـ حول مدرسة البنات في بريدة، رد من الرئاسة العامة للبنات على الأخ علي الرميح وتساؤلاته، بل تساؤلات جميع المواطنين المخلصين من أرجاء الوطن.

تساءل الأخ علي: (هل تعليم الفتاة يتنافى والشريعة الإسلامية. هل تعليم الفتاة يمس الشعور والكرامة)؟

وأجاب بما يعيه جميع المواطنين المدركين بعواقب الأمور (بالطبع.. لا).

بعد هذا .. لماذا تعارض القلة في بريدة تعليم الفتاة المفروض عليها، كما هو مفروض على الرجل .. ألم يقل حامل النور إلى العالمين محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام: (العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة).

يا فيصلنا المحبوب.. إن آلاف وآلاف المواطنين ينتظرون أمركم الكريم بافتتاح مدرسة للبنات، بعد أن رفعت الرئاسة العامة لمدارس البنات تطلب رأيكم بذلك، على أثر ما كتبه الأخ الرميح في اليمامة.

يا صاحب السمو، نعرف أن التعليم حق للمرأة على المسؤولين، ومساواة وعدل بالرجل الذي أخذ طريقه إلى النور، وأن الذين يعارضون إفساح المدرسة هم قلة ولكنهم من أهل النفوذ.

يا صاحب السمو.. إنكم لو قارنتم الرسائل التي ترد إلى الرئاسة العامة بين

---

(1) القصيم، 9/ 9/ 1381هـ ، العدد 112ص 7، عبد الرحمن السليمان الكريدا.

مؤيدة ومعارضة لوجدتم أن المؤيدين أكثر بكثير من المعارضين.. فماذا بعد هذا.. ماذا ننتظر؟ وهناك مئات ومئات من الفتيات تتحرق قلوبهن اشتياقا لإلحاقهن بمدرسة تكفل لهن مستقبلهن ومستقبل أبنائهن من الجهل والمرض.

وأخيراً.. نرجو من قلوبنا جميعا- أبناء القصيم، بل أبناء الوطن- أن تكون النتيجة حسنة ولصالح الجميع، والله يوفقكم لخدمة الوطن والمواطنين.

حول مدارس الشيخ القرعاوي

مدارس البنات[1]

وقد حاول بعض المغرضين أن يثيروا شكوكاً حول تعليمه البنات، وفتحه المدارس لهن، وانتقده كثير من الناس، وقد فات هؤلاء المنتقدين أن الغرض الأسمى للشيخ القرعاوي، هو تعليم البنات أمور دينهن، وتوجيههن التوجيه الإسلامي، ليعشن سعيدات بأخلاقهن وآدابهن مع التحفظ بالحجاب الذي يلزم به من هي في سن السابعة من عمرها بالحجاب التام مع لبس العباءة، وقد فاتهم أيضا أن الشيخ القرعاوي بعمله هذا يؤدي خدمة جليلة لدينه ووطنه بكفاية بلاده بالمعلمات المسلمات الوطنيات، حتى لا تكون هناك أية حاجة لجلب مدرسات أجنبيات ضررهن أكثر من نفعهن، فطالبات المدارس الآن يقمن بجمع النساء الأميات في اجتماعات خاصة يشرحن لهن فيها مبادئ الدين والعبادات، وهذا ولا شك عمل جليل يعتبر من أرقى ما تهدف إليه الحكومة والشعب، ومساهمة فعالة لمحو الأمية بين النساء، والدين يأمر بمثل هذا.

هذا وقد أقامت مدارس البنات في كل مكان نزلت فيه الهيئة المنتدبة احتفالاً خطبت فيه البنات الصغار من سن الخامسة والسادسة من عمرهن أمام الهيئة فأعجبت الهيئة بما شاهدت منهن غاية الإعجاب.

فيا حبذا لو قام كل فرد من المسلمين بتعليم زوجاته وبناته وأخواته ما يلزمهن معرفته من أمور دينهن ودنياهن لأدى بعض الواجب عليه، ولعرف فضل

---

(1) اليمامة، 23/12/1376هـ، العدد 88 ص4، عبدالله السليمان بن حميد، وقد قدمت الصحيفة بقولها: بعث إلينا حضرة صاحب الفضيلة العلامة الجليل الشيخ عبدالله السليمان بن حميد بمقال ضاف مفصل عن مدارس الشيخ عبدالله القرعاوي، وقد حالت أمور خاصة دون نشره كاملاً، فنجتزئ منه القسم المتعلق بمدارس البنات.

العلم، وعاش معهن حياة سعيدة، واشتغل بما يغنيه عن الوقوع في أعراض المصلحين وانتقدهم.

وفي الختام أكرر الثناء والدعاء للشيخ القرعاوي ولكل داع إلى خير ومرشد، وناشر لعلم، ومصلح لفاسد، ولمن أيدهم ووازرهم ونصرهم وأحبهم، كما أسأل الله تعالى أن ينصر دينه، ويعلي كلمته، ويذل أعداءه، وأن يمتع المسلمين بحياة صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز مؤيداً منصوراً.

عدم تعليم البنات مطلقاً يخالف الدليل الشرعي[1]

هذه المسألة كثر الكلام فيها، فمن مجيز لتعليمهن، ومن مانع. والحق في ذلك ما أوجبه الشرع وأباحه، وتعليم البنات أمور الدين الضرورية واجب، فتعرف أركان الإسلام، وأركان الإيمان، وتتعلم ما تصح به صلاتها. وكذلك ينبغي لها أن تتعلم كيفية تدبير منزلها، وتربية أولادها، ولكن ذلك مشروط بعدم مخالفة شيء من الشرع، فلا تبرز للرجال الأجانب سافرة، ولا تخرج من بيتها إلا مستعملة الحجاب الشرعي، فمن سد باب تعليم البنات مطلقاً، فقد جاء بشيء من عنده يخالفه الدليل الشرعي الذي يجب اتباعه وترك ما سواه.

---

(1) اليمامة، 24/ 9/ 1377هـ ، العدد 118ص1، وقد قدمت له الصحيفة بقولها: هذا ما يقول حضرة صاحب الفضيلة العلامة الجليل الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع المدير العام للمعارف سابقاً وكبير مستشاري وزارة المعارف في العهد الحاضر والمشرف الآن على التعليم والقضاء والشؤون الدينية لدى حكومة قطر فقد اطلعنا على تقرير مقدم من فضيلته إلى سمو الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني حاكم قطر، جاء فيه ما نصه بالحرف.

إيمان بالمبدأ

نحو تعليم البنت[1]

اليوم. اليوم يا أخي انطلقت شعلة مقدسة في سمائنا. انبثقت انتفاضة عملاقة. ارتمت جملة كبيرة من فم سعود. من فم الرائد الأول. والرجل الكريم. المثلج لصدور الملايين (يجب أن نعلم البنت) أن نفتح لخطاها أبواب المدارس. لعقلها أبواب العلم ومنافذ المعرفة، ومن فم سعود الحكيم أشرق على هذه الجزيرة صبح جديد. صبح طالما انتظرته الجماهير على أحر من الجمر. على أمر من الظمأ.

وانطفأ الجمر المسعور بدفقة ماء عذب، وذابت مرارة الظمأ أمام الورد الذي نصبه سعود لشعبه ليرتوي منه كل فرد، كل ذكر وأنثى، كل صغير وكبير.

وتعليم المرأة يا أخي.. تطويرها في حقل علمها.. في حقل دينها.. في حقل تربيتها في حقل تغذيتها أمر لا يستهان به.. أمر نادت به الشرائع السماوية ودعت إليه.. أمر دعا إليه القرآن.. وطالبنا به الواجب كمسلمين.. وإذا فلا غرابة أن تكون من رائد كسعود من قائد كسعود.. خطوة كهذه تنير للمرأة طريقها نحو واجبها تجاه الله أولا ثم تجاه زوجها، وبيتها، وأبنائها، بل ومجتمعها ثانيا.. لا غرابة أن تكون لسعود القائد والرائد مثل هذه الخطوة التي هي من صميم ديننا.. من صميم شرعتنا.. ومن صميم طباعنا وسجايانا كاملة تحب أن تبقى أبنائها على المكانة المرموقة المرهونة.

والآن يا أخي وقد صدق سعود شعبه.. وقد أوفاه حقه الذي غمطه الماضي، فإذا به يسترجع على أيدي كريمة حكيمة اليوم . يا أخي . وسعود يزف إلى شعبه

---

(1) اليمامة، 23/4/1379هـ ، العدد 193 ص1، أبو نازك.

بشائر تعليم البنت. اليوم يا أخي تفد إلى مخيلتي بضع كلمات متواضعة بهذه المناسبة.. بضع كلمات لا أخال المسؤولين إلا أحرص مني، وأيقظ على استذكارها وتحقيقها في هذا السبيل.

بضع كلمات تعني التربية.. تعني التغذية.. تعني غرس المفاهيم الصالحة لبناتنا كزوجات.. كربات أسر.. كأمهات أولاد.. وكرائدات أجيال قادمة يحوجها التوجيه الصائب السليم نحو حياتها.. حياتها المعيشية وحياتها التربوية حياتها بكل ألوانها وصورها.

والأم مدرسة إذا علمتها أعددت شعبا طيب الأعراق

وحاجتها يا أخي إلى لون مثالي صالح من العلم.. لون يعطي للبنت الفكرة الحية النامية والناضجة.. الفكرة التي تشعرها بمسؤوليتها داخل بيتها كمربية.. كشريكة حياة.. وكمرشدة إلى واقع أفضل..

وبعد يا أخي ما أروعها من خطوة خطاها عاهل كريم نحو حياة كريمة.. ما أروعها من هدية زفها سعود في إناء من نور إلى أبناء شعبه.. تشفعها ابتسامة ثقة من محياه.. ابتسامة نصر على أنقاض الماضي وركامه.. ابتسامة يقين بأن تاريخا مجيداً ينتظرنا على قارعة المستقبل القريب.. ينتظرنا ليبارك لسعود- العاهل- المشيد لصرح واقعه.. يبارك له أياديه ولكن بماذا؟!

إنه يباركها بجيل كله إنتاج وعمل وعلم.. بمجتمع كله وفاق ووئام وحب وتجاوب.

تعليم البنت[1]

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

(طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة).

عن الشفاء بنت عبدالله قالت: دخل علي النبي وأنا عند حفصة فقال: ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتاب - أي الخط والهجاء-.

(والنملة بثور صغار مع ورم يسير ثم يتقرح فيتسع ويسميه الأطباء الذباب).

وورد في صحيح البخاري أن النساء شكت إلى النبي صلى الله عليه وسلم غلبة الرجال عليهن في مجالس العلم وطلبن إلى النبي ﷺ أن يجعل لهن يوماً فأجابهن الرسول ﷺ إلى ذلك.

كل هذه النصوص الدينية تجعلنا لا نفرق بين فتيان الأمة وفتياتها في التعليم، لأن النصوص العامة فيها، والتي وجه فيها الخطاب إلى الرجال تشمل النساء قطعاً، على أن الرجال في الصدر الأول كانوا يقومون بتعليم منْ يتولون أمورهن من النساء والبنات صادعين بالإرشاد النبوي الكريم، كما جاء في صحيح البخاري من مضاعفة أجْر مؤدب الفتاة ومعلمها- من كان عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران-.

وتطور العصر يجعلنا نؤمن، ونزداد إيماناً بوجوب تعليم المرأة، فإننا بذلك نطبق سراً المساواة الشرعية والعقلية بين أفراد الأمة من الذكور والإناث على السواء لتساويهم في المسؤولية والتكاليف.

والفتاة إنما تعد لتكون في المستقبل أمّا تربي أبناء صالحين وتدير بيتاً يجب أن ينشأ على الفضيلة والتربية القويمة ومتانة الخلق، حتى يصلح أن يكون البيت دعامة من الدعائم القوية في بناء الأمة، والمرأة هي الأساس الأول في تكوين

---

(1) اليمامة، 23/ 4/ 1379هـ ، العدد 193 ص4، محمد محمد الصاوي.

ذلك البيت المأمول فكيف نتركها، وتلك مهمتها، وهذه رسالتها بعيدة عن نور العلم لا تلتمسه في فطانة من المدارس التي تنشئها لها ولبنات جنسها، تنهل منها ما يروي ظمأها من المعرفة، ويرقى بعقلها من العلم، ويسمو بخلقها من التربية الكريمة السامية.

إن العملية التعليمية نستطيع أن نقوم بها للفتاة دون جرح لكرامتها، أو نقص من شرفها، أو مساس بطهارتها، فعلينا إذا أن نفتح عقلها على كل جديد بهيج حسن المخبر جميل المنظر محمود العاقبة، فهي في حاجة إلى هوايات تقتل بها الوقت في متاع لذيذ يبعد عنها سيء التفكير، وهي متعطشة إلى الفن الجميل من رسم وموسيقا، لتملأ البيت سعادة وتجعل منه الجنة المرتقبة لدى الأزواج، حتى لا يفروا إلى ما حرم الله من أنواع المتاعب النفسية، وهذا كله مع تعليمها أمور دينها الذي تعرف به حق ربها ووطنها وزوجها وولدها، فتكون بذلك المرأة الفاضلة الطاهرة التي تدرك غايتها، وتهتدي في حياتها بنور دينها، وتتشبه بالملائكة تشبها يشرح قلوب الأبرار ويزعج قلوب الشياطين.

وحسبنا في هذا كله ما نعلمه من حيات الفضليات من نساء المؤمنين في الأزمنة الأولى، إذ كن مشرق نور ومبعث إرشاد وخير قدوة في العلم والأدب والتقى والصلاح.

فلننشئ المدارس للبنات كما ننشئها للبنين، ولنرسل الفتاة إلى دور العلم، كما نرسل الفتى، ولنرتقب بعد ذلك منها فتاة مهذبة وأما صالحة ترقي بيتها، وتسعد زوجها، وتسهم في بناء وطنها بما تربي من أبناء صالحين، وما تؤسس من أسرة قوية ينهض بها الوطن، وترتفع مكانته، فإن كمال القوة والرجولة في الأبناء إنما يكون على قدر كمال الأمومة في الأمهات.

وليس ربيب ناقصة المزايا كمثل ربيب عالية الصفات

فما أجدر هذه الحكومة العريقة في عهد مليكها المعظم جلالة الملك سعود أن تعيد مجد المرأة العربية التي ملأت صفحات التاريخ عزاً وفخراً، وقرعت أسماع التاريخ نباهة وذكرى من أمثال عائشة أم المؤمنين وسكينة بنت الحسين.

إن هذه النهضة التعليمية الكبرى في هذا العهد الزاهر الذي سيعيد للجزيرة العربية سابق مجدها لا تعوزها العزيمة الصادقة في الأخذ بيد الفتاة العربية إلى حيث ما ينبغي أن تكون عليه من تعليم نافع وتربية قويمة.

ومجال ذلك في إنشاء معاهد لتعليم البنات تدرس فيها الخطط المثلى لهذا النوع من التعليم، ويختار لهذه المهمة الأكفاء الثقات من المربين الأماثل في إشراف دقيق من وزارة المعارف، وبذلك تنتقل الفتاة العربية من أفقها المحدود إلى آفاق تشرق في أجوائها أنوار المعرفة، فتمتلئ ثقة بنفسها، وتمسكاً بدينها، واعتزازاً بوطنها، وعند ذلك يسجل التاريخ- إلى ما سجله من الأمجاد الخالدة- أنصع الصفحات لهذا العهد السعيد.

هذا رأي في تعليم البنت نتقدم به إلى صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز آل سعود وزير المعارف، وصاحب السعادة والفضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن حسن آل الشيخ وكيل الوزارة، وسعادة الأستاذ الجليل ناصر المنقور المدير العام لها، وما كنا. وقد عرفنا عن خبرة رأيهم في الأخذ بأطراف النهضة التعليمية في البلاد. لنعرض رأياً دون أن نتوخى فيه الإخلاص وإطالة النظر فيه من جميع نواحيه.

وإنه سوف يكون مما يرتفع به شأن التعليم في هذا البلد أن يجد تعليم البنت عناية (وهو واجدها فيهم إن شاء الله) تأخذ بيده إلى حيث ينال حظا من الرعاية لتتحقق بذلك المساواة بين نصفي الأمة فيما يرقى بها إلى ما تبتغيه الحكومة الرشيدة لهذا الشعب من أمجاد تتناسب مع تاريخه العريق.

ولسنا حين نحرص على أن يتحقق ذلك الغرض النبيل نطلق العنان لتعليم البنت دون مراعاة للتقاليد الكريمة والعادات الصالحة والتربية السليمة التي تنبثق من البيئة مقوماتها ومن التقاليد مراميها وأهدافها.

فمن الميسور أن توضع الخطط سليمة قويمة وأن تكون المناهج مسايرة للروح العامة في هذه البلاد التي ترجع في جوهرها إلى الدين الحنيف والخلق العربي العميم، والله الهادي إلى أقوم الطرق وأنبل الغايات.

تعليم البنت[1]

أريد بتعليم البنت الأمور الشرعية والتعاليم الدينية والدنيوية وحسن المعاشرة ومكارم الأخلاق وطيب القول وآداب الحديث واكتساب السيرة الطيبة وتدبير المنزل وترتيبه وإدارة شؤونه وإجادة الطهي وتنظيمه وحسن تنسيقه.

وأريد بتعليم البنت الالتزام بالصدق والمحافظة على الأمانة وطهارة النفس والعفة والشرف.

وأريد بتعليم البنت واجب الزوج وحقوقه عليها وواجبها وحقوقها عليه، وتربية الأولاد على الأخلاق الفاضلة وعلى القواعد الصحية، فدرهم وقاية خير من قنطار علاج، ومراعاة النظافة والرشاقة واللياقة وحسن المحادثة للزوج والمحرم.

وقد كان العرب في صدر الإسلام وبعده يعلمون بناتهم الآداب والأخلاق الفاضلة، وقد قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء من أن يتفقهن في الدين. أي في أمور دينهن..

والآن، ونحن شعب قد احتل مكانة ممتازة من الثقافة بفضل ما يبذله مولانا جلالة الملك المعظم وسمو وزير المعارف الأفخم. كان يجب علينا أن نعلم بنت اليوم العلوم اللازمة لها في دينها ودنياها. نعلمها ما أريد بتعليمها آنفاً لتصبح غداً أماً صالحة مثقفة ثقافة دينية، كي تخلق لنا جيلاً جديداً صالحاً مثقفاً قوياً.

كما كانت كذلك السيدة عائشة رضي الله عنها، والسيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، والخنساء، وليلى الأخيلية، وأسماء بنت الصديق وغيرهن من فضليات نساء العرب اللاتي صعدن بأولادهن ومجتمعهن في مراقي العلا، وسرن بأسرهن إلى طرق الهدى والنجاح، فكملت آدابهن، وعلت

---

(1) اليمامة، 23/ 4/ 1379هـ ، العدد 193ص 8، عبدالله الصالح الضلعان.

مداركهن، ولذا قال الشاعر:

والبنت مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

إن الفرق كبير بين الشاب والفتاة في مجتمعنا الحالي من الناحية الثقافية، فالفتى كما أسلفت يملك ثقافة لا بأس بها على حين أن الفتاة لا تملك منها شيئا، وأظن أن هذا هو السبب الوحيد الذي سبب فشل العلاقة الزوجية بين الطرفين عند 75 بالمائة من الشباب، ثم إن ارتفاع المهر إلى الحد الذي يصعب على 80 بالمائة من الشباب إدراكه، وإنه لزاماً علينا ما دمنا عازمين على أن نكون مجتمعنا صالحا قوياً مثقفاً، مخلصا لدينه ومليكه ووطنه أن ننظر. أولا. إلى ما يكفل لنا الراحة المنزلية، والاستقرار العائلي، وتكوين الأسرة تكوينا تسوده المودة والرحمة والإخلاص والوفاء، فإذا ما تم لنا هذا فالمجتمع ما هو إلا مجموعة من الأسر.

إذن، والحال هذه يجب علينا أن ننظر إلى فتاة اليوم نظرة العناية، وأن نعطيها حقها كاملاً من الناحية الثقافية، أي إننا يجب علينا أن نهتم بتعليمها العلوم النافعة المفيدة اللازمة شرعا، وأن نجعل هذا التعليم عاما في جميع قرى ومدن المملكة، فأهل المدن والموسرون قد توفرت لهم الأسباب في تعليم بناتهم، فالمدن فيها مدارس خصوصية، وفيها رياض أطفال، والأغنياء منهم قد جلبوا لبناتهم مربيات ومعلمات من البلدان العربية المجاورة، أما الفقراء أو أهل القرى، أي من كان في بلدة صغيرة مثلنا بالرس. مثلا. فهذا صعب علينا، ولن ندركه إلا عن طريق حكومتنا الرشيدة، ولكن ونحن نعرف نصح وإخلاص حكومتنا الساهرة على مصالحنا وراحتنا وإسعادنا ورفاهيتنا، ووطيد الأمل بحكومتنا، بأن تفتح مدارس للبنات في جميع أنحاء المملكة لتعليم البنت العلوم اللازمة لها في أمور دينها ودنياها، حسب منهج خاص، وتحت إشراف وزارة المعارف وإدارتها، والله أسأل أن يوفقنا جميعاً لما فيه إصلاح ديننا، وخدمة حكومتنا ووطننا، وأن يحفظ مليكنا ورجالنا العاملين، والله ولي التوفيق.

منذ ٢٠ عاما طالب المصلحون بفتح مدارس للبنات[1]

وقد يظن كثير من الناس أن لا حاجة إلى تعليم النساء، وأن مفاسده تربو على مصالحه، وقد يستند بعضهم في ظنه على حالة نساء الأمصار المتعلمات، فنجيب بأن هذه الظنون ضباب حجب الحقيقة عمن ظنها، فتعليم المرأة واجب من وجوه، منها أنها المدرسة الأولى للطفل، وعلى كفاءتها تتوقف صحة الطفل وسلامة أخلاقه في الطور الأول من حياته الذي هو عبارة عن الأساس لنمو قوى الطفل وملكاته، ومنها أن النساء شقائق الرجال، فعليهن من الحقوق والواجبات لله ولجماعة المسلمين شبيه ما على الرجال من جهة التكليف ووجوب الأداء، ولهن حق في العناية المراد بها تعميم المنفعة الإنسانية، ومنها أنه يحصل من تعليم المرأة صلاح الحياة الزوجية، وهي من الأغراض السامية للدين الحنيف، وإعانة للرجال على أداء واجبهم، لما تتحمله الزوجة من حسن تدبير البيت وشؤونه على شكل يطمئن الزوج إليه، فيطرح عنه عناء ذلك، ولما تدخله على الزوج من السرور أيضاً لإتيانها بما يسره من الأفعال والأقوال، ومنها أن في تعليم المرأة سبيلاً شريفاً لارتزاق اليتيمات والأرامل والعوانس، وهو خير لهن من تكفف الناس.

هذا، ولو أردنا إيراد الأدلة على فوائد تعلم المرأة لملأنا منه الصحائف،

---

(1) اليمامة، 25/7/1379هـ، العدد 206 ص 4، وقد قدمت لها الصحيفة بقولها: يطيب لليمامة بهذه المناسبة مناسبة رصد الحكومة مبلغ مليوني ريال لتعليم البنات، أن تنقل ما جاء في رسالة ألفها أحد دعاة الإصلاح من رجال بلادنا النابهين، الذين يتسنمون الآن أعلى المراكز، وتأمل اليمامة أن يعقب الخطوة الحكيمة التي خطتها حكومتنا الرشيدة تحقيقاً لرغبة حضرة صاحب الجلالة خطوة مباركة أخرى هي خطوة البدء في العمل.

ويقيني أن هذا القدر كاف. أما ما يظن في تعلم المرأة من المفاسد فلا يحصل إلا من التوسع في تعليمها توسعا يخرجها عن منزلتها التي خلقت لها، ومن هذا التوسع حصل بعض ما نراه في نساء الأمصار من التهتك. أما جملة ما نراه فيهن من ذلك، فسببه غير التعلم وقد شرحناه فيما سبق، وخير للبنت ألف مرة أن تقضي معظم وقتها في المدرسة تكسب علما وأدباً من أن تقضيه في اللعب في الطرقات والتمرغ في التراب، وخير للمرأة أن تقضي بعض وقتها في النادي تتعرف واجباتها من أن تقضي أكثر وقتها بين صويحباتها في الاشتغال بالفضول، وأكل أعراض المسلمين، وشب نيران العداوة.

أما بعد فإن الله جلت عظمته قضى بحكمته البالغة أن يكون كل ما في الكون وما يجري على أيدي الآدميين من خلقه، مفتقراً إلى الكمال دائما، ومتعرضاً للنقص والآفات، وعلى هذا فإن أي رأي أو عمل يراه أو يعمله بنو آدم- حاشا شريعة الله- فلا يخلو من النقص.

خواطر اجتماعية:

حول تعليم الفتاة[1]

نحن على أبواب نهضة علمية وفكرية، تنهض بالجنس الآخر إلى قمة المجد والمعرفة، فتنتشله من الظلمات إلى النور، وقد أعلن رسمياً قرب موعد افتتاح مدارس حكومية للفتيات، ورصدت الأموال لذلك الغرض النبيل. فما هو موقف المسؤولين من تعليم الفتاة؟ أي ما هو التعليم الذي ستتلقاه وتنهل من مناهله العذبة؟ هذا ما يجب أن نفهمه عن اتجاه تثقيف فتاتنا (رفقا بالقوارير) فهي بحاجة إلى من يساندها، ويأخذ بيدها إلى طريق الخير، لذا كان لزاماً أن يكون تعليمها تعليما يبصرها بوضعها كامرأة مسلمة عليها ما على الرجل من حقوق وواجبات، تعليما يشد من أزرها فلا تزعزعها الأفكار السامية ولا التيارات الجارفة، تعليماً يأخذ بيدها إلى مكارم الأخلاق وأنبل الخصال، تعليما يصقل مشاعرها ويهذب نفسها، وهذا هو السلاح الوحيد الذي تستطيع به أن تقاوم الانحلال الخلقي، وتنحيه عن مجتمعها الإسلامي، لا المعلومات الفجة من مدنية انحلالية، والتي تدعو المرأة للخروج على التقاليد الإسلامية السامية ونبذها، وتدعوها إلى تجاوز الحدود الإسلامية بتبرجها في الأسواق بزيها - المقطم- وتسكعها في الشوارع بدعوى قضاء الحوائج.

أعود مرة أخرى، فأقول: ما دمنا في مبدأ الأمر فيجب علينا أن نتخذ الحيطة والحذر من هذا التعليم ذي الحدين وهو- تعليم المرأة - قبل أن نصاب بما أصيبت به البلدان الشقيقة المجاورة فيستشري الداء ويعز الدواء.

---

(1) اليمامة، 17/ 8/ 1379هـ، العدد 209 ص 5، سعود بن سعد الدريب.

وبناتنا...؟[1]

كثير أولئك الذين كتبوا، ولا يزالون يطالبون بأن تفتح لبناتنا مدارس على غرار المدارس القائمة للبنين.

وقد أمر جلالة الملك بفتح تلك المدارس، ورصدت الدولة في ميزانيتها لعام 79 مليوني ريال.

والذي يدعوني إلى التفكير الجدي، والإسراع بفتح مدارس البنات هذا الانحدار الخلقي والمزالق التي تغشى مجتمعاتنا شيئاً فشيئاً بحيث نشعر بها أو لا نشعر.

إن التيارات والعوامل التي تهب علينا من هنا وهناك يجد وخزَها والدُ البنات في قلبه أليما، ما لم نحصن بناتنا بتعليمهن وتثقيفهن، وتربيتهن التربية المنزلية، ولم لم نشعرهن بأن حقهن في هذه الحياة وفي المعرفة والفضيلة يعادل حق البنين- إخوانهن- في هذه الحياة؟ وما يتمتعون به من ثقافة ومعرفة وفضيلة واسعة أبعدتهم عن المخاطر والمزالق، نتيجة المدارس التي يتربون فيها، وقد زاد مقياس سموهم الخلقي عن ذي قبل، وتحسنت كثيراً حالاتهم النفسية، لأن العلم الذي يتلقونه في المدرسة والألعاب البريئة التي يمارسونها قد استأصلت من نفوسهم عادات ضارة بهم وبالمجتمع، كنا نؤاخذهم عليها، ونتذكرها جيداً إذا تصورنا الحقيقة مجردة عن الشكوك والأغراض، فما بالنا إذا لا نطبق هذه القاعدة التي اعترفنا بنتيجتها على بناتنا؟ بأن نفتح لهن مدارس تقيهن شر العوادي، وتوجههن التوجيه المثالي أو قريبا منه، ولذا فإنه من الواجب أن تجد كل بنت في كل حي وفي كل قرية مدرسة لها ولأخواتها يتلقين فيها ما يتلقاه أخوهن في مدرسته من تثقيف عقلي وتطور فكري، وتربية إسلامية، إلا أنه

---

(1) اليمامة، 22 شوال 1379هـ، ع 219، ص 1، إبراهيم الحجي.

بحرمان بناتنا من هذه الميزات هيمنت على إحساسهن ومشاعرهن الأم نفسية يقاسينها، لأنهن لا يجدن العناية التي يجدها أخوانهن- البنون- في مدارسهم.

إن كل فرد يؤمن إيماناً عميقا بأنه لا يوجد مجتمع من المجتمعات إلا وفيه مفاسد سواء أكان هذا المجتمع على مستوى عال من الثقافة أو أقل من المستوى، أو على جانب كبير من الجهل، إلا أن الفرق واضح في أن المجتمع الجاهل تكون المفاسد فيه أكثر شيوعاً وأسرع انتشاراً، وعلى هذا، فإن المخاوف التي يتصورها بعض الناس من تعليم البنت لا محل لها من الأعراب، بل يجب أن يتمثلوا المضار التي تهدد المجتمع إذا ما بقيت بناتنا على جهلهن، وكلنا نتصور مضار الجهل وعاقبته الوخيمة، والأمم الحية ترى أنه من أعدائها الثلاثة، وليس للشعوب سلاح تدافع به عن كيانها منه إلا العلم، لأنه يهذب النفس، ويرقى مداركها، ومن هنا يتضح خطأ من يقول: إن البنت إذا تعلمت فإنها تعمل كذا ، وكذا..! ونحن ندرك تمام الإدراك أن الأمر خلاف ذلك.

إن تعليم البنت على المنهج اللاحب المشبع بالروح الإسلامية والتربية الصحيحة مظهر من مظاهر التقدم الخلقي، ومظهر من مظاهر الترابط الاجتماعي، وسبيل إلى الإصلاح وإلى التعاون بين البنت وأخيها، وبين الأسرة في البيت والمجتمع جميعه.

إن انتشار العلم بين البنين والبنات معناه القضاء على عادات سيئة تجري في مجتمعنا، وهي بعيدة كل البعد عن تعاليم الإسلام، ومعناه إيجاد وعي إسلامي صحيح وتربية مثالية تغرسها الأم في طفلها منذ نعومة أظفاره، قال الله تعالى: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ الآية. وقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: [ما من مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه]، وفي بعض الروايات أو يمجسانه.

والأزمات النفسية دواؤها العلم الذي يفسح عنها العقبات التي تعترض سبيلها لحياة كريمة تصطبغ بالروح الدينية وبمعنى الشرف والكرامة والشهامة، ولا سبيل إلى تحقيق هذه الصفات وتواجدها في النفس الاجتماعية إلا عندما تنتظم المدارس حياة بناتنا، لأنها هي السبيل إلى تحصيل العلم.

إننا نرجو، ونأمل أن تفتح المدارس لبناتنا ليأخذن منها مبادئ الدين الإسلامي، والتربية المنزلية، وإلا فإن أنواع الإغراء المنتشرة وفي تناول كل يد

كفيلة بأن تعصف البقية الباقية من المثل الأخلاقية، ولعل من الملاحظ جيداً أن البنات ينقمن على إخوانهن، وما ذلكم إلا لأنهن محرومات مما يتمتعون به من حق طبيعي لهم دونهن في المدرسة، إذ إنهن يشعرن، أو كذا يتصورن بأن نصيبهن من التعليم قد استولى عليه إخوانهن البنون.

وبعد، فإن بناتنا محرومات من العلم، وبهذا قد سدت عليهن نوافذ المعرفة، ونحن لا نريد لهن إلا المدرسة التي يتربين فيها، ويأخذن منها مبادئ التربية، ليصبحن أمهات قادرات على تربية أطفالهن وإدارة بيوتهن، وليس يحرم من يطلب هذا اللون من المعرفة، وإنا لمنتظرون، ومؤملون.

لا نريدهن خطيبات مساجد ولكن مربيات[1]

تصوروا معي أن المحاكم في أية مدينة أو قرية تتربع على منضدتها امرأة بعباءتها، أو تقف على أي منبر تخطب في الناس وتذكرهم بجريمة الزنا وهتك الأعراض، أو تؤم المصلين بعباءتها أيضاً، تصوروا هذا ولا تعجبوا، فسوف ترون هذا بأعينكم في المستقبل القريب لو تحققت «فكرة» السيد عبد السلام هاشم حافظ في مقاله الذي نُشر في مجلة قريش العدد 11 بتاريخ 12/ 7/ 1379هـ بعنوان «لنثقف الفتاة دينياً.. أو لتبق في البيت؟».

إن هذا المقال دعوة صريحة إلى عدم تعليم المرأة، وبقائها في البيت، وقفل المدارس المفتوحة حاليا، متحديا بذلك قرار صاحب الجلالة الملك المعظم بفتح مدارس لتعليم البنات، ورصد مبلغ ضخم في الميزانية هذا العام لهذا الشأن، لأن هذا لا يمكن تحقيقه من الناحية العلمية. أولاً. فليس في بلادنا ولا في البلاد العربية مدرسات متخصصات في العلوم الدينية فقط، ولا نريد أن يدخل مدارس البنات مدرسون من الرجال، كما لا يمكن تحقيقه من الناحية النظرية. ثانيا. لأننا لا نريد خطيبات مساجد، أو قاضيات محاكم، وإنما نريد مربيات متخصصات في علم النفس وإدارة المنزل؛ لينشئن جيلاً قويا خالياً من الأمراض والعقد النفسية التي لا يخلو منها فرد من أفراد مجتمعنا الحالي.

يقول الأستاذ عبد السلام: «وهذا لا يتحقق إلا بالتهذيب الديني المتكامل أي أن يكون تعليم المرأة دينياً لا عقليا، ويستدل على ذلك بقول كاتب حكيم ينظر إلى المرأة بمنظار الحقيقة». كما يقول! . أتدرون من هو هذا الكاتب الحكيم؟ إنه كاتب غربي يقول في ثنايا حديثه: «ينبغي أن يكون تعليم النساء دينيا

---

(1) اليمامة، 29/ 10/ 1379هـ، العدد 220 ص 10، سعود الضويحي.

لا عقلياً». لماذا يا سيد عبد السلام لم يطبق الغرب رأى كاتبه الحكيم في مدارسه؟

إن مصيبتنا وتأخرنا والنكسة التي أصابتنا جاءتنا من الغرب، تلك الأفكار التي يصدرونها إلينا ولا يطبقونها في بلادهم. أما نحن فما علينا إلا أن نقرأ ما يكتبون، ثم ننشره بين مواطنينا ليتبعوه كما فعل السيد عبد السلام.

ألا يعلم السيد عبد السلام أن المرأة في بلادنا أكثر تديناً وأقوى إيماناً من الرجل، وأن المدارس المفتوحة حالياً يدرس فيها الدين من قرآن كريم وحديث شريف إلى فقه وتوحيد، فماذا يريد من المرأة أن تتعلم أكثر من هذا؟

والغريب أنه يقول في أول مقالة ما نصه: «حتى تستبصر بشؤونها التربوية والحياتية والمنزلية، وتشيع في بيتها روح التفاهم والتقارب الفكري».. عجبا! كيف يكون التقارب الفكري وإشاعة روح التفاهم، وأنت تقول أيضا لا يجب أن نخلط لها كل ما يتعلمه الجنس الآخر، وكيف يتفق هذا مع دعوتك بأن يكون تعليمها دينيا لا عقلياً؟

يا سيد عبد السلام، إن الآباء الذين يرسلون بناتهم إلى هذه المدارس يريدون أن تتعلم بناتهم من الدين ما هو مقرر في المدارس حالياً، أي ما يمكنهن من أداء شعائر الإسلام اليومية والتمسك بها، وبجانب ذلك يريدون منهن أن يتعلمن كيف يربين أولادهن تربية نفسية وصحية وأخلاقية، وهذا لا يتأتى إلا بدراستهن لعلم النفس والصحة وعلم الأخلاق الاجتماعية، كما يريدون منهن أن يتعلمن كيفية إدارة المنزل إدارة علمية صحيحة تهيئ لأزواجهن وأولادهن الراحة والهدوء، وهذا لا يتأتى إلا بإتقانهن فنون الطبخ والخياطة والتطريز، كما يجب أن يعرفن تاريخ بلادهن وأجدادهن، وأن يكون لديهن من الثقافة ما يمكنهن حقيقة من إشاعة روح التقارب الفكري مع أزواجهن.

ويقول الأستاذ عبد السلام أيضا: «وقد عنتها- أي المرأة- الشريعة الإسلامية بتعاليم تحفظ عليها كيانها، وتسمو بمحيطها، وترشدها إلى ما يصلح شأنها، ويبقى على حصانتها»، ثم يقول: «وخصتها- أي الشريعة الإسلامية- برسالة لا تقل في شأنها عن رسالة الرجل، وهذا صحيح ولا جدال فيه، ولكنه- لسبب لا أعرفه- يستدل على كل تلك التعاليم بقول الشاعر حافظ إبراهيم:

الأم مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعباً طيب الأعراق

أم إنه حسب بيت الشاعر آية قرآنية، وحتى لو أخذنا بقول الشاعر، فإنه لم يقل أن نعلمها تعليما دينيا بحتاً كما يريد الأستاذ عبد السلام.

وذكر الأستاذ عبد السلام في ثنايا حديثه عن توفيق الحكيم ما نصه: «وهو قد عالج في معظم كتاباته تلك الأوضاع- أي تحلل المرأة وتبرجها- التي سببها التحرر البغيض للمرأة وانحرافها عن الطريق السوي الخ..». فعلا يا أستاذ عبد السلام فتوفيق الحكيم عالج الأوضاع التي سببها تحرر المرأة، وليس تعليمها كما تعتقد أنت، فتعليم المرأة شيء، وتحررها شيء آخر، ولا يشترط لتعليم المرأة أن تكون متحررة أو منحرفة، وهذا الموضوع يجرنا إلى الحديث عن خطأ وقع فيه كثيرون، فالفساد والانحلال الخلقي المتفشي في أوروبا، والذي جلبه الاستعمار إلى البلاد العربية ليس سببه تعليم المرأة، فذلك الفساد منشؤه الحقيقي الحروب الطاحنة المتتالية التي مرت بتلك البلاد، وحرمت نساءها من الرجال ولقمة العيش، وأحدثت الفوارق الطبقية المتباعدة التي عالجها ديننا الإسلامي الحنيف بالعدالة والمساواة، فانحدرت المرأة العربية سواء الجاهلة أو المتعلمة إلى أسفل درك تبحث عن الرجل ولقمة العيش وعن المال لتقلد من هو أعلى منها، وبلادنا غنية بالرجال والمال والدين الذي يدعو إلى العدالة والمساواة، فتبرج المرأة العربية وتتبعها للموضة وتقليدها للمرأة الغربية ليس منشؤه التعليم، كما يعتقد الأستاذ عبد السلام، وإنما منشؤه كما يقول الأستاذ عبد السلام. مناقضا نفسه.: «من الموديلات التي تأخذها المرأة بعلاتها من البلدان الخارجية بطريق المشاهدة أو المجلات»، أي ليس بطريق التعليم، فالجاهل هو الذي يقلد أما المتعلم فهو يبتكر.

وفي ختام حديثي أعود إلى القول بأن تعليم المرأة دينيا لا يكفي، بل لا بد من تعليمها نفسيا وتربويا وصحياً واجتماعياً وثقافيا، فنحن نريد مربيات جيل قوي متين يتحمل أعباء مستقبلنا العظيم.

وفي انتظار رد الأستاذ عبد السلام لأتناول الموضوع بشكل أوسع وأعمق.

أجل .. وبناتنا[1]

كتب الأستاذ إبراهيم الحجي في العدد 219 من هذه الصحيفة مقالا قيماً، تناول فيه موضوع تعليم البنات، وأشار فيه إلى عدة آراء أدلى بها كثير من الكتاب، وجميعها تسير في فلك تأييد ذلك. وأرى قبل التنفيذ الفعلي لذلك أن يراعي وضع نظام دقيق يحفظ لأمهات المستقبل كرامتهن، ويتيح لهن الارتشاف من مناهل العلم العذبة، والتضلع بها من طرق تربوية قوية إسلامية تتلاءم مع احتياجات ربة البيت الصالحة.

إن البنات شقائق الأولاد، وقد قال تعالى: (هل يستوي الذين يعلمون والذي لا يعلمون)، والدين الإسلامي معروف بسماحته، وحرصه على مراعاة مصالح كافة أفراد المجتمع ذكوره وإناثه، وعلى إتاحة فرصة طيبة أمام الأفراد والجماعات، وأعني بذلك أنه يؤيد - بل يوجب- حصول المرء - ذكراً كان أو أنثى- على قسط وافر من العلم الذي يستطيع به تحصين نفسه من العادات الضارة التي تنتج عن الجهل دائما، والبنت حينما تتعلم القراءة والكتابة وطرق تربية الأطفال وخدمة الزوج وترتيب أثاث البيت وتدبير شؤونه من حياكة وخياطة وطبخ وغير ذلك مما لا غنى للأم المثالية عنه، حينما تتعلم البنت كل ذلك، أو بعضه، تجد نفسها كما يجدها أهلها، بل يجدها زوجها قادرة على الاضطلاع بأعبائها المنزلية، إلا أن بنت اليوم وهي أمانة في أيدينا وتعليمها أمانة في أعناقنا، فيجب العناية بهذه الأمانة، ومع ذلك فإنه يجب أن يكون التنفيذ بدقة وتحفظ وحذر بحيث يهيأ لها المكان الحصين الصحي النزيه، وأن يختار لها مدرسات ومربيات بعد التحري والتأكد من نفعهن، وأن يعد قبل ذلك كله منهاج تعليمها بحيث يبدأ بالأهم فالمهم.

---

(1) اليمامة، 5/11/1379هـ، العدد 221، عبد الرحمن العبدالله العبد الكريم.

إننا يجب أن نأخذ عبرة وعظة من تجاربنا وتجارب غيرنا، فنحذر الوقوع في حالتين ضارتين؛ في إحداهما تفريط، وفي الأخرى إفراط، فالبنت حينما تبقى جاهلة جهلا مطبقا تكون عزلاء من السلاح الذي تصد به أي مسلك ملتو يفاجئها في خط سيرها سواء في داخل البيت أو خارجه، وإذ ذاك تبقى عضواً أشل لا تقوم بواجباتها المنزلية، وهذا لعمر الحق تفريط منا نحن الرجال يتعدى ضرره إلى الأم، ويعود إلينا عن طريق تربيتها لأولادها، والحالة الثانية الإفراط الذي يتمثل في الانزلاق مع تيار المدنية الحديثة الزائفة، وما يتفرع عنها من أضرار لا يدرك مداها إلا كل ذي لب يراعي بدقة كافة الاتجاهات والطباع التي تؤثر في حياة الأم داخل البيت أو خارجه.

وبعد، فإن التعليم السليم للبنت مما يجعلها تتبوأ مكانتها المرموقة كصانعة للأجيال، ومديرة للمنزل الحديث، وزوجة مثالية يعتز بها زوجها، وتسد الفراغ الذي يحس به الشاب المتعلم، حينما يبحث عن زوجة متعلمة بين بنات وطنه.

قولوا معي: وفق الله القائمين بذلك إلى ما فيه السداد، وإحلال نور العلم بدلاً من ظلام الجهل. آمين.

تعليم البنت ضرورة.. ولكن[1]

ما أكثر ما قيل في هذا الموضوع.. سواء في المجالس .. أو في الصحف.. ومع ذلك فنحن نشعر بأننا لا زلنا في حاجة إلى المزيد من الحديث فيه.. وهذا ما جعلني أتناوله في حديثي هذا.

ونحمد الله أن غدت هذه الفكرة حقيقة وواقعا، بعد أن كانت في الماضي أضغاث أحلام، وعلى الرغم من هذا، فإن هناك فئة من الناس لا زالت تنظر إلى هذه الفكرة نظرة المتشائم لا المتفائل، وتذهب في تشاؤمها إلى أبعد من هذا، فتزعم أن في تحقيقها خطراً يهدد سلامة المجتمع وكيانه.

وأحب أن أطمئن هذه الفئة على سلامة هذا المبدأ، وبعده كل البعد عن معاني الهدم والتخريب، أو كما يزعمون، وليعلموا أن مثل هذه التخوفات ليست سوى أوهام تراود مخايلهم بين الحين والآخر، ولئن كان ذلك مصدر الحرص على مستقبل الفتاة، أو أن يكون في هذا الأمر ما قد يخرجها عن طور بيئتها المحافظة. أقول لئن كان مصدر تخوفاتهم هذا، فليعلموا أن هذه الفكرة تخدم مستقبل الفتاة لا تهدمه، وأن تعليم البنت لا يعني خروجها على مبادئ الدين وعلى مبادئه السمحاء.. لا هذا ولا ذاك.. مطلقا. فتعليم الفتاة في خدمة الدين نفسه، وحاشا أن يكون هذا المبدأ معول هدم وتخريب، لا إصلاح وتعمير. فنحن أولا وآخراً أمة إسلامية.. تقدس دينها وعقيدتها.. وترى فيهما رمز مجدها وعزتها، ومن الجهالة بمكان أن نعتقد أن مثل هذا القرار قد يمس ديننا أو يلحق به أذى، بعيداً كان أم قريباً، حاشا أن يحدث مثل هذا.. ولو كان يرمي إلى الحط من ديننا.. وكرامتنا لكنا أول القائمين عليه، لا له، ولكننا ندرك تماماً أنه ما سن إلا من أجل الجميع، وخدمة الجميع أمة ومجتمعاً.

---

(1) اليمامة، 7/2/1380هـ ، العدد 233 ص5، عبد الرحمن بن محمد السدحان.

إن لهذه الفكرة جوهرها الكبير، وقد بنيت على أسس ومبادئ عدة.. قوامها المصلحة العامة، ولا ريب أنه سيكون لها أبعد الأثر وأعمقه.. إن لم ندركه اليوم.. فسندركه في يوم ما ولو بعد حين.

إن تعليم البنت ضرورة، ولكن ضمن حدود يباركها الدين، وتقرها المبادئ التي يقوم عليها كياننا الوجودي والاجتماعي، أما إن طغت عليه المظاهر الخداعة، فسلبته جوهره ومعناه، فذاك ما لا نريده ولن نريده أبداً، فلتظل هذه الفكرة سليمة الهدف، فلا تتسرب إليها الأفكار والآراء من هنا وهناك فتنحرف بها، وتفسدها، ليظل لها جوهرها ومبادئها التي بنيت عليها، وإلا فثقوا أننا سنخسر، وسنخسر كثيرا؛ ومن يدري! فلعلنا ندرك هذه الخسارة. ندرك فداحتها بعد حين من الدهر فنعض على أصابعنا حسرة وندما حيث لا يجدي الندم.

أجل. إن تعليم البنت ضرورة، أيها الأخوة، ولكن يجب أن نحتاط فلا نفرط، ونفكر فلا نتسرع، ولا نرتجل الأمور ارتجالا، لأن النهاية سوف لن تكون في صالحنا حتماً.

إن الفكرة في حد ذاتها نبيلة الهدف سامية الأثر، أما إن انحرفت تحت تأثير ظروف وعوامل متفرقة فستكون العاقبة وخيمة. بئس العقبى وبئس ما صنعنا، ومن الخير لنا أن نختصر الطريق، وأن نقي أنفسنا جهدا وعناء قد يكلفنا الكثير، ثم لا يفي علينا إلا بما نكر،. وعلينا ألا ننخدع أو نخدع أنفسنا فنتردى.

إننا نريد أن نحقق من هذه الفكرة الآمال التي تهدف إلى مصلحة فتاتنا ديناً ودنيا شريطة أن تكون متمشية مع مبادئ ديننا ومثلنا، وإننا حين ندعو إلى تعليم البنت نقصد من ذلك الوجهة السليمة البناءة المترتبة على تحقيق هذا المبدأ، وهي إعداد الفتاة إعداداً مثالياً، وتهيئتها لأن تكون مواطنة صالحة تعرف حقوقها، وتدرك واجبها تجاه أمتها ومجتمعها. إننا نريد أن نجعل منها مثال الزوج الصالحة، وأن نوجهها التوجيه الصالح نحو حياة كريمة ومستقبل سعيد.

نريدها أن تدرك واجبها تجاه زوجها وبيتها، وتجاه منزلها أيضا، فتحصل على تحقيق هذه الأهداف على أساس صادق من الوعي والفهم والإدراك الصحيح. يجب أن نجعل منها الزوجة الصالحة والمربية الفاضلة والأم الرؤوم. إننا نريد لها العلم، بشرط ألا تطغى عليه التيارات المعاكسة، فتجرفها وتفقدها طابعها الشرقي المحافظ، بل يحفظ لها كرامتها وعزتها. إننا نريدها أن تحيط

بمبادئ دينها وتعاليمه السامية. خاصة فيما يتعلق بدورها كزوجة وكأم وكربة بيت معا. إننا لا نريد منها أن تتبوأ المراكز أو تشغل المناصب، فليس هذا الميدان ميدانها، وإنما ميدانها الحقيقي هو البيت. أجل البيت، ولا يحسبن البعض أن رسالة البيت تقل عن رسالة الوظيفة أو المركز، بل إن لها من الأهمية مكانا يجعلها تتسامى إلى مراتب الرسالات الإنسانية الخالدة، فهي كزوجة لها رسالة، تجاه زوجها، وتجاه عشها الزوجي، وهي كأم لها رسالة أيضا تجاه بنيها، ثم هي كربة بيت لها رسالة، فأنت ترى إذاً أن وظيفة المرأة شاقة وعسيرة، وقل أن تحيط بها امرأة في الوجود، ثم إنه لا بد لها من الاستعداد والتهيؤ الكامل كيما تقوم بتلك الرسالات جميعها أداء كاملا على النحو المطلوب، ومن أجل هذا: دعونا وما زلنا ندعو إلى تعليم البنت والعمل على نشره وتشجيعه بكافة المقومات المادية والمعنوية، ولا بد أن يكون تعليمها هذا متمشياً مع تلك الرسالات التي أشرنا إليها عاملا على خدمتها.

وخلاصة القول: أننا نريد أن ننشئ فتاتنا تنشئة صالحة مستقيمة، ونعدها من أجل دورها الكبير في الحياة، ومن أجل رسالتها، رسالة الأم والزوجة وربة البيت، هذا ما نرجوه من تعليم البنت، وهذا ما ندعو إليه في حرارة وإخلاص، أما إن كان تعليمها سيتخذ وجهة غير هذه الوجهة، ومبادئ غير هذه المبادئ فلا حاجة لنا به، وما أغنانا عنه. إننا لا نريد أن تمثل فتاتنا نفس الدور الذي سبقتها إليه أختها العربية في الأقطار الأخرى. لا نريد أن تخوض التجربة ذاتها. تلك التجربة التي جردتها عن دينها، وعن مبادئها، وجعلتها تتعلق بأذيال الغرب ومبادئ الغرب، جعلتها لتحاكي فتاة الغرب في مجونها واستهتارها، ولتترك مبادئها هي، ومثلها، وراءها ظهريا، ثم لتصبح فيما بعد نسياً منسيا. لا نريد هذا ولا ذاك، ولنتعلم من التجارب إن كنا صادقين. التجارب التي خاضها غيرنا، وعاش فيها غيرنا زمنا، ثم ذاقوا نهايتها وما زالوا. لنتعلم أيها الأخوة، ولنذكر إن كنا حكماء، وإلا فعلى فتاتنا: السلام.

مرة أخرى.. أعود فأقول: إن تعليم البنت ضرورة وضرورة، ولكن لا بد أن يسير هذا التعليم على ضوء مبادئنا وديننا، وأن يحتفظ بجوهره الخاص. الجوهر الذي رسمناه له نحن بوحي من مصلحتنا وعلى هدي من ديننا ومثلنا.

وبعد فإننا ندعو لهذه الفكرة بالنجاح المضطرد، ونتمنى أن تتخذ في شأنها الإجراءات السريعة الكفيلة بإبرازها إلى حيز الوجود في أقرب وقت ممكن.

وهنيئاً لك يا أختاه. هنيئاُ لك بانتصارك في سبيل رسالتك. هنيئا لك فقد قدر لك أن تحظى بالمكانة اللائقة بك، وأن تلقي من العناية ما أنت جديرة به، وعسى أن تتضافر الجهود من أجلك. من أجل تعليمك وإعدادك لمستقبل أنت أهل لأن تحتلي منه مكانة مرموقة.

وإلى الأمام.. إلى الأمام يا أختاه.. نحو حياة أفضل ومستقبل أسعد، والله معي ومعك.. معنا جميعاً.. والسلام.

ليس أقل من مدرسة واحدة للبنات في كل منطقة تعليمية[1]

خطاب مفتوح إلى فضيلة الرئيس العام لمدارس البنات.

بعد التحية والتقدير.

اطلعت على إعلاناتكم عن مدارس البنات، وإني إذ أبارك هذه الخطوة الجبارة، وأدعو الله أن يوفقكم ويسدد خطاكم ويقوي عزيمتكم للقيام بهذه المهمة التي أنيطت بكم. أرجو أيها الرئيس أن تفتح لي صدرك وتسمع مني هذه الملاحظة.

إرادة مليكنا المحبوب تقضي بفتح مدرسة لتعليم البنت في أمهات المدن، وقد نوهتم عن فتح مدرسة في كل من الرياض، مكة، وجدة، والمدينة، والدمام، وبريده، وأبها، وتنفيذاً لرغبة مولانا جلالة الملك المعظم فليس أقل من مدرسة ابتدائية واحدة في (كل منطقة تعليمية يا سيادة الرئيس)، وإني باسم منطقة حائل أتقدم لسيادتكم راجياً فتح مدرسة ابتدائية لتعليم البنات بمدينة حائل، ومنطقة حائل منطقة فسيحة تقارب القرى المحيطة بها المائة قرية أو تزيد، وسكان مدينة حائل وحدها يربون على الـ 25 ألف نسمة، والمنطقة تعتبر إمارة هامة في الشمال من المدينة المنورة جنوباً إلى الحدود الشمالية شمالا، ومن مقاطعة القصيم شرقا إلى تبوك غرباً، وفيها إدارة تعليم وقرابة ثلاثين مدرسة، منها مدرسة ثانوية ومتوسطة نهارية وليلية ومعاهد معلمين ليلي ونهاري مدرسة لمكافحة الأمية ودار للأيتام، وفيها فروع لجميع الدوائر الحكومية والنهضة التعليمية تبشر بخير، وأظنك تدرك معنا أن منطقة كهذه تستحق فتح مدرسة ابتدائية لتعليم البنات

(1) اليمامة، 28/2/1380هـ، العدد 236، صالح بن راشد البكر.

وإنقاذهن من ظلمة الجهل. وتعليم البنت أمر واجب يأمر به الدين الحنيف وتقتضيه الحياة الاجتماعية، ويكفي أن تتعلم البنت من أمر دينها ما يقوم اعوجاجها، ويهذب أخلاقها، ومن أمر دنياها ما يجعلها تدخل إلى الحياة من باب مضيء تستطيع تربية الجيل الناشئ تربية صالحة، ولا أريد بكتابي هذا أن أتعرض لفائدة تعليم البنت فقد سبقني إليه الأدباء والكتاب في الصحف المحلية، كما لا أريد أن أقنع المسئولين بضرورة فتح مدارس البنات، فلقد كفانا ذلك جلالة الملك المعظم، وإنما أريد لفت نظر سيادتكم إلى هذه المنطقة المتعطشة لتعليم البنات، ولنا بسيادتكم أمل كبير أن نقرأ ما يطمئننا وفقكم الله.

لا تئدوا بناتنا في المهد[1]

فكرة وأد البنات. هذه الفكرة الإجرامية، والتي نهى عنها الإسلام الحنيف، ووضع أقصى العقوبات لمرتكبيها، أو ممن يشجع عليها لم تزل تعشعش في هذه الديار، ولم يزل لها مطبلون ومزمرون وداعون في هذه المملكة الواسعة. أجل. وأد البنات لم يزل ساري المفعول في هذه الجزيرة العظيمة، ولكنها أخذت شكلاً آخر غير طمس الجسد وإحالة التراب عليه. اتخذت شكل قتل النفس والروح. قتل الفكرة قتل التعطش للعمل والمعرفة والعلم. فكرة إجرامية لم يزل المطبلون والمزمرون والرجعيون يغذونها بكتاباتهم المسمومة.

إن الدعوة إلى عدم تعليم البنات في هذه المملكة الواسعة الأرجاء أو في أي قطر عربي آخر، ما هي إلا استثمار مقنع. استعمار من نوع آخر. أخذ شكل قتل الروح.. روح الطموح في فتياتنا.

عندما أصدر صاحب الجلالة مليكنا المعظم أمره السامي بتعليم البنات، هللنا وفرحنا ورفعنا أيدينا إلى السماء ليمد الله في عمر جلالته، وقلنا بأن هذه الخطوة الخالدة الجريئة التي اتخذها جلالته لا يمكن أن تقدر بثمن، فلقد عرف جلالته أن العلم أساس المعرفة. أساس البنان الذي سترتكز عليه مملكتنا السعيدة.

إن العلم هو أساس العمران وبدون علم لا يمكن أن تقوم حضارة، ولا يمكن أن تقوم مدنية أو يثبت حكم.

إن الجهل. جهل الرجل والمرأة معا مما يساعد الاستعمار على قتل الروح في البلاد، ويضعضع من كيانها، ويجعلها لقمة سائغة للدول الأجنبية، ومن المعروف أن هنا في هذه الجزيرة يشكل الجنس الثاني المرأة نصف المجتمع إن لم يزد عددا فما رأيك؟ يا قارئ الكريم، لو عرفت بأن نصف هذه المملكة جهلة

---

(1) اليمامة، 28/2/1380هـ، العدد 236 ، محمد الفاتح.

لا يعرفون من أمور دينهم ودنياهم شيئاً. ما رأيك لو قبعت المرأة في جحرها، منزوية في بيتها، محبوسة بين جدران أربعة؟ ألا تعتقد معي أن هذا يعني هلاك المجتمع والقضاء عليه، وعلى حضارته؟ ألا تعتقد أن سجن المرأة في بيتها يعني قتل روحها؟

ولكن ماذا نعمل؟ وهنا فئة تأبى أن ترفع الغشاوة عن عينيها. تأبى على المرأة أن تشارك الرجل في آماله وآلامه؟

إن القضية الآن ليست قضية تعليم الفتاة بقدر ما هو خلق المجتمع الصالح المتكافئ، وخلق هذا المجتمع الصالح لا يتأتى إلا بتعليم الفتاة.

لقد كان للدور الذي قامت به المرأة في الإسلام وما بعد الإسلام أثر فعال في تقدم الحاضرة، فمن منا ينكر عائشة أو خديجة أو الخنساء؟ أو أي امرأة أخرى من نساء المسلمين؟ من ينكر علم ومعرفة هذه النسوة إذن. لا أحد ينكر ذلك. اللهم إلا الفئة التي تنظر للمرأة بأنها عورة. إيه والله عورة يجب أن تستر. يجب أن تبقى في زوايا النسيان. مجرد عالم للتفريخ، وإشباع الغريزة الحيوانية عند الرجل!

وهذا ما تحدثت عنه- وبكل أسف- أحد صحفنا!

كم كان بودي أن يهلل الكبار والصغار لهذه الخطوة الجريئة التي أقدمت عليها حكومة صاحب الجلالة. لا أن يعرقلوا هذه الخطوة الجبارة ويصفونها بصفات لا تليق بذلك.

إن حكومة صاحب الجلالة لم تقدم على هذه الخطوة إلا بعد تمحيص وروية ودراسة، وإن حكومة صاحب الجلالة قد أخذت على عاتقها حماية الفتاة. أي فتاة .. إذن، فلماذا يقف المكابرون في وجه حكومة صاحب الجلالة؟ وينادون بالويل والثبور وعظائم الأمور؟ لماذا يتجرأ - كاتب في صحيفة- ويقول: «أسفنا لتعليم البنات»؟! لماذا تأسف؟ ولماذا تتأوه وتتألم؟ أتخشى من المرأة إلى هذا الحد؟

لماذا؟ أليست إنسانة مثلك؟ ألا تتعذب مثلما تتعذب أنت؟ ألا تحس مثلما تحس أنت؟ ألم يقل الرسول (صلعم): «أوصيكم بالضعيفين.. المرأة واليتيم»؟ إذن فلماذا نحقد عليها؟ لكونها ضعيفة؟ ألكونها امرأة خلقت في نظرك للذة وإشباع الغريزة؟ لماذا هذا التجني يا حضرة الكاتب المحترم؟ لماذا لا تنظر

للأمم المتقدمة كيف سبقتنا في مضمار الحضارة والمدنية ؟ ولماذا لا تتساءل عن العامل المساعد لهذا التقدم والازدهار؟ ستجد أن المرأة هي العامل الرئيسي.

أجل الرئيسي في مضمار الحضارة والتقدم.

ما رأي الأستاذ المحترم في أخت نهرو ؟ أليست امرأة ؟ هل يستطيع أن يقف بجنبها في مجلس الأمن الدولي؟ إنني أتحداه، وما رأي الأستاذ المحترم في بنت الشاطئ وأمينة السعيد وهدى شعراوي وجميلة بو حريد ورجاء أبو عماشة وجميلة بو باشا ويسرى سعيد ثابت؟ ما رأيه في هؤلاء المناضلات؟ وهل يستطيع أن يقف بجانب الأولى أو الثانية مثلا؟ أكاد أجزم بالنفي، فالإنسان الذي يحيا حياة القرون الوسطى لا يمكن أن يعرف معنى الحضارة أو معنى المدنية والتقدم.

نحن لا نريد للمرأة أن تكون عارية متبرجة. نحن لا نريد أن تكون من المومسات. فنحن نحارب التبرج بأنواعه، وفرق شاسع بين التبرج وبين العلم. اللهم إلا إذا كان في نظرك أن العلم والمدرسة يعنيان التبرج.. فهذه مسألة فيها نظر...!

لقد أثبتت المرأة قدرتها في جميع الميادين.. أثبتتها في الطب والمحاماة.. في المعمل والمصنع.. أثبتت أنها لا تقل عن الرجل إن لم تسبقه بمراحل. خذ مثل الطالبات اللواتي يدرسن في المدارس الثانوية أو الجامعية في أي بلد في العالم ستجد أن الأوائل أكثرهن فتيات، ألا يدل ذلك دلالة واضحة على قدرة المرأة، وعلى تفتح عقلها واستعدادها الفطري وتعطشها للعلم والمعرفة؟

إن المرأة التي تستطيع هز المهد بيمينها، تستطيع أن تهز العالم بشمالها.

وقد أثبتت التجارب كل هذا. خذ جميع الزعماء في العالم، وستجد أن وراء كل زعيم امرأة.. أجل امرأة والتي يسميها الأستاذ: (عورة) يجب أن تقبع في البيت.

ونأتي هنا لمشكلة البيت وتربية الأولاد. ترى هل تستطيع المرأة الجاهلة أن تربي أطفالها تربية صالحة؟ هل تستطيع أن تخلق منهم جيلاً حياً يؤمن بربه وعروبته وقوميته والإنسانية؟ هل تستطيع أن تفهمه من هو في هذا الوجود؟ هل تستطيع أن تخلق منه إنساناً يخدم وطنه وأمته؟ الجواب بالنفي.. القاطع، فلولا جهل المرأة ونظرة الرجل إليها كـ (عورة) لما خلق في هذا المجتمع مجرمون،

ولولا جهل المرأة بالتربية البيتية - والذي أساسه العلم- لما وجد المتسكعون واللصوص. إن اللصوصية والإجرام لا يمكن أن تنبت إلا حيثما يوجد الجهل. جهل المرأة بالذات. إن الرجل لا يعلم ولا يعرف معنى التربية. كل ما يعرفه هو العمل، وإشباع غريزته في أكثر الأوقات، ويوكل كل هذه الأمور- تعليم الأطفال- إلى المرأة .. والمرأة وحدها.

إنني أناشد صاحب الجلالة ألا يلتفت لهذه الفئة (...) التي تريد طمس المرأة وقتل حيويتها، كما أناشد الآباء بعدم الإصغاء إلى هذه الفئة، فأنا كأب - مثلا- لا يمكن أن أتزوج امرأة جاهلة لا تعرف تربية أبنائي، لا يمكن أن أربط مصيري بمصير فتاة قنعت بالقشور.. مجرد تعرف القراءة والكتابة.. إن القضية ليست القراءة والكتابة بقدر ما هي معنى القراءة ومعنى الكتابة.

هذه دعوة صريحة أوجهها للآباء والأمهات. أوجهها وكلي أمل بأنها ستلقي الآذان الصاغية (فأما الزبد فيذهب جفاء.. وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض)..

والله الموفق لما فيه خير هذه الأمة والوطن.

حول مدارس البنات[1]

استبشر المواطنون عندما طالعوا الإعلانات الصادرة عن مدارس البنات المزمع افتتاحها في مستهل العام الدراسي القريب 80هـ، وذلك بناء على الإرادة الملكية السامية التي قضت بتعليم المرأة.

وقد انتاب بعض الناس تساؤلات كثيرة عن الطريقة التي ستسير عليها هذه المدارس، وكيفية نظام التعليم فيها، وهل هو مقصور على مواد دينية أو يتجاوزها إلى غيرها؟ وما نصيب الدروس الدينية في الخطة الدراسية التي رسمت للاستنارة بها عند بدء الدراسة واستئناف سيرها؟

ولما كانت هذه التساؤلات والتخرصات لا تجد أية إجابة شافية من مصادر تطمئن إليها، لذا نرى أن يتفضل فضيلة المشرف على مدارس البنات، وينير السبيل أمام تلك التساؤلات، حتى لا يذهب بعض الناس إلى تفسيرها تفسيراً يتنافى مع الغرض الذي من أجله أنشئت هذه المدارس، وقد يدخل إلى أذهان بعض أولياء أمور البنات شيء من الشك والظن في عدم نزاهة قصد تلك المدارس، وقد تكثر الشائعات التي تشوه من سمعة هذه المؤسسات الخيرية ولا شك، وأن يعرف الرأي العام بها سوف تتبعه المدارس في طرق تدريسها العلوم والتدبير المنزلي، وما إلى ذلك من ضروب الأعمال التي ستزاولها الفتاة داخل مدرستها، وأنه بذلك - أي المشرف على مدارس البنات - يقطع دابر هذه الإشاعات التي قد تكون عاملا على بلبلة الأفكار وإعطاء صورة غير حسنة عن إنشاء مدارس البنات التي سوف تمد البلاد بأمهات المستقبل اللاتي يعملن في صالح المجتمع، ويطعمن الوطن بالرجال العاملين لما فيه صالح البشرية، كما لا ينسى فضيلة المشرف أن يشير إلى الجنسيات التي ستباشر التدريس في هذه

---

(1) اليمامة، 28/ 2/ 1380هـ، العدد 236، عبد الرحمن بن فيصل بن معمر.

المدارس، حيث إن على هذه الفقرة المعول في تبيان الحقيقة التي هي حديث الساعة بالنسبة لبعض الناس، وما يتبادلونه في مجالسهم من أحاديث عن الجنسيات التي ستزاول وتشرف على التدريس بهذه المدارس، هذا وأرجو أن يلقى هذا المطلب استجابة سريعة من لدن فضيلة المشرف، ويتفضل مشكوراً بإزاحة الستار عن حقيقة مدارس البنات وفاعليتها في الحياة الاجتماعية وصلة البيت بالمدرسة بالنسبة للطلبة، وهل التعليم مقصور على صغيرات السن أم يشمل متوسطات السن؟ وما حول هذه ملاحظات أضعها تحت إرادة فضيلته، وآمل منه أن يجيب عليها حتى يكون الناس على بينة من أمرهم، ويطمئنون على فلذات أكبادهم، وما أخال فضيلته إلا مدركا تأثير تلك التساؤلات على عقليات بعض الملأ، فعساه بتصريحه يستأصل الداء بالناجع من الدواء أرجو ذلك بل أتوقعه.

المرأة والتعليم[1]

لا يخالجني أدنى شك في أن المرأة هي أساس الأسرة في مجتمعنا لها حقوق، وعليها واجبات كما للرجل.

لها حقوق في طلب العلم. ولها حقوق من حيث تيسير هذا العلم، وتقديمه لها بإطار الفخر والاعتزاز، وعليها واجبات تفوق واجبات الرجل تجاه الوطن، والمشاركة في التوجيه والإرشاد وتنوير القلوب.

منها تتكون المرأة المثالية، ومنها تتشكل الجمعيات النسائية الخيرية التي تؤوي الفقير، والملهوف، واليتيم، والعاجز.

وهكذا نرى فيها قوة البناء، وتكتيل القوى لرفع المستوى الثقافي بين الأسر، وتحطيم أسوار الجهل الذي ظل قروناً محاميا وحائلا دون أن تحظى المرأة السعودية بحقها في التعليم الذي هو منار العالم بأسره، إن رجالا أو نساء.

ولقد كان للأمر الملكي الكريم بفتح المدارس الخاصة بالبنات وإعداد المعلمات في كل من الرياض، ومكة، والدمام، وفتح مدارس ابتدائية في أمهات المدن تمهيدا لتعليم فلذات أكبادنا من البنات ابتداء من مطلع العام الدراسي القادم، لقد كان له صدى كبير في النفوس أروى ظمأ الفتاة السعودية، وسيجعلها تحظى بتيسير العلم لها من جميع أوجهه حسب تعاليم ديننا الحنيف.

ولقد أولى جلالة الملك المعظم تعليم المرأة السعودية اهتمامه، وبسط له كفيه مناصرا ومؤيدا لجميع متطلباته يسانده رجل الإصلاح.. فيصلنا المؤيد، ويؤازرهما كل مواطن مخلص يطمع في التقدم والرقي لبلاده.

وهذا الأمر الكريم منة كبرى وحدث عظيم، سيجعل من الفتاة السعودية فتاة أو امرأة متعلمة نعمل فيثمر وجودها بفضل عملها وعلمها، وتوجه فيستنير بها

---

(1) اليمامة، 6/ 3/ 1380هـ، العدد 237، عبد العزيز بن عبد الوهاب المهباش.

الأمي، وترشد وتربي لنقدم صرح تقدمنا الثقافي تحت توجيه وزارة المعارف الجليلة، وبرعاية حكومتنا الرشيدة.

إنه تقدم ملموس في حياة المرأة في بلادنا.. ظللنا أعواماً .. وأعواماً بين الأمل.. والتمني لتحقيقه، وها هو الأمر السامي الكريم وقد بدد الظلام، وحل محله النور، ليكون من المرأة السعودية سراجاً مضيئاً يقتدي بنورها الجيل القادم من فتياتنا.

* * *

وهذا هو يا أخي ما كنا نرجوه للمرأة السعودية الحاضرة، وذلك ما نرجوه للجيل القادم من المرأة الصغيرة، والله أسأل أن يأخذ بالأيدي المصلحة إلى ما يسعد أبناء هذا الشعب رجالاً ونساء إنه على كل شيء قدير..

حول تعليم البنت[1]

جاءنا من فضيلة الرئيس العام لمدارس البنات التعقيب الآتي:

اطلعت هذه الرئاسة على ما نشر بعدد اليمامة 226 في 28-2-1380 بقلم الأستاذ عبد الرحمن بن فيصل بن معمر بشأن مدارس البنات، والأسئلة المتعلقة واهتمامها ومناهجها، ومع تقديرنا لشعور الكاتب المحترم نطمئنه بأن ولاة الأمور عندما فكروا في فتح هذه المدارس، كان رائدهم الصالح العام، وتنمية فوائد النهضة على أسس متينة من العلوم والمعرفة، وما من أحد يجهل أو يتجاهل ما لمدارس البنات من أثر فعال في سعادة المجتمع، إذا ما سارت تلك المدارس على النهج الصحيح الهادف، مع أن تعليم المرأة واجب ديني فرضه الإسلام، فالنساء شقائق الرجال يسري عليهن التكليف الشرعي، وعليهن واجبات دنيوية نحو أزواجهن وأبنائهن يجب أن يلممن بها ليساعدن على تنشئة جيل صالح قوي.

وثق أيها الأستاذ الكريم أن هذه الرئاسة ومن ورائها رائد النهضة ورجال حكومته المخلصين، لن تدخر وسعاً في إبراز هذه المدارس بالمظهر اللائق المثمر إن شاء الله، وستبذل الجهود حسب الإمكانيات في تركيز أسس هذه المدارس تركيزا يتفق وديننا الحنيف، وتقاليدنا العربية الأصيلة مع إحاطتها بسياج قوي من المحافظة والرقابة، وستكون المناهج الدراسية مشتملة على الدروس الدينية والعربية والاجتماعية كل سنة وما يناسبها طبقاً لمناهج المدارس الابتدائية مع مبادئ الصحة والتربية والأشغال اليدوية والتدبير المنزلي وفي القسم الثانوي ستدرس هذه الفنون بتوسع، وسيتولى التدريس في هذه المدارس نساء ممن تثبت صلاحيتهن الدينية وكفاءتهن العلمية من الوطنيات وغير الوطنيات اللاتي لهن أولياء في هذه المملكة، وقد تقدمت لهذه الرئاسة طلبات لكثير من الوطنيات

---

(1) اليمامة، 13/ 3/ 1380هـ، العدد 238، الرئيس العام لمدارس البنات عبد العزيز الرشيد.

يحملن مؤهلات متوسطة وأجنبيات مقيمات هنا لديهن مؤهلات عالية ومتوسطة، وجميع هذه الطلبات تحت درس المسئولين في هذه الرئاسة، وستبذل التحريات اللازمة في اختبار الأصلح فالأصلح، وستفتح المدارس بحول الله وقوته أبوابها في أول اليوم الدراسي المقبل، وسيكون القبول من سن السادسة فما فوق، أما نهاية السن فسيحدد فيما بعد، وزي الطالبات في هذه المدارس هو الزي العربي الساتر الذي لا يختلف عن زي أهلهن، والله نسأل بأن يكلل أعمال الجميع بالنجاح، ويجعل العمل خالصا لوجهه الكريم والله الموفق.

ضرورة تعليم المرأة[1]

لا يختلف اثنان في أن المرأة كنز حبا الله به الخليقة، حيث إنها تدخل البهجة إلى قلوب الناس بما أفاض الله عليها من عاطفة، وكما أنها النصف المكمل للرجل الذي لا يستطيع الاستغناء عنه، فهي كذلك النصف المكمل للمجتمع، لا يزدهر إلا بها، ولذلك فلا بدع إذا كانت دائما أبداً مركز الحيوية فيه، أي إنها إذا تأخرت عن الاشتراك فيه، كان هذا المجتمع متأخراً. إنها مثل ذلك، مثل الشخص الذي يحاول أن يعمل بيد واحدة ما تعمله يدين اثنين، أو كمثل الذي يسير على قدم واحدة، وما أحكم «ديموستين» كبير خطباء أثينا حين قال: «نحن الرجال بحاجة إلى ضروب ثلاثة من النساء: المرأة الرشيدة المثقفة لنشغل بها العقل ونلهى بها النفس، والمرأة البارعة في الجمال، لنرضي بها الحواس ونسكن بها ثورات الجسد، والمرأة الصالحة الحكيمة، لتلد لنا البنين، وتدبر لنا المنازل».

وما دمنا نريد رقي مجتمعنا وازدهاره، فلا بد أن نقدم له نساء متعلمات مثقفات يقدرن المسئولية ليمكن الاعتماد عليهن، بل يجب على كل منا أن يذلل كل عقبة تسد طريق كفاح الفتاة، لأن الفتاة المثقفة ذات نفع كبير، ولا أعتقد أن أي إنسان عاقل ينكر أن المرأة المثقفة، هي المدرسة الأولى التي يبنى فيها الطفل أساس حياته، وعليها وحدها يتوقف صلاح الطفل.

ونحن حين نريد تعليم المرأة السعودية، فنريد من صميم أنفسنا، تعليمها الحق، التعليم الصحيح الذي تستطيع به أن تمثل دورها في المجتمع، وفقاً كما جاء به الدين الحنيف الذي إذا نظرنا إليه نظرة مخلصة، ألفينا أن هذا الدين قد

---

(1) اليمامة، 18/4/1380هـ، العدد 243 ص6، شوقي.

أنصفها الإنصاف كله، ولكن بعض الناس أراد أن يغمطها حقها ظلما وعدوانا، وهيهات أن يفلح غدا إن افلح اليوم في تحطيمها.

إننا مع المنصفين، نريد لها التعليم الذي يشعرها بوجودها في المجتمع، وبقيمتها في الحياة، أي أن تشعر بأنها عضو هام في الحياة الدنيا، وفي الوطن وفي المجتمع القوي البنيان.

ويقيني أنه متى كانت مواد البناء متينة التكوين، سليمة الوضع، كان البناء قوياً على احتمال تصاريف الأيام والتغلب على صدمات الحادثات، وما مادة البناء في أي أمة، غير المرأة الرشيدة المثقفة ثقافة حقة.

ومجمل القول، أني أناشد كل مواطن، أن يسعى إلى تعليم بناته أو أخواته أو زوجة. أولئك اللاتي فاتهن الركب، فالحياة اليوم تتطلب عقلاً ناضجاً ووعياً كاملاً لكي يسبر الركب باطمئنان.

مدارس البنات.. في عامها الأول[1]

كان يوم السبت الموافق غرة شهر جمادي الأول 80هـ يوماً من أيامنا الخالدة. فيه تحققت آمال شعب بأسره، فبرز لحيز الوجود مشروعا حيوياً طالما تاقت أنفس الملايين إليه، فلقد كان تعليم الفتاة أملا من الآمال وفكرة، فأصبح الآن وبمدة وجيزة حقيقة ثابتة ملموسة بفضل وجهود محقق الآمال وباني صرح النهضة الشامخ جلالة الملك المعظم سعود ورجال حكومته المخلصين.

لقد بدأت الدراسة في مدارس البنات بصورة رسمية ابتداء من يوم السبت الموافق 2-5-80هـ في كل من مدينة الرياض، مكة، جدة، المدينة، الدمام، وستبدأ في الأيام القريبة في مدينتي بريدة وأبها. ولقد أصدر حضرة صاحب الجلالة أوامره الكريمة من الآن لرسم الخطط للعام القادم من أجل تأمين الاستعداد الكافي من مدرسات وإمكانيات لنشر تعليم البنات في جميع أنحاء البلاد.

وإنه ليسر الرئاسة ما لمسته من إقبال شديد وبصورة منقطعة النظير، فقد بلغ الحماس غايته في جمهرة المواطنين، فرفعت الأكف إلى العلي القدير مبتهلة بأن يحفظ الله ويطيل في عمر جلالة الملك سعود وولي عهده الأمين، ولا يسع هذه الرئاسة إلا أن تشيد بهذا الأثر الخالد الذي أتاح الفرصة السعيدة لفلذات أكبادنا وأمهات الغد بأن ينهلن من العلم والمعرفة ما يسعدهن دنيا وأخرى، وأن تقدم آيات الشكر وعاطر الثناء لجلالة العاهل إزاء ما لمسته من تشجيع وتوجيه ساعدا على إبراز هذا المشروع الحيوي العظيم في مدة وجيزة وبصورة كاملة.

وبهذه المناسبة تحب هذه الرئاسة، وهي التي نالت عظيم الشرف، حيث كانت محل ثقة أبي الشعب وولي عهده؛ إذ وكلا إليها الإشراف على إنفاذ هذا

---

(1) اليمامة، 17/5/1380هـ، العدد 247 ص 7، الرئيس العام لمدارس البنات.

المشروع وتوجيهه التوجيه الصحيح النافع المثمر، أن تشرح للجمهور الكريم بعض الخطوات الأساسية التي رسمتها لسير هذه المدارس لتضمن بلوغ الهدف الأسمى الذي رسمه ولاة الأمور موضحة ذلك فيما يلي:-

1. حاولت هذه الرئاسة بما قررته من مناهج وأصدرته من تعليمات أن تكون المدرسة روضة من رياض العلم والشرف والكرامة.

2. اختيرت هيئة المدرسة من النساء اللواتي ثبتت صلاحيتهن وكفاءتهن العلمية والدينية والأخلاقية حسب التحريات والشهادات الشخصية.

3. خدم المدارس كلهم نساء ما عدى البواب والمراسل فقد اشترط فيهما بأن يكونا طاعنين في السن، وأن يكونا محرمين للخادمات زيادة في الحذر وإبعاداً للشبهة.

4. جرى تأمين الكتب المدرسية لجميع الطالبات، وسيتم نقلهن بواسطة أتوبيسات يعين لها مواقف بالشوارع العامة، وسيكون المراسل وزوجته ومراقبة المدرسة بالأتوبيسات لاستلام الطالبات وتسليمهن لأهلهن يوميا وبصورة منتظمة مضمونة.

5. اتخذت جميع الإجراءات لتكميل المدارس بالمقاعد وأدوات الطبخ والأشغال اليدوية وكل ما ستتطلبه الدراسة ويحتاجه العمل.

6. اتصلت هذه الرئاسة بوزارة الصحة وهي المعروفة بالتشجيع والمساعدة بأن تعمد دكتورة تزور المدرسة في كل أسبوع مرة على الأقل، ولا شك أن وزارة الصحة ممن يتجاوب مع مطالب الجمهور ويحافظ على الصحة العامة.

7. سيعين في كل منطقة مفتشة من النساء اللواتي عرفن بالخبرة التامة والممارسة الطويلة والكفاءة العلمية، لتشرف على المدارس عن كثب وتزود الرئاسة وقسم التفتيش فيها بالتقارير الأسبوعية عن سير العمل والدراسة في جميع المدارس الأهلية والحكومية، وفعلا تعينت السيدة الفاضلة (لطيفة الخطيب) بمنطقة الحجاز والباقيات في الطريق إنشاء الله.

هذا وإن هذه الرئاسة وهي الحريصة على أن تكون هذه المدارس صورة حية لتقاليدنا العربية وشيمنا وديننا الحنيف تأمل من الجمهور الكريم بأن يساعدها على تحقيق هذه الغاية، وأنها لتستقبل بصدر رحب كل نقد وتوجيه هادف مستلهمة التوفيق والسداد في جميع أعمالها وخطواتها من الله.

وختاماً تكرر شكرها وامتنانها لجلالة الملك المعظم ورجال حكومته الأبرار.. والله نسأل بأن يكلل أعمال الجميع بالنجاح.

والله الموفق.

ابنتي بعد عشرين سنة...؟[1]

من الأعمال الكبيرة التي تستحق التقدير والإكبار: العمل الجليل الذي صنعته الدولة في هذه السنة، ألا وهو افتتاح مدارس لتعليم الفتاة، ولقد جاء افتتاح هذه المدارس في وقت مناسب جداً، فلم يحصل تردد من الآباء أو الفتيات أنفسهن أو غضاضة في نفوسهم، بل شجع الآباء فتياتهم عليها، ولاقت من الفتيات أنفسهن ترحاباً كبيرا، فكان الإقبال العظيم الذي يدل على وعي وتعطش الفتاة إلى التعليم.

وأنا لا أتصور هذه المدارس اليوم أو بعد سنة، وإنما أتصورها بعد عشر سنوات أو عشرين سنة، إذ بدأت تنتج، أتصور ابنتي سنتئذ وقد جلست بقربي بعد صلاة المغرب تقرأ معي الجاحظ وابن الرومي والعقاد، وتتذاكر معي الأحداث السياسية والاجتماعية في العالم في الصين وأمريكا، وفي الهند وأندونيسيا، وأسمعها وقد أبدت رأيا ونقضت آخر، وأني لآنس منها فهما لما تقول، وأفكارا صائبة لما تقول. أتصورها وقد غمرتها روحا وطنية، وشاركت الرجل في آماله، وباركت الخطوات التي تسير عليها الدولة.

ثم أتصورها وقد أصبحت زوجة، فأجد في غرفتها رفا أنيقا يضم مجموعة من الكتب المفيدة، وألمح في جانب آخر، رفاً أنيقاً آخر، يظهر أنه يلاقي عناية خاصة من ربته فيسوقني الفضول إلى أن أتناول كتابا منه، فإذا هو في علم التغذية، وآخر في الحمل والولادة، وآخر في تربية الطفل. أجل إنها مجموعة مختارة من الكتب التي تبحث في علم التغذية وتربية الطفل والعناية به، فأشعر بالسعادة تغمرني، فقد وجد أحفادي أما سوف تنشئهم تنشئة ممتازة على أسس علمية. أحفاد أصحاء ترعاهم أم عندها خبرة ومعرفة في علم التغذية والتربية. أم

---

(1) اليمامة، 24/ 5/ 1380هـ، العدد 248، ص 7، أبو القاسم.

تغرس فيهم الروح الوطنية والإسلامية، فيحصل التكافؤ بين المدرسة والبيت، لإعداد رجل المستقبل.

فانظر حولي فأجد أن ابنتي ربة بيت بحق وحقيق. قطع الأثاث مرتبة ترتيبا يدل على الذوق، والمطبخ عصري نظيف تفخر به ربة البيت. وأمد بصري إلى أطراف البيت وممراته وفنائه فأجده نظيفا. كل شيء حولي نظيف وجميل ومرتب ترتيبا يدل على الذوق.

أجل. إني أتصور ذلك اليوم الذي سوف تخرج لنا هذه المدارس، فتاة متعلمة، وأماً واعية، وزوجة تعرف واجباتها تجاه زوجها وبيتها وأولادها، فهنيئاً للجميع في ذلك اليوم المشرق السعيد.

وبعد، فهل تحسبون هذا من نسج الخيال؟! أبدا.. وإني لأراهن، فهل تجرؤون! ..

نقد وتوجيه ؟ !(1)

قرأت في مجلة راية الإسلام في عددها الخامس لشهر ربيع الثاني عام 1380هـ كلمة بعنوان- نقد وتوجيه- بقلم محمد بن عبدالله بن حمدان، ينتقد الكاتب فيها ما جاء في العدد 236 المؤرخ في 28-2-1380هـ من صحيفة اليمامة الغراء تحت عنوان: (لا تئدوا بناتنا في المهد).

ذهب الكاتب ابن حمدان إلى اتهام الكاتب بالزندقة والخروج عن التقاليد، واتهمه أيضا بالدعوة إلى الشذوذ الاجتماعي، والدعوة إلى الإباحية..؟

هذا في نظر الكاتب ابن حمدان، لكنها في الحقيقة الواقعية التي لا يرضاها ابن حمدان هي دعوة إلى الانطلاق والتقدم والعمل لمؤازرة الرجل.

أجل إن هذه الحقيقة الناصعة وهذا العمل لا يصير فيه فسادا وانحلالا.

ودعني أسألك يا هذا: أتعرف الزعيمة المغفور لها هدى هانم شعراوي رئيسة هيئة الاتحاد النسائي؟

أتعرف يا هذا أنها أول من رفعت راية الكفاح والجهاد في شجاعة وقوة وإيمان؟

هل سمعت بهذه الفتاة الجزائرية.. حينما دوى اسمها في أرجاء العالم بأسره من شرقه إلى غربه.. إنها حقا كانت رمزا للفتاة العربية المؤمنة بكيانها والمناضلة من أجل عزة شعبها، والمدافعة عن كرامة أمتها.

هل سمعتها وهي تسقط جريحة تحت رصاص جنود فرنسا المجرمة؟ أتعرف من هي؟ إنها الفتاة المجاهدة.. إنها جميلة أبو حريد.

إنها الفتاة الجزائرية، والتي لم تبلغ الثانية والعشرين من عمرها، وإنها الفتاة المناضلة في صفوف التحرير، وهي المسؤولة الأولى.

---

(1) اليمامة، 1/6/1380هـ، العدد 249، رشيد سلهوب الخالدي.

أفهمت يا هذا: أتعرف يا هذا !.. إنها المرأة...

أرأيت يا ابن حمدان.. أرأيت كيف بلغت البلدان المتقدمة ما هي عليه الآن، من حضارة، وعلم ، وتكتيك، ولو لم تكن المرأة بجانب الرجل تشد أزره لما نهضت وتقدمت..؟

أعتقد أنك تسمع بها، ولكن دعني أسألك ثانية: أأبصرت بكلتا عينيك ما حققه عاهل البلاد الأمين وعميد الإصلاح العظيم جلالة الملك سعود، وما قام به في مضمار العلم وخدمة أمته، وما قدمه للمجتمع النسائي بفتح أبواب دور التعليم، لتعليم المرأة، وكان جلالته يرمي لهذه الخدمة الاجتماعية لتثقيف المرأة لما عليها من واجبات نحو مليكها ووطنها، وبذلك تستطيع أن تثبت وجودها وتتولى أمر نفسها، وتدافع عن كيانها وشخصيتها مع الوقت، حتى تنزل في ميادين الخدمة الاجتماعية في مختلف صورها وألوانها، وأن تكون مشاركة للرجل جنباً إلى جنب في الكفاح الوطني، لأن المرأة نصف المجتمع، ولأنها كذلك فهي تشكل في الإطار الإنساني العام نصف الخليقة، ولتعصبك دعني أسألك: سؤالي الثالث والأخير.

هل اطلعت على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر من اللجنة المسماة بنفس الاسم والذي وافقت عليه الجمعية العامة للأمم المتحدة في 10 ديسمبر عام 1948م، إن لم تطلع عليه فالضرورة تقضي علي سرد ما أوصى به المجتمعون:

أوصت الجمعية أو المجتمعون من ممثل الدول في سان فرانسيسكو في 23 ديسمبر سنة 1945م بإنشاء لجنة خاصة بحقوق الإنسان تكون مهمتها إصدار إعلان دولي بهذه الحقوق وعقد اتفاقات دولية عن مسائل مختلفة من بينها ما يتعلق بمركز المرأة وحالتها، على أن يراعى في الإعلان هذه الحقوق. عدم التمييز بسبب الأصل أو الجنس أو اللغة، كما كلفتها الأمم المتحدة بتقديم تقريرها للمجلس الاقتصادي والاجتماعي للجمعية العامة للتصديق عليه، وفعلاً أنشأ المجلس الاقتصادي والاجتماعي للجنة المذكورة، ولم يكتف بذلك، بل أنشأ إلى جانبها في نفس الوقت لجنة فرعية أخرى خاصة بإلغاء التمييز بين الأفراد بسبب الأصل أو الجنس أو اللغة الخ.

حول تعليم المرأة[1]

بمزيد من الفرح والسرور تلقينا هذا النبأ الذي أثلج صدورنا، وملأ نفوسنا بعظيم الأمل لمستقبل بناتنا. نعم إنه نبأ ابتداء الدراسة رسمياً في مدارس البنات، ولم أتمالك نفسي من الفرحة أن أتناول القلم، فأسطر هذه الكلمة التي لم أرد منها بعد التعبير عن أثر هذا النبأ السار، إلا أن أشير إلى فكرة عرضت لي أرجو أن يكون في إبدائها ما يدفع إلى دراستها ثم إبرازها إلى مجال التنفيذ.

من المعلوم أنه لا يمكن للفتاة أن تنال نصيبها من العلم والثقافة الخلقية القويمة ما لم يكن هناك تعاون وثيق بين المدرسة والبيت الذي تمضي فيه الفتاة جُل وقتها، فإذا لم تجد الفتاة في هذا البيت ما يعينها ويوجهها توجيهاً سليماً في القول والفعل، فإنها لا تستفيد من تعليمها الفائدة الكاملة، فإذا كانت تتلقى في المدرسة البحث على الأخلاق الفاضلة كالثقافة وحسن المعاملة، ولكنها تجد في بيتها ما يخالف ذلك، فإن أثر البيت سيكون أقوى وأعمق أثراً في نفسها، ومما يؤسف له أن أكثر ربات البيوت في بلادنا ينقصهن الكثير من التعليم والتربية الصحيحة، وهذا سيؤثر في بناتهن ولكن متى حاولنا تخفيف هذا الأثر فإننا نكون قد عملنا عملاً له منفعتان.

إن الطريقة التي اعتقد أنها ستكون ذات فائدة كبيرة في هذه الناحية، هي أن نوجد صلة قوية بين المدرسة وبين ربات البيوت من الأمهات، وذلك بتخصيص أوقات منتظمة يحضرن فيها إلى المدرسة، يلقي عليهن في تلك الأوقاف من الإرشادات والتوجيهات ما يجعلهن يدركن فائدة التعليم وغايته، ويطلعن على أحوال بناتهن في المدرسة هذا من جهة الأمهات، وهناك فتيات قد تجاوزن السن المحددة لدخول المدارس التي فتحت، ومن غير العدل أن يحرمن من التعليم غير أن طريقة تعليمهن سأتحدث عنها في كلمة أخرى إن شاء الله.

---

(1) اليمامة، 22/6/1380هـ، العدد 252 ص 9، أم مي.

حديث المرأة

حول تعليم المرأة[1]

إنني حين أكتب هذه الكلمة أتصور فتيات في مقتبل أعمارهن، بل في غرة شبابهن وقد حرمن مسايرة الركبين ركب التعليم وركب الحياة الزوجية فقد فاتتهن السن المقررة لدخول المدرسة، فصرن حبيسات الجهل فأبواب الحياة الزوجية قد أغلقت في وجوههن، وحل محلهن أجنبيات، وفتحت المدارس، فلم ينلن نصيبهن من العلم.

إن هؤلاء الفتيات في أشد الحاجة إلى التعليم، وبعد. فإن لنا كبير الأمل في القائمين على مدارس البنات، من رئيس كريم ومديرات قديرات لا يخفى عليهن ما تعانيه الفتاة من الحرمان، فيا حبذا لو فتح لهن مدرسة يدرسن فيها المبادئ، ويتعلمن ما ينفعهن، مما يناسب لهن مثل الأشغال اليدوية والتدبير المنزلي.

نعم. إنني أعرف الجواب، إنه سيقال: إن هذا الاقتراح سابق لأوانه، فمدارس البنات حديثة النشأة، وهي في أول الطريق، ولكنني أقول: إننا إذا تداركنا هذه الفتاة البريئة، وأنقذناها من براثن الجهل، وفتحنا أمامها أبواب العلم، فإننا نحقق غرضين كريمين بعمل واحد وتداركنا بعض ما فات علينا.

إنني أتمنى أن أرى اليوم الذي أرى فيه فتاة الجزيرة العربية، وقد نالت حقها من التعليم في كل مدينة وفي كل قرية، بل وفي كل بيت كبيرا كان أو صغيرا.

أكتفي بهذه الكلمة القصيرة. راجية أن ينظر إليها، فيحل التنفيذ محل الاقتراح، وبمناسبة تحدثي عن الفتاة، أقدم خالص تحياتي وشكري الجزيل إلى السيدة الفاضلة (أ. الجوهري) المشرفة على ركن الأمهات، لما لاحظته من تقدم

---

(1) اليمامة، 7/7/1380هـ ، العدد 254، أم مي.

ونجاح هذا الركن، وأحب أن أقترح عليها أن تفتح بابا تعالج فيه ما يعترض حياة الفتاة من سن الثامنة إلى الثامنة عشر، لأن هذه السن سن تتطور فيه حياة الفتاة، وتحتاج إلى تربية وعناية خاصة، وحيث إن كثيراً من الأمهات يجهلن معاملة بناتهن في هذه السن التي أعتقد أنها من أخطر المراحل التي تمر بها الفتاة.

وفقنا الله جميعاً لما فيه الخير لجزيرتنا وللأمة العربية جميعا إن شاء الله.

القصيم ومدرسة البنات[1]

أطل علينا هذا العام وأطلت معه بشرى حبيبة إلى النفوس، هي بشرى افتتاح مدارس البنات وكان نصيب منطقة القصيم بمدنها الكبيرة وقراها المتناثرة: مدرسة واحدة قررت الإدارة افتتاحها في مدينة (بريدة)، وكنا نتوقع أن يكون نصيب منطقة القصيم أكثر من ذلك، وكان أن طالب بعض الإخوان بافتتاح مدرسة في مدينة (عنيزة).

وأذكر أيضا إنني قرأت كلمة وجهتها فتاة من (عنيزة) إلى فضيلة المدير العام تشرح له فيها ما تلاقيه الفتاة في عنيزة، وما يلاقيه ولي أمرها من المصاعب المادية وغيرها في سبيل تعليم القراءة والكتابة وما يتعلق بأمور دينها.

ولكن هذه الكلمات لم تجد صداها عند الإدارة العامة، حيث لزمت الصمت حيال ذلك، وكان تفسير بعض الناس لذلك أن الميزانية لا تتحمل أكثر مما قرر. أما نحن فقد ذهبنا إلى أبعد من ذلك، وكنا نقول: ربما كان وراء صمت الإدارة مفاجأة سارة لنا، فلعل الإدارة تعيد النظر في ميزانيتها، ولو أدى ذلك إلى الضغط عليها، لعلها تتحمل زيادة مدرسة ثامنة تكون من حصة مدينة عنيزة، ولكن يظهر أننا غرقنا في خيالاتنا، فقد مرت الأيام والأسابيع، ونحن سارحون مع تخيلاتنا، فقد مضي حوالي الشهرين على افتتاح مدارس البنات، وكان ذلك كافيا لإقناعنا بأن ما ذهبنا إليه مجرد خيالات، ليس لها في عالم الحقيقة أثر، والآن سنطرد عن أفكارنا هذه الخيالات، فهذه مدرسة القصيم الوحيدة لا ندري ما هو مصيرها؟

لقد قرأنا أخيرا في صحيفة القصيم أن مدرسة القصيم للبنات والتي تقرر افتتاحها في مدينة بريدة، أن هذه المدرسة قد جمدت، وأسدل عليها الستار،

---

(1) اليمامة، 7/7/1380هـ، العدد 254، سليمان المحمد المسلم.

وعلل الكاتب ذلك بأن هناك بعض الأسباب حالت دون افتتاحها في بريده، ونحن مع إيماننا بأن كل من مدينة بريدة ومدينة عنيزة تحتاج إلى أكثر من مدرسة للبنات؛ لكثرة سكانها ورغبة فتياتهما لورود منهل العلم العذب، نقول مع إيماننا بذلك: هل هناك أسباب قوية جعلت المديرية العامة لمدارس البنات تعدل عن فتح أي مدرسة للبنات سواء في بريدة أو في عنيزة؟

لقد مضى وقت طويل على افتتاح مدارس البنات، ومدرسة القصيم لا تزال في كفة القدر، ونحن لم نكتب إلا بعد مضي وقت كفيل بإزالة الأسباب التي حالت دون افتتاحها في مدينة بريدة.

إن عجلة الزمن لا تتوقف، والأيام تذهب بسرعة، فماذا تنتظر الإدارة العامة بعد ذلك. إن مدرسة القصيم للبنات لم يكن الأمر بافتتاحها متأخراً عن بقية المدارس الأخرى، لذلك نستطيع أن نقول: إن الإدارة العامة لا بد وأنها قد أعدت العدة لهذه المدرسة كأخواتها في باقي مدن المملكة، وأنها أعدت ما تحتاجه من أثاث ومدرسات وغير ذلك، ولم يبق عليها إلا أن تبحث عن بناية تكون مقراً لهذه المدرسة، وهذا شيء متوفر، ونحن نريد أن نستحث الإدارة العامة بسرعة افتتاح هذه المدرسة، ولا نقول بتفضيل مدينة على أخرى بل نقول: يجب أن يبت في أمرها بسرعة.

أجل نريد أن نقول: يجب أن تفتح مدرسة القصيم، ولتكن في بريدة أو في عنيزة أو في سواهما من مدن القصيم.

وأخيرا؛ هل تتفضل الإدارة العامة بتنوير الأذهان عما جد من أمر هذه المدرسة وتزيل ما علق بأذهاننا من تساؤلات؟

إننا لا نشك في أنها فاعلة ذلك فقد آن الأوان لذلك..

وطنك[1]

أحييك يا وطني، وأحييكن أخواتي جميعاً كما أحيي مديرتنا ومعلماتنا المخلصات.

أخواتي. الحمد له الذي جعل لنا وطناً نعتز به، ونرفع رأسنا بفخر حين ذكره، فمن لاوطن له فحياته ذليلة، وهو طريد شريد بين الأوطان، فالوطن هو عماد العزة والكرامة، وهو عماد الاستقرار والحياة، فليكن يا أخواتي يا بنات هذا الوطن وأمهات أبنائه.

أقول بأنكن اليد الأولى العاملة على إنهاضه ورقيه. نعم. أنتن المحرك، والدافع الأول لبلوغ الأهداف، والوصول إلى مستوى أفضل، فالواجب والوطنية تحتم عليكم تحمل القسم الأكبر من المسؤولية بشأن هذا الوطن الحبيب الغالي، فباجتهادكن الدائم تستطعن مكافحة الفقر إلى العلم، وبنشاطكن ونظافتكن تتغلبن على الأمراض المتفشية، وبالأمانة والصدق تعملن على فع مستوى الأخلاق إلى درجة أرقى.

إن الفتاة السعودية اليوم غيرها بالأمس، وغدا غيرها اليوم، فبعد أن كانت جاهلة لاتعرف شيئاً عن مسؤولية بيتها وأبنائها وزوجها على الوجه الأصح، أصبحنا نرى ونشعر بأنها بين يوم وآخر لاتدع مجالاً إلا وتسلكه لتضاهي أختها في البلاد العربية الأخرى، ولن تكون عما قريب أقل منها إن لم تكن مثلها.

وبعد اليوم لن نسمح لامرأة أن تتفوق على المرأة السعودية بإذن الله، والله الموفق.

---

(1) اليمامة، 5/ 8/ 1380هـ، العدد 258، الطالبة فوزية أبوخالد. جمعية الخطابة بإشراف سلوى نجم، وقدمت له الصحيفة بقولها: هذا ثاني خطاب تلقيه إحدى التلميذات بالمدرسة الابتدائية بالرياض على جمع من زميلاتها بالمدرسة في الأسبوع الماضي.

حول التعليم في مدارس البنات[1]

مما لا ريب فيه أن العلم أصبح في عصرنا الحاضر كالهواء والماء ضرورة لكل فرد من الجنسين، لذلك يجب أن نهتم جميعاً بالشؤون التعليمية في كل فرع من فروعها.

ورئاسة مدارس البنات كهيئة تعليمية حديثة الوجود في هذه البلاد يجب عليها أن تقبل بصدر رحب كل ما ينشر من نقد أو اقتراح يقصد منه المصلحة العامة فحسب. عليها أن تجيب على أي سؤال يوجه إليها. وأن تضع حداً لما يشاع حول التعليم في مدارس البنات، فذلك تعاون من أجل هدف سام يقصد الجميع تحقيقه.

فنحن نريد أن نعرف مثلا مبلغ الصحة مما يشاع حول المؤهلات العلمية والمهنية للمدرسات، وما صحة الزعم بأن أغلبهن لم ينلن إلا قسطا بسيطا من التعليم، وأن الكثير منهن لا يحملن أي مؤهل تربوي ولا يفهمن أبسط القواعد العلمية لمهنة التدريس، فإذا كان ذلك صحيحاً . ونرجو أن لا يكون . فإن من المسلم به في عصرنا الحاضر أنه لا يجوز لأي كان أن يمتهن التدريس مهما بلغ من العلم إلا بعد معرفة لأبسط القواعد العلمية لهذه المهنة، ويمكن لهذه الرئاسة أن تستعين بالكفاءات التعليمية في البلاد العربية الشقيقة، وذلك عن طريق الهيئات التعليمية في تلك البلاد كما تفعل وزارة المعارف بالنسبة لمدارس البنين، ولكن لا يجب أن يترك باب التدريس مفتوحا أمام كل من هب ودب.

هذا وبرامج التعليم، لماذا يحذف منها مواد لا بد من الإلمام بمبادئها لأي طارق لباب العلم ذلك كالهندسة والجغرافيا؟ لعل من أغرب الأقوال: إجابة فضيلة الرئيس على سؤال الأستاذ عبدالله عبد الجبار حول ذلك. قال فضيلته: إن

---

(1) اليمامة، 22/ 11/ 1380هـ، العدد 273 ص8، عبد الملك بن عبدالله الصحابي.

الهندسة ستدرس ضمن درس الخياطة، ولا أعلم العلاقة بين الهندسة والخياطة؟!

يجب أن نذكر فضيلة الرئيس أننا نريد من مدارس البنات تخريج جيل من نساء المستقبل الصالحات المثقفات، أما تخريج الطاهيات أو الخياطات فأمر ثانوي أو بمعنى آخر أقل أهمية.

وهناك أمر آخر:

ذلك هو ما تناقلته الألسن من أن الرئاسة أصدرت تعليمات تقضي بعدم الإيعاز إلى الطالبات بإجراء أي تغيير أو تحديد للزي والملابس، فإذا صح ذلك فإننا قد نلتمس العذر للرئاسة بأنها تقصد من ذلك واجب التمسك بالتقاليد والأحكام الدينية، ولا غبار على ذلك.

ولكن ألا يرى فضيلة الرئيس بأنه من الأفضل تعديل صيغة هذه التعليمات بحيث يمكن لإدارة المدرسة عند الضرورة تحديد زي معين شريطة مراعاة ما يجب مراعاته، وفي بعض الأحيان حيث ترى صبية في الثامنة أو العاشرة أو أكبر من ذلك، وقد ذهبت إلى المدرسة تحمل المجوهرات والعقود ويتخذ، بعض «أغنياء الحرب» وأشباههم ذلك وسيلة لحب الظهور والتباهي، ونجد في نفس الوقت طالبة أخرى رثة الملابس والهيئة، فإزاء تعليمات الرئاسة لا يمكن لفت نظر ولي أمر أي من الطالبتين إلى أن ما يناسب الفتاة بحكم سنها ولكونها طالبة، هو الزي البسيط الذي يتوفر فيه الذوق والنظافة، يضاف إلى ذلك أن الآراء التربوية الحديثة تنصح بتوحيد الزي المدرسي، وذلك ما هو معمول به في مدارس ومعاهد البنات في معظم الأقطار، لما لذلك من أهمية تربوية تنعكس آثارها على نفسية الطالبات، وهناك بعض المدارس الخاصة التي يمكن أن تكون أنموذجا لما نريد أن يصل إليه المستوى في مدارس البنات الحكومية، فهناك «مبرة الملك عبد العزيز» التي أنشأها سمو الأمير طلال حيث نلمس الجهد المبذول من قبل منشئها ومن قبل إدارة المدرسة، حتى وصلت إلى مستوى محمود من حيث الكفايات المهنية للمدرسات ومؤهلاتهن التربوية، ومن حيث المنهج التعليمي الذي تسير عليه هذه المدرسة، ومن حيث الوسائل العلمية الحديثة للتربية المعمول بها، وفي اعتقادي أن التربية تسبق التعليم من حيث الأهمية.

يا فضيلة الرئيس: إنه لا يكفي أن نستعين بأزهري أو آخر ليضع برامج التعليم، ويخطط سيره، بل يجب الاستعانة بقدر الإمكان بذوي الاختصاص

والكفاءة، ولا تظن يا فضيلة الرئيس أنني أقصد بذلك تعريضا - حاشا لله-، وإنما قصدت بسط ما يقال عن هذه الرئاسة وبرامجها ونظمها، وخير للمسئول معرفة رأي المواطنين وأقوالهم، فمن خلال ذلك يكون التعاون من أجل البناء، وكذا يكون الإخلاص، وبذلك تتضح حقيقة ربما اختلطت مع غيرها في ذهن المواطن، فحين يضع المسؤول يده في يد المواطن ويستطلع رأيه فإن ذلك من أهم عوامل النجاح بالنسبة له.

قد تقول يا فضيلة الرئيس: إن كل ما ذكر في هذه المقالة سابق لأوانه، وإننا لم نزل في البداية، ولكننا لا نريد أن نظل في البداية، بل نريد أن نلحق ونعوض ما فات بجهد أكثر، حيث إننا متأخرون في أكثر الميادين، ومنها ميدان التعليم تأخراً بارزاً؛ وإن كان ذلك لا ينفي أننا سائرون إلى الأمام، إلا أننا يجب أن نضاعف من جهدنا ووقتنا، فما هو مفروض أن يتم في عشر سنوات، نحاول إنجازه في ثلاث أو سنتين ذلك، حتى نلحق ونعوض ما فات، فلا نترك لعامل الزمن وحده تسيير الأمور، فإذا لمسنا أننا بدأنا في مسايرة ركب الحضارة الإنسانية حينئذ يكون في هدوء وفي اعتدال.

تعالوا لنتساءل[1]

إنه لمن المؤسف حقاً أن نسمع أن بعض الآباء في مدينة بريدة عارضوا موضوع افتتاح مدرسة للبنات في هذه المدينة. الحقيقة أننا إذا فكرنا في هذا الموضوع وجدنا أن نتيجة فتح تلك المدرسة، هو إسعاد فتياتنا بنور العلم الذي يبعدهن عن ظلام الجهل، ويجعلهن يفكرن بما هو منوط بهن من الحقوق والواجبات.

ثم تعالوا لنتساءل مرة ثانية عن الدروس التي سوف تتعلمها فتياتنا؟ بالطبع، نجدها مقصورة على الدروس الدينية والتربوية فقط، وما دام أن الدروس مقصورة على ذلك، فنحن لسنا على حق في معارضتنا لافتتاح تلك المدرسة.

ثم تعالوا لنتساءل مرة ثالثة:

هل تعليم الفتيات يتنافى والشريعة الإسلامية؟ وهل تعليم الفتيات يمس الشعور والكرامة؟

الجواب: بالطبع .. لا.. إذن، فلماذا نعارض فتح هذه المدرسة التي كنا ننتظر افتتاحها بفارغ الصبر، والتي كان لها أن تجعل فتياتنا مثال الفتيات المهذبات العارفات لما أوجبه الله عليهن!

أيها الآباء، إذا كنتم على إصراركم بعدم الموافقة على فتح تلك المدرسة، فقد تكون الفتاة معذورة إذا ساءت تصرفاتها، وهنا يكون الذنب ذنب ولي أمرها.

ولكنني أعتقد اعتقاداً جازماً أنكم سوف لا ترضون بحرمان فتياتكم من نور العلم الذي يجعلهن سعيدات في حياتهن، وعارفات لواجبات دينهن ودنياهن.

أوجه ندائي هذا إلى أولئك الآباء، وإلى المسئولين عن مدارس البنات، راجياً أن يعيدوا النظر حول هذه المدرسة التي حرمت منها هذه المدينة التي تضم الآلاف من السكان.

---

(1) اليمامة، 10/7/1381هـ، العدد 304 ، علي بن صالح الرميح.

مدارس البنات[1]

في المؤتمرات الدولية التي تبحث شؤون التربية والتعليم كان ممثلو المملكة يواجهون دائماً بسؤال تقليدي: لماذا لا تتعلم الفتاة السعودية؟ ولعل كل فرد في هذا الوطن له علاقة فكرية وثقافية كان يواجه مثل هذا السؤال.

أما الآن، وبعد أن أقمنا مدارس البنات، ونجحت نجاحاً ملحوظاً يدل من جانب على إخلاص القائمين على شؤون تعليم الفتاة، ويدل من جانب آخر على تطور وعي هذا الشعب وإحساسه بأهمية التعليم في إيجاد المرأة التي تنهض بواجبها في بناء الأسرة، فقد أصبحنا نواجه سؤالا آخر هو: لماذا ينفرد تعليم البنت برئاسة خاصة؟ والذين كانوا يتوجهون بذلك السؤال في الماضي أو بهذا السؤال الآن ليسو كلهم ممن يتصفون بالفضول والتطرف، وإنما كثير منهم يدفعهم حسن القصد.

وأنا هنا أجد من المناسب أن أثير هذا الموضوع لأن أمراً قد صدر بتكوين لجنة تمثل فيها وزارة المعارف ورئاسة تعليم البنات لوضع المنهج الدراسي الخاص بمدارس البنات.

ولا نعلم حتى الآن ما ستنتهي إليه اللجنة.

واقترح أن تبحث اللجنة فيما تبحث مسألة انفراد شؤون تعليم البنت برئاسة مستقلة وخطورتها في ميدان التربية والتعليم.

هذا إذا كانت تستطيع ذلك وكان من اختصاصها، وإلا فإن الأمر يتطلب أن تتحمل مسئوليته جهة أخرى، يمكنها أن تنهض بدراسته وإصدار قرار فيه، وذلك لأن التربية والثقافة والتعليم غاية كبرى ينبغي أن تتمثل فيها كل الاحتياجات لحياة

(1) اليمامة، 1/8/1381هـ ، ع307، ص 1، 8، عبدالله المنيعي.

الجماعة، وأن تتمثل فيها كل الاحتياجات لبناء المجتمع، وأن تتمثل فيها أحسن الأساليب في السلوك وفي الإرادة وفي العمل.

وهذه الغاية الكبرى في كلياتها وجزئياتها الواسعة المتزايدة، لأنها تربية وثقافة وعلم- ينبغي أن ينهض بها.

المسؤولون يتجاوبون مع الجمهور حول مدرسة للبنات في بريدة[1]

جاءنا من الرئاسة العامة لمدارس البنات ما يلي:

إشارة لما نشر في صحيفتكم الصادرة بعدد (304) في 1/ 7/ 81هـ تحت عنوان (تعالوا لنتساءل) والذي يطالب فيه كاتبه (علي بن صالح الرميح) بافتتاح مدرسة البنات في بريدة.

نفيدكم أننا حريصون كل الحرص على أن يعم التعليم مدن وقرى هذه المملكة، تنفيذا للرغبة الملكية الكريمة، فمنذ أن تأسست هذه الرئاسة عام 1380هـ أدرجت في موازنتها مدرسة للبنات في بريدة، وأخذت في وضع الترتيبات اللازمة لافتتاحها، غير أنها تلقت أوامر من الجهات السامية بإرجاء افتتاحها، نظراً لما أبداه أعيان البلدة وبعض الأهالي من رغبة في ذلك، وحيث إنه لا يزال يرد إلى ديوان هذه الرئاسة كثير من رسائل الأهلين ما بين مؤيد ومعارض، فقد كتبنا للمقام السامي نستطلع رأيه في الموضوع ولا زلنا بانتظار ذلك، هذا والله الموفق.

---

(1) اليمامة، 8/ 8/ 1381هـ، العدد 308 ، الرئيس العام لمدارس البنات.

المصادر والمراجع:

1 ـ DIWAN AUS CENTRALABIEN

2 ـ الأثر الباقي من خطى الماضي، د.عثمان الصوينع، ط 1، 1429هـ.

3 ـ الأحوال السياسية في القصيم ، د.محمد السلمان، ط2، 1420هـ.

4 ـ الآداب الشرعية، ابن مفلح المقدسي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعمر القيام، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط3، 1419هـ.

5 ـ الإدارة التعليمية في المملكة العربية السعودية، د.حمد السلوم، ط1، 1406هـ.

6 ـ أساطير أوربا عن الشرق، رنا قباني ، ط3، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1993م، ترجمة صباح قباني.

7 ـ الإصابة في استحباب تعليم النساء الكتابة، محمد بن حمد العسافي، تحقيق إبراهيم التميمي، دار كنوز إشبيليا ـ الرياض، ط1، 1429هـ.

8 ـ أضواء البيان، محمد الشنقيطي وتتمته لتلميذه عطية سالم، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت، ط1، 1417هـ.

9 ـ أضواء على تعليم المرأة المسلمة، منير محمد غضبان، المركز العالمي للتعليم الإسلامي ـ مكة، دط، دت.

10 ـ أكذوبة تُردّد في الصحافة السعودية مقال للشيخ سليمان الخراشي في موقع صيد الفوائد.

11 ـ الأمير مساعد بن عبدالرحمن، د.عبدالرحمن الشبيلي، ط1، 1425هـ.

12 ـ إهابة، عزيزة عصفور، اعتنى بنشره سليمان الخراشي، دار القاسم ـ الرياض، ط1، 1424هـ.

13 ـ الإيضاح والتبيين لما وقع فيه الأكثرون من مشابهة المشركين، الشيخ حمود بن عبدالله التويجري، ط2، 1405هـ، والطبعة الأولى منه في 1384هـ.

14 ـ بدايات الحياة العلمية والأدبية، د.نجاح الظهار، دار المحمدي، ط1، 1424هـ.

15 ـ بريدة حاضرة القصيم، الدكتور حسن الهويمل، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، 1402هـ.

16 ـ بريدة دراسة في الخصائص الطبيعية والسكانية، الدكتور محمد الربدي، 1413هـ.

17 ـ بريدة للأستاذ ماض مجيد وحاضر مزدهر ومستقبل مشرق، إبراهيم المعارك، مؤسسة روابي وهطان، 1407هـ.

18 ـ البليهي والملك فهد وأول مدرسة للبنات... مقال للأستاذ منصور النقيدان في موقع صحيفة عاجل الإلكترونية.

19 ـ تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني، عبدالرزاق الهلالي، مطبعة المعارف ـ بغداد، دط، 1975م.

20 ـ تاريخ التعليم في العراق في عهد الانتداب البريطاني، عبدالرزاق الهلالي، دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد، ط1، 2000م.

21 ـ تاريخ التعليم في الكويت والخليج، صالح جاسم شهاب، دط، دت.

22 ـ تاريخ التعليم في المملكة، الدكتور علي شلبي، دار القلم ـ الكويت، ط1، 1407هـ

23 ـ تاريخ التعليم في دبي، د.غازي الشيخ، ط1، 1425هـ.

24 ـ تاريخ التعليم في عهد الملك فيصل، د.بصيرة بنت إبراهيم الداود، دار الملك عبدالعزيز، 1429هـ.

25 ـ تاريخ الملك سعود الوثيقة والتاريخ، د.سلمان بن سعود بن عبدالعزيز، دار الساقي، ط1.

26 ـ تاريخ الوهابيين منذ نشأتهم حتى عام 1809م، لويس كورانسيه ، ترجمة

د.محمد خير البقاعي ود.إبراهيم البلوي، دارة الملك عبدالعزيز، 1426هـ
27 ـ التحدي الكبير، نهاد الغادري، دن، 1966م.
28 ـ تذكرة أولي النهى والعرفان، إبراهيم بن عبيد، مكتبة النور.
29 ـ ترحال في صحراء الجزيرة العربية . داوتي، تشارلز م . دواتي، ترجمة صبري محمد حسن، المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة، ط 1، 2005م .
30 ـ تطور تعليم البنت، أحمد القماطي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، ط1، 1393هـ.
31 ـ تطور نظم تعليم الفتاة في دولة البحرين، مريم السليطي، وزارة التربية والتعليم، 1988م.
32 ـ تعليم البنات بالمملكة العربية السعودية، عبدالملك بن دهيش، ط1، 1419هـ
33 ـ تعليم البنات بين ظواهر الحاضر ومخاطر المستقبل، أحمد محمد جمال، نادي الطائف الأدبي، ط1، 1409هـ.
34 ـ تعليم البنات خلال اثنين وثلاثين عاما، الرئاسة العامة لتعليم البنات، 1412 هـ.
35 ـ تعليم البنات خلال مائة عام، الرئاسة العامة لتعليم البنات، دط، 1419هـ.
36 ـ تعليم البنات دراسة دولية مقارنة عن الهدر التعليمي بين البنات والبنين، اليونسكو. فرنسا، ط1، 1981م.
37 ـ تعليم البنات دراسة دولية مقارنة عن الهدر التعليمي بين البنات والبنين، إيزابيل ديبلي اليونسكو. فرنسا، ط1، 1981م.
38 ـ تعليم البنات في المملكة العربية السعودية، الرئاسة العامة لتعليم البنات، 1412هـ.
39 ـ تعليم الفتاة السودانية بين التمييز والتميز، د.سعاد عيسى، شركة ماستر التجارية، 2002 م.
40 ـ تعليم الفتاة بين التفرد والمحاكاة، علي بن مرشد المرشد، المجلة

العربية، 1420هـ.

41 ـ تعليم الفتيات لاسفور المرأة، محمد الحجوي الثعالبي الفاسي، تحقيق محمد بن عزوز، مركز التراث الثقافي المغربي، 1425هـ.

42 ـ تعليم الفتيات، محمد الفاسي، تحقيق الدكتور محمد بن عزوز، دار ابن حزم ـ بيروت، ط1، 1425هـ.

43 ـ تعليم المرأة في الدول الإسلامية دراسة مسحية تشخيصية، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، 1418هـ.

44 ـ تعليم المرأة في الكويت، د.أمل الصباح، جامعة الكويت، ط1، 1989م.

45 ـ تعليم المرأة في المملكة العربية السعودية خلال مائة عام، الرئاسة العامة لتعليم المرأة، إشراف الدكتور علي المرشد.

46 ـ التعليم في الجمهورية اليمنية، د.علي با عباد، مكتبة الإرشاد ـ صنعاء، ط6، 1423هـ.

47 ـ التعليم في القصيم للشيخ صالح العمري، تحقيق د.عمر العمري، ط1، 1418هـ.

48 ـ التعليم في عهد الملك سعود دراسة تاريخية وثائقية، د.حصة الزهراني، دارة الملك عبدالعزيز، ط1، 1427هـ.

49 ـ التعليم في مكة والمدينة ،د.محمد الشامخ، دار العلوم ـ الرياض، ط1، 1393هـ. .

50 ـ جزيرة العرب في القرن العشرين، حافظ وهبة، لجنة التأليف والنشر ـ القاهرة، ط5، 1387هـ.

51 ـ الحركة الأدبية المملكة العربية السعودية، بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين ـ بيروت، ط4، 1985م.

52 ـ حريق الرئاسة .. حريق الأخلاق مقال الشيخ سلمان العودة في موقع الإسلام اليوم.

53 ـ حوار الدكتور صالح الوشمي مع الشيخ عبدالله السليم رحمهما الله (حوار مسجل بتاريخ 25/ 5/ 1405هـ).

54 ـ حوار الدكتور صالح الوشمي مع الشيخ فهد السعيد رحمهما الله (حوار مسجل بتاريخ 25/ 5/ 1405هـ).
55 ـ حوار للأستاذ محمد القشعمي مع الشيخ إبراهيم العبيد الواعظ والمؤرخ (حوار مسجل بتاريخ 19/ 10/ 1422هـ).
56 ـ الحياة العلمية والثقافية والفكرية في المنطقة الشرقية، د. عبد الله ناصر السبيعي ، ط2، 1409هـ.
57 ـ خطبة شهيدة العصر للشيخ محمد بن عبد الله الهبدان في موقع طريق الإسلام.
58 ـ دار التوحيد تطور تعليمي، عثمان الصيني وآخرون، إدارة التعليم بالطائف، 1415هـ
59 ـ دار التوحيد نقوش في ذاكرة التعليم والمجتمع، إدارة تعليم الطائف، 1415هـ.
60 ـ الدرر السنية الأجوبة النجدية: مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى عصرنا، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم قاسم النجدي، دن، ط3، 1425هـ.
61 ـ دليل الخليج . القسم الجغرافي، ج.ج. لوريمر، مطابع علي بن علي - الدوحة.
62 ـ الدور التربوي لمدرسة تحضير البعثات، سليمان الجودي، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ط1.
63 ـ الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، عبدالعزيز الشناوي، مكتبة الأنجلو المصرية.
64 ـ رجل ومولد قرن، مبارك الناجي، دائرة الثقافة والإعلام . الشارقة، ط1، 1418هـ
65 ـ رحلتي مع الكتاب.. سنوات التأسيس مقال الأستاذ منصور النقيدان في موقع صحيفة عاجل الإلكترونية.
66 ـ رسالة في تعليم البنات وتربيتهن لتقي الدين الهلالي في موقع شبكة شباب السنة.

67 ـ روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، لمحمد بن عثمان القاضي، 1400هـ.

68 ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة، محمد الألباني، مكتبة المعارف، ط1، 1417هـ.

69 ـ سياسة التعليم في المملكة، وزارة التعليم العالي، 1398هـ.

70 ـ الشعر والمجتمع في المملكة العربية السعودية، د.مسعد العطوي، ط2، 1417هـ.

71 ـ شعراء هجر من القرن الثاني عشر إلى القرن الرابع عشر، د. عبد الفتاح الحلو، دار العلوم . الرياض، ط2، 1401هـ.

72 ـ شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، المكتب التجاري . بيروت، ط2، 1969م.

73 ـ الشيخ المسند علم وعمل، د.غادة المسند، دار المثل، ط1، 1426هـ.

74 ـ الشيخ عبدالله بن سليم، د.عمر بن صالح العمري، نادي القصيم الأدبي، ط1، 1420هـ

75 ـ صبح الأعشى ، أبوالعباس القلقشندي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1405هـ.

76 ـ صحيفة الجزيرة، (حوار مع الشيخ عبدالله السليم)، العدد 3622، 24 شوال 1402هـ.

77 ـ صحيفة الجزيرة، الأميرة فهدة بنت سعود تصحح للدكتور ابن دهيش، العدد 9501، 13/ 6/ 1429هـ.

78 ـ صحيفة الجزيرة، العدد 13051، الموافق 18/ 6/ 1429هـ، الشيخ صالح العثيمين الساعاتي الموسوعي، د.محمد المشوح.

79 ـ صحيفة الرياض، العدد14561، الموافق غرة جمادى الأولى 1429هـ، ص6

80 ـ صحيفة الرياض، العدد14568، الموافق 8/ 5/ 1429هـ، (في حديث لوسائل الإعلام).

81 ـ صحيفة الرياض، خالد عبدالرحمن ، الجمعة 13 ربيع الأول 1429هـ - 21 مارس 2008م - العدد 14515 .

82 ـ صحيفة الشرق الأوسط، الثلاثاء 15/ 9/ 1423 هـ، العدد 8757، (بريدة.. المدينة السعودية التي لم يفهمها أحد)، طارق الحميد.

83 ـ صحيفة القصيم (أعداد كثيرة).

84 ـ صحيفة المدينة، ملحق الأربعاء، 9محرم 1427هـ، (خمسون عاماً مرت على إيقاف جريدة أخبار الظهران)، محمد القشعمي.

85 ـ صحيفة الوقت البحرينية، العدد 545، الموافق 6/ 8/ 1428هـ، قصة مدينة، منصور النقيدان.

86 ـ صحيفة اليمامة(أعداد كثيرة).

87 ـ صحيفة أم القرى، السنة 36، الجمعة 21 ربيع الثاني 1379هـ .

88 ـ صحيفة أم القرى، السنة 36، الجمعة 21 ربيع الثاني 1379هـ.

89 ـ صحيفة عكاظ، عبدالله خياط، العدد 15234، الاثنين، 7/ 5/ 1429هـ.

90 ـ عبدالعزيز في التاريخ، حمد الحقيل، مكتبة الرياض، ط4، 1410هـ

91 ـ عبدالقادر القط ذكريات عمر، عبدالبديع عبدالله، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002م.

92 ـ عبدالله الدويش مقال للأستاذ منصور النقيدان في موقع صحيفة عاجل الإلكترونية.

93 ـ عرض موجز للمادية التاريخية ، بوستنيك وسبيركين، دار الفارابي . بيروت، ط1، 1981م.

94 ـ عقود الجمان في جواز تعليم الكتابة للنسوان، شمس الحق العظيم آبادي، مراجعة وتصحيح محمد بن مانع، المكتب الإسلامي . دمشق، ط1، 1381هـ.

95 ـ عقود الجمان في جواز تعليم الكتابة للنسوان، محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق الدكتور وصي الله محمد عباس، مؤسسة المجمع العلمي . كراتشي، ط1، 1408هـ.

96 ـ علم الأخلاق الإسلامية، د.مقداد يالجن، دار عالم الكتب . الرياض، ط2، 1424هـ.

97 ـ علماء نجد خلال ثمانية قرون، الشيخ عبدالله البسام، دار العاصمة . الرياض، ط2، 1419هـ.

98 ـ فتاة الجزيرة، سعد الدريبي، مطابع النضال . دمشق، ط1، 1385هـ 1966م.

99 ـ فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، جمع محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة، 1399هـ.

100 ـ قصة التعليم، وزارة الإعلام، 1971م، 1391.

101 ـ القصيم والتطور الحضاري، إبراهيم المسلم، الدار الثقافية للنشر.

102 ـ قناة العربية برنامج إضاءات بتاريخ25/ 8/ 1428هـ وزير التربية والتعليم السابق د.محمد الرشيد.

103 ـ كانت أشبه بالجامعة، د.محمد آل ملحم، 1419هـ.

104 ـ كتاب الندوة الجامعية الكبرى المحور التربوي، (المعاني والأهداف التي تحملها وثيقة سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية)، د.علي المرشد، جامعة الملك سعود . الرياض، 1421هـ.

105 ـ كتاب تحرير المرأة في عصر الرسالة، عبدالحليم أبوشقة، دار القلم . الكويت، ط6، 1422هـ.

106 ـ الكتب العربية النادرة، عثمان الصوينع، مكتبة الملك فهد الوطنية . الرياض، ط2، 1427هـ

107 ـ كنت مع عبدالعزيز، عبدالرحمن السبيت وآخرون، دار مبين للنشر والتوزيع، ط2، 1425هـ.

108 ـ لقاء مفتوح مع الأستاذ حسين العذل في ثلوثية د.محمد المشوح 30/ 12/ 1428هـ.

109 ـ لمحات عن التعليم وبداياته، عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ، شركة العبيكان للنشر، 1412هـ.

110 ـ مجلة البحوث الإسلامية، ذوالقعدة وذو الحجة، العدد 54، 1419هـ، من رواد العلم والتعليم في المملكة الشيخ: محمد بن عبدالعزيز المانع، د.محمد الشويعر).

111 ـ مجلة الثقافة، (تعليم البنات في مصر)، العدد 151، 19 شوال 1360هـ السنة الثالثة.

112 ـ مجلة المنار، المجلد 5، الجزء 5، ربيع الأول 1320هـ.

113 ـ مجلة المنهل، ذو القعدة، 1385، ص865، ولي الدين أسعد.

114 ـ مجلة اليمامة، العدد 2000، حوار مع الشيخ عبدالله الحسيني، الموافق 21/ 3/ 1429هـ.

115 ـ مجلة حقول، رمضان 1428هـ، رواد تعليم المرأة السعودية قراءة في صحافة الأفراد، محمد القشعمي.

116 ـ مجلة رؤى، العدد31 28 نوفمبر،تعليم البنات المخاض الصعب، محمد القشعمي.

117 ـ مجلة رؤى، العدد40 الموافق 6 فبراير، قصة أول مدرسة نظامي للبنات في المدينة المنورة، محمد القشعمي.

118 ـ مجمع الأمثال للميداني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية . بيروت، 2007م.

119 ـ مجموعة كتب ووثائق من موقع فضيلة الشيخ العلامة محمد بن مانع.

120 ـ مجموعة من الحوارات المسجلة وغير المسجلة مع عدد من الشخصيات مثل معالي الشيخ محمد العبودي والأستاذ عبدالعزيز بن محمد التويجري والدكتور عبدالحليم العبداللطيف.

121 ـ محاضرة الدكتور محمد بن سعد الشويعر التي ألقيت في نادي مكة الثقافي بتاريخ الثلاثاء 15/ 08/ 1428هـ بعنوان (من الذاكرة: محطات في بدايات تعليم البنات في المملكة).

122 ـ المختار من محاضرات نادي القصيم الأدبي، (لمحات عن تعليم البنات بالمملكة العربية السعودية)، د.علي العمرو، ط1، 1408هـ.

123 ـ المختارات من صحيفة أم القرى،دارة الملك عبدالعزيز، 1426هـ.
124 ـ مذكرات وذكريات من حياتي، عبدالكريم الجهيمان، ط2، 1419هـ.
125 ـ المرأة السعودية العاملة في التعليم العالي، عائشة أحمد الحسيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب،دط، 1987م .
126 ـ المرأة السعودية والتعليم، الدكتورة فوزية البكر، ط2، 1417هـ.
127 ـ المرأة السودانية بين الماضي والحاضر، نفيسة كامل، مطابع مؤسسة الخليج للنشر والطباعة، الخرطوم، 1994م.
128 ـ مرآة النساء فيما حسن منهن وساء، محمد كمال الدين الأدهمي، مكتبة التراث الإسلامي . القاهرة.
129 ـ المرأة بين التعليم والشغل، فاطمة أزرويل، دار وليلي، ط1، 1996م.
130 ـ المسيرة التعليمية، جميل أبوسليمان، الشركة التونسية . تونس . دط، دت.
131 ـ مسيرة المرأة السعودية والتنمية، جامعة الملك سعود بالرياض، 1422هـ.
132 ـ مسيرة تعليم البنات بالأرقام، منصور الرشيد وإبراهيم آل الشيخ، الرئاسة العامة لتعليم البنات، دط، دت.
133 ـ مسيرتي مع الحياة، د.محمد الرشيد، دار رحلة حياة للنشر . الرياض، ط1، 1428هـ
134 ـ مشاهير علماء نجد وغيرهم، عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ط2، 1394هـ.
135 ـ مع الناس، علي الطنطاوي، دار المنارة للنشر والتوزيع . جدة، ط3، 1416هـ.
136 ـ معجزة فوق الرمال، أحمد عسة، المطابع الأهلية اللبنانية، ط3، 1391هـ.
137 ـ معجم بلاد القصيم، دون ناشر، مطابع الفرزدق، ط2، 1410هـ.
138 ـ ملامح الاتجاه النقدي والأدبي في صحيفة القصيم، عبدالله بن صالح الوشمي (دراسة تنشر قريباً).
139 ـ الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود بحوث ودراسات، ط1، دارة الملك عبدالعزيز . الرياض، ط1، 1429هـ.

140 ـ الملك عبدالعزيز والتعليم، الدكتور عبدالله أبو راس والأستاذ بدر الديب، ط2، 1413هـ.
141 ـ ملوك العرب، أمين الريحاني، دار الجيل ـ بيروت، ط8.
142 ـ من أفواه الرواة ، عبدالكريم بن صالح الطويان، دار الجسر ـ الرياض، ط 1، 1410هـ.
143 ـ من بريدة إلى منهاتن، لويس عطية الله، دار الرياض ـ لندن، 2003م
144 ـ من سوانح الذكريات، مركز حمد الجاسر الثقافي، ط1، 1427هـ
145 ـ من شيم الملك عبدالعزيز، فهد المارك، ط1، 1398هـ
146 ـ نحو صياغة إسلامية لمناهج التربية، د.إسحاق فرحان وآخرون، جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية، ط2، 1400هـ.
147 ـ نصيحتي إلى إخواني في الدين والنسب، الأمير مساعد بن عبدالرحمن آل سعود، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة، 1360هـ
148 ـ نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، عبدالحي الكتاني، دار الكتاب العربي ـ بيروت، دط، دت.
149 ـ نهج البلاغة، شرح الإمام محمد عبده، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط1، 1410هـ.
150 ـ نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، تقديم وهبة الزحيلي، دار الخير ـ دمشق، ط2، 1418هـ.
151 ـ هل عارض العلماء في المملكة قديما تعليم المرأة ؟ مقال للشيخ سليمان الخراشي في موقع شبكة القلم الفكرية.
152 ـ هل يقدم تعليم واحد للذكور والبنات؟، بياتريس دوبون، اليونسكو، 1981م.
153 ـ وسط الجزيرة العربية وشرقها ،وليم بالجريف، ترجمة صبري حسن، المجلس الأعلى للثقافة، 2001م.
154. يا فتاة الإسلام اقرأي حتى لا تُخدعي، صالح البليهي، د ن، 1406هـ.

فهرس الدراسة

فهرس الوثائق

فهرس المقالات



عبد الله الوشمي

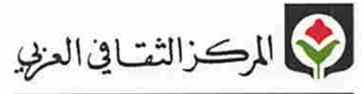
فتنة القول بتعليم البنات
في المملكة العربية السعودية

يعود القلق والتوجّس من تعليم المرأة لعدة أسباب، فتعليمها يقتضي خروجها من البيت إلى المدرسة، ومن الحياة المغلقة إلى الانفتاح على معارف جديدة، ومن المعتاد إلى المثير، ومن طمأنينة أحكام المجتمع والعائلة إلى المؤسسة، وهذا ما أثار الزوبعة الداعية إلى رفض تعليمهن.

إن خروج الفتاة إلى المدرسة في مجتمع كالمجتمع السعودي، أصعب من خروج الولد من المسجد، حيث كان يتلقى العلم، إلى المدرسة. وإذا كان تعليم الولد خارج المسجد أثار ما أثار من اعتراضات، فكيف بخروج البنت من بيتها، فالمرأة هي الأنثى، والأنوثة تعني الفتنة، والفتنة تعني الشرّ. والشرّ يختصر في سعيها إلى امتلاك وسائله، أي خروجها من البيت وامتلاكها لأدوات معرفة يمكنها بواسطتها أن تتجاوز "عالمها" أي البيت والأسرة.

إن هذا الكتاب محاولة لقراءة فتنة القول بتعليم المرأة، وهو حدث اشتعل كالفتنة بين الناس، فتنة قامت على عقائد واجتهادات لا يمكنها أن تنفي غيرها، وعصفت بمجتمع يخيفه كل جديد، وقد استندت إلى تفسيرات وعقائد وخرافات من كل حدب وصوب.

أردنا في هذا الكتاب تقديم إضاءة على هذا الحدث بقراءته وبتقديم وثائق لم يسبق أن اجتمعت حول هذا الحدث.




ISBN 978-9953-68-379-4

9 789953 683799

الدار البيضاء: ص.ب 4006 (سيدنا)
بيروت: ص.ب: 113/5158
www.ccaedition.com
markaz@wanadoo.net.ma